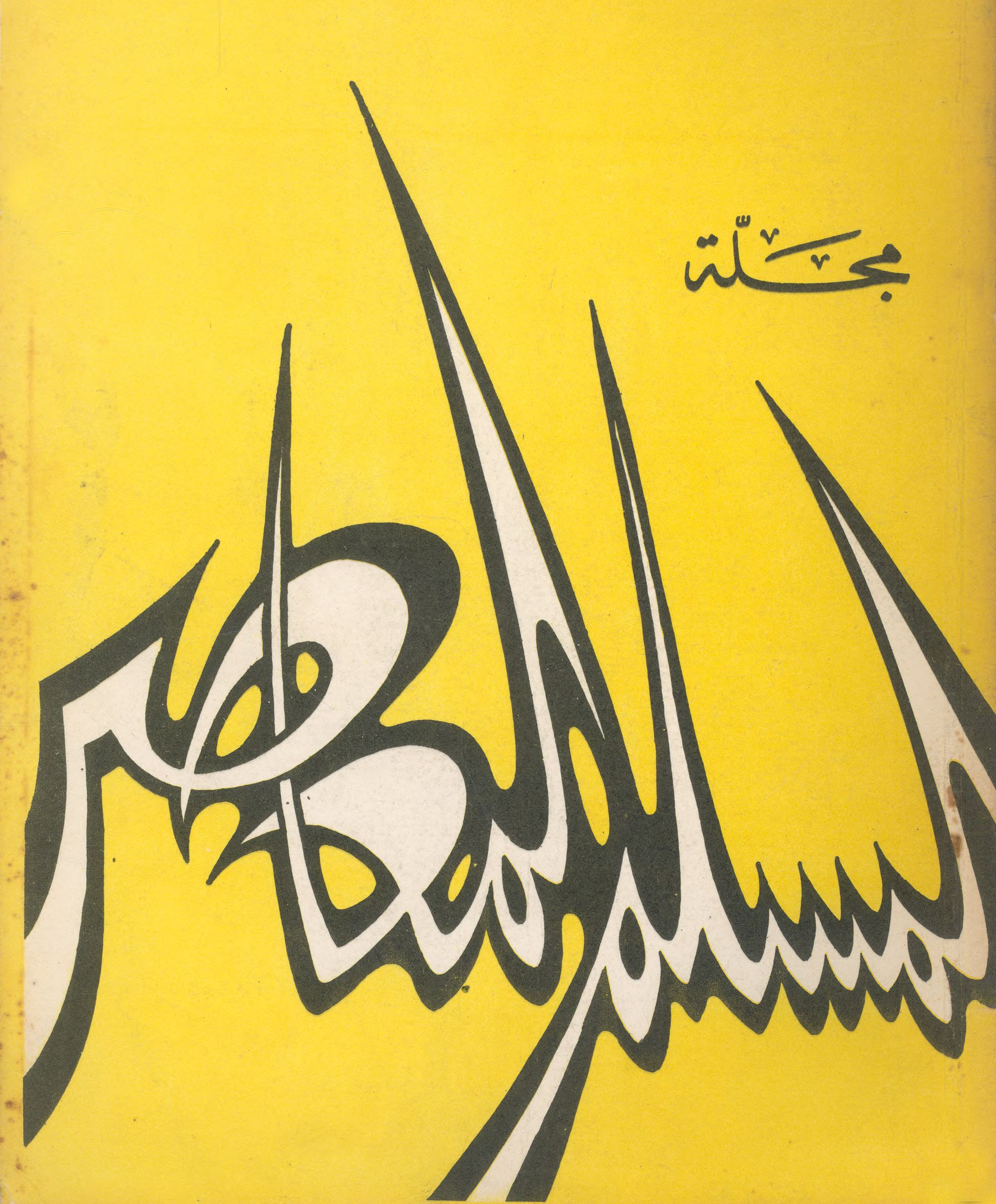
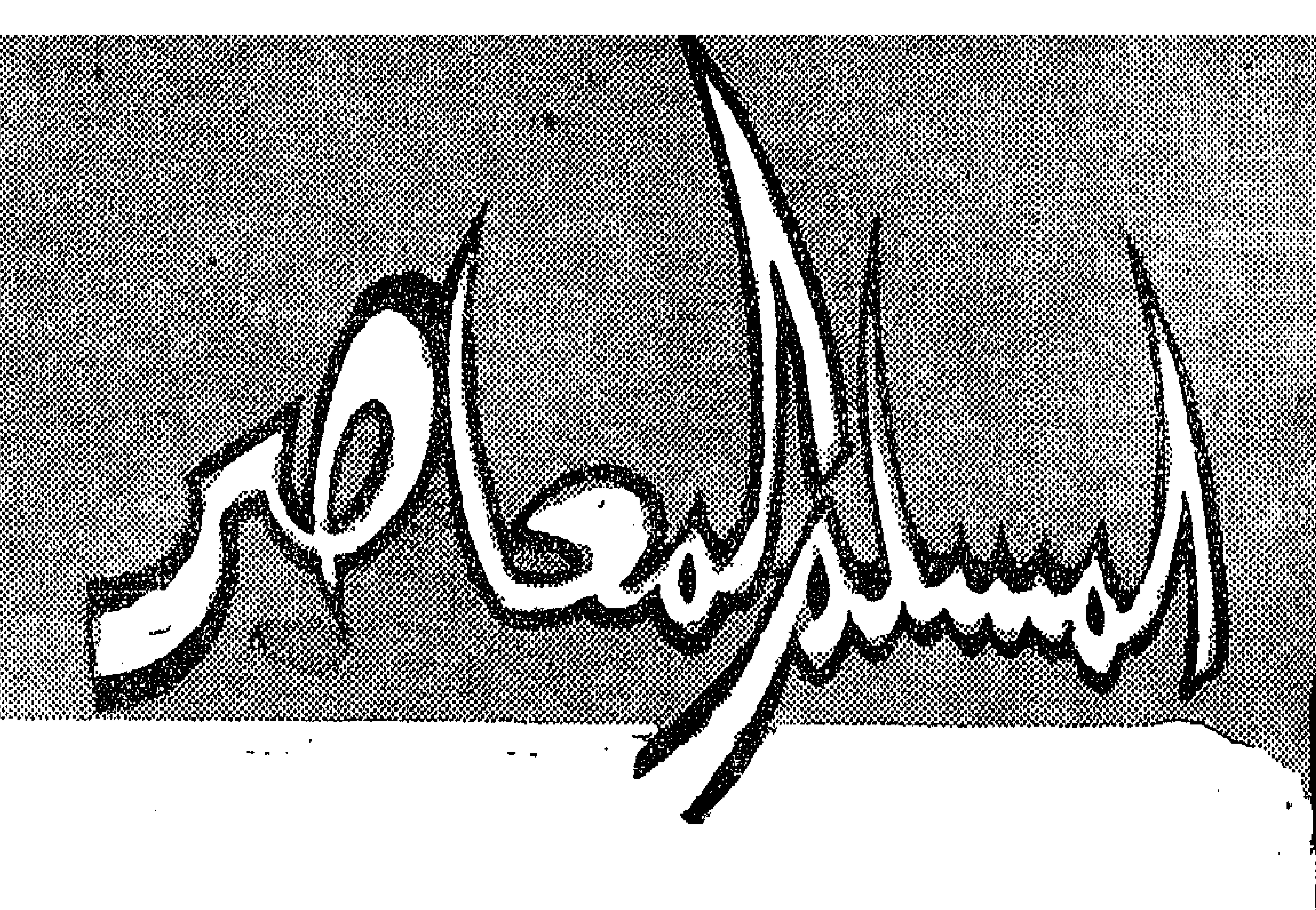
العدد العاشر • ربيع ثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٣٩٧هـ

أبريل - مايو - يونيو - ١٩٧٧م





فصلية فكرية تعالج شئون الحياة المعاصرة فى ضوء الشريعة الإسلامية

العدد العاشر • ربيع ثانى - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٣٩٧ هـ

أبريل - مايو - يونيو - ١٩٧٧م

صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسؤول

الدكتور جمال الدين عطية

العنوان

ص. ب. ١١٩٤٢٩ بيروت

مؤقتا: ص . ب ٢٨٥٧ الكويت

سعر النسخة ٤٠٠ ق.ل

الاشتراك السنوي في لبنان : ١٥ ل.ل

محتويات العدد

صفحة

كلمة التحـــرير ٥

أبحــــــاث :

د.عون الشريف قاسم ١١

أبعاد العبادات فى الاســلام

د.اسماعيل راجى الفاروقى ٢٥

نحو نظرية اسلامية فى الاعلام

زين الدين الركابى ٣٩

الاعلام الاسلامى فى ضوء نظرية النظم

د.سعيد محمود عرقه ٧٧

القرآن الكريم والمســـألة الاجتماعية

د.عماد الدين خليل ٩٣

حـــــوار :

الفكرة الأخلاقية بين القانون والشريعة

د.مصطفى كمـــال وصفى ١٢١

نقـــد الكتب :

فى النظام السياسى للدولة الاسلامية

د.محمـــد سليم العوا ١٣٥

د.محمود أبو السعود

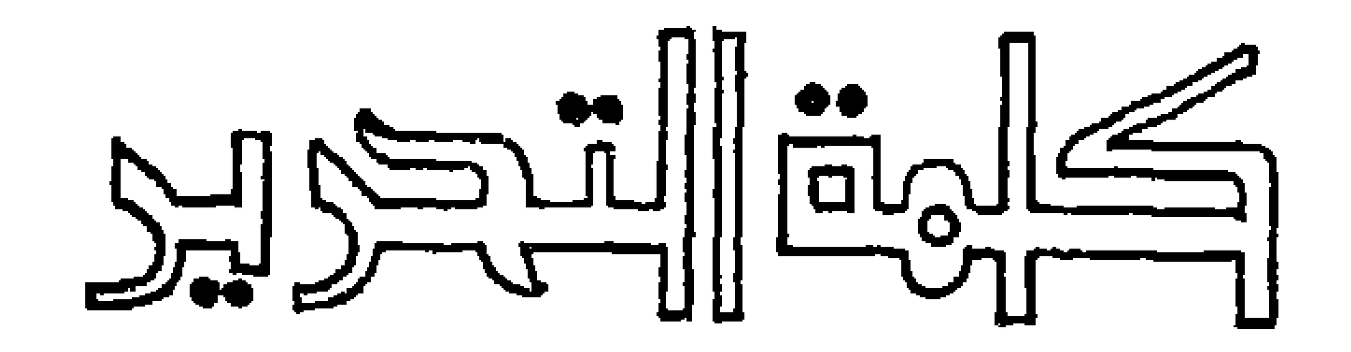
مؤتمـــرات :

المؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى ١٤٩

اخبــــــار

بنك دبى الاسلامى ١٦٩





- الحاكمية ودولة القانون .
- أضواء على الاتجاه الاسلامى فى جبهة اليسار .
- نادى روما والنظام العالمى الجديد .

---

* ينفرد الاسلام فى نظرته للحكم بتصور خاص يميزه بوضوح عن كل من الديمقراطية والثيوقراطية ، فعلى حين تنطلق الديمقراطية من مبدأ ان الأمة مصدر السلطات بما يجعل تسلسل السلطة فيها كالآتى :

الأمة

↓

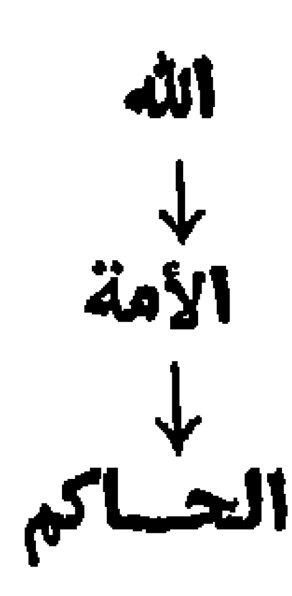
الحاكم

تنطلق الثيوقراطية من مبدأ ان الحاكم ظل الله فى الأرض وخليفته على خلقه بما يجعل تسلسل السلطة فيها كالآتى :



أما فى الاسلام فالحكم أو السيادة أو الحاكمية (أو غير ذلك من المصطلحات التى تحتاج الى اعادة نظر وتحديد) أصلا لله وأن الناس مستخلفون عن الله فى عمارة الكون واقامة شريعة الله ، وان عليهم تنظيما

لأمورهم أن يتخذوا من بينهم أميرا أو خليفة عليهم ، بما يجعل تسلسل السلطة فى نظر الاسلام كالآتى



وينتج عن هذا التصور المتميز انتفاء فكرة الحكم الدينى والحق الالهى بمفهومه الغربى ، كما يتبين أن الاسلام هو وحده الذى أقام ــ منذ دولة المدينة التى أنشـأها رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ــ دولة القانون State of Law حيث السـلطة العليا فيها للشريعة فمنها يستمد كل من الأمة والحاكم سلطاته المحدودة ، واليها يرجع ــ عند الاختلاف ــ لمعرفة مدى تجاوز كل لسلطاته ، وعلى أساس هذا المفهوم يقوم مبدأ الشرعية ، ومبدأ سيادة القانون،ومبدأ الرقابة الدستورية العليا (حيث السيادة العليا للكتاب والسنة) على كافة السلطات بما فى ذلك سـلطة الأمة والحـاكم والمجتهدين ، نتيجة تدرج القواعد بتدرج السلطات التى تصـدر عنهـا Hierarchie des normes ورغم وضـــوح هـــذه النظرة الاســلامية يأبى البعض (١) الا أن يشوش على الفكر السياسى الاسلامى محاولا تشويه بساطته ونقائه ، ولكن الله غالب على أمره ...

****

* يتردد منذ فترة اصطلاح اليسار الاسلامى ، وكانت مجلة « المسلم المعاصر » أول من تعرض لهذا الاصطلاح على لسان الأستاذ فتحى عثمان ومن تولى التعليق عليه من داخل المجلة ومن خارجها ، وما زال الباب مفتوحا لمناقشة هذا الموضوع الذى أرى شخصيا انه لم يأخذ حقه من البحث ، اذ دارت معظم التعليقات على المصطلح دون المضمون، وان كان المضمون ــ دون تعرض للمصطلح ــ قد نال حظا من عناية د . عماد الدين خليل فى مقالاته عن البعد الاجتماعى والعدل الاجتماعى والمسألة الاجتماعية .. والذى يعنينى هنا هو الاشارة الى ظاهرة بدات تتبلور خلال الأعوام القليلة الماضية هى اتجاه بعض الكتابات الاسلامية ــ خاصة فى المجلات اليسارية ــ اتجاها

---

(١) راجع مقال د. محمد عمارة فى عدد مارس ١٩٧٧ من مجلة العربى الكويتية .

يساريا ، واظن أن تفسير هذه الظاهرة يحتاج الى تصنيف رباعى :

الاول : أن يكون جانب من هذا الاتجاه جسرا تمده الحركة الاسلامية لكسب بعض اليساريين « المتدينين » الى صفوف الحركة الاسلامية اذا تبينوا ما فى الاسلام من مبادىء اصلاحية تغنيهم عن المذاهب اليسارية الوضعية .

الثانى : أن يكون جانب من هذا الاتجاه جسرا يمده اليسار لكسب بعض المسلمين الى صفوفه اذا اقتنعوا بان اليسار هو « مذهب اسلامى جديد » .

الثالث : أن يكون جانب من هذا الاتجاه فكرا جديدا متميزا عن كل من الاسلام واليسار وليس مجرد جسر يمده أحدهما الى الآخر ...

الرابع : هذا فضلا عن الكتابات السطحية وغير الجادة التى حاول بها « كتاب السلطان » رغبا ورهبا ــ التقريب بين الاسلام والاشتراكية خلال السنوات العشرين الماضية ....

واعود الى الأصناف الثلاثة الأولى :

فالصنف الأول يتطلب حركة اسلامية نشطة منظمة واعية تخصص ــ ضمن اطار مخطط عام مدروس ــ احدى فصائلها لاداء هذا الدور الهام .. وقادة الحركة ادرى ولا شك بقدرات حركتهم وترتيب الاولويات بين مختلف نشاطاتها .

والصنف الثانى: ويعبر عنه هنا ــ كتاب معروفون ــ لاداعى لتسميتهم ينفذ مخططا جديدا للماركسية العالمية تجاه الاسلام لمحاولة تحويله من الداخل ، بعد أن فشل مخطط مصادمته من الخارج ، والظن عندى أن هذا المخطط ــ كسابقه ــ محكوم عليه بالفشل ، لا بسبب الوعى الاسلامى فحسب ، وانما كذلك لأنه ــ رضى أم أبى ــ قد احتكم الى الاسلام ، فمهما تعسف فى تفسيره وجذبه الى رأيه سينتهى أمره الى أن يحتويه الاسلام ويستسلم لمنطقه وحكمه .

اما الصنف الثالث : فانى اشك فى امكان قيام هذا الفكر المتميز ، الا داخل اطار الفكر الاسلامى ، وبدعوى أنه الفهم الصحيح للاسلام ، اذ مازالت الجبهة الاسلامية تتسع لكل فكر نابع من الاسلام ولم تتميز فيها المدارس المعاصرة بدرجة تجعل من كل منها فكرا متميزا يزعم لنفسه أنه الفهم الصحيح للاسلام ...

***

* خرج علينا « نادى روما » بتقريره الثالث RIo عن « اعادة صياغة النظام العالمى » Reshapiny the International Order والذى عرض تحليلا وتشخيصالمشاكل العالم المعاصر واقتراحات لحلها فى صورة نظام عالمى جديد يدور حول المشاكل الآتية :

- سباق التسلح
- زيادة السكان
- الغذاء
- التركز السكانى
- البيئة
- النظم النقدية والتجارية .
- الطاقة والموارد الطبيعية
- العلم والتكنولوجيا
- المحيطات
- الفضاء الخارجى
- المنظمات الدولية
- اعتماد الدول بعضها على بعض

ولا يتسع المجال لتلخيص التقرير الذى جاوز الثلاثمائة صفحة ، وانما ينبغى أن نشير الى أن الحلول التى يقترحها التقرير لحل مشاكل العالم المعاصر قد وضعت بذكاء لكى تتحمل الدول الغنية الجديدة (البترولية) نفقات تسكين آلام (ولا اقول انهاض وتقدم) الدول الفقيرة المتخلفة ، دون مساس بمكاسب الدول الصناعية (الاستعمارية سابقا) من الجولة السابقة والتى نتج عنها استنزاف ثروات تلك الدول بقوة الاستعمار لصالح هذه الدول ...

ولا ينسى التقرير الاشارة الى « العدالة » لا بمفهوم « اعادة الحق من مغتصبه الى صاحبه » ، وانما بمفهوم « توزيع الثروات ووسائل استغلالها فى المستقبل توزيعا عادلا » ....

والأهم من ذلك خلو تصور واضعى التقرير من الأسباب والمظاهر والحلول غير المادية للمشاكل العالمية المعاصرة ، ونأمل أن يحظى هذا الأمر بما يستحقه من توضيح فى المؤتمر الذى يقيمه المجلس الاسلامى الاوربى عن « العالم الاسلامى والنظام العالمى الجديد » حتى يقدم تصور الاسلام للمشكلة العالمية والحل الاسلامى لها ...

جمال الدين عطية

ARINCO
Arab Investors
Societe Anonyme, Vaduz



المستثمرون العرب
ارينكو
شركة مساهمة تحت التأسيس

شركة مساهمة مسجلة في إمارة لكتنشتاين/سويسرا
تقتصر ملكية أسهمها على العرب

أغراض الشركة

القيام بالاستثمارات بكافة أنواعها لحسابها ولحساب الغير ، وبالمساهمة فى شركات قائمة أو انشاء شركات جديدة ، وبادارة الأملاك والأعمال لحساب الغير .

ويشمل ذلك على سبيل المثال لا الحصر النشاطات التالية :

النشاطات التى تعتزم الشركة القيام بها

اولا : اعمال لحساب الشركة :

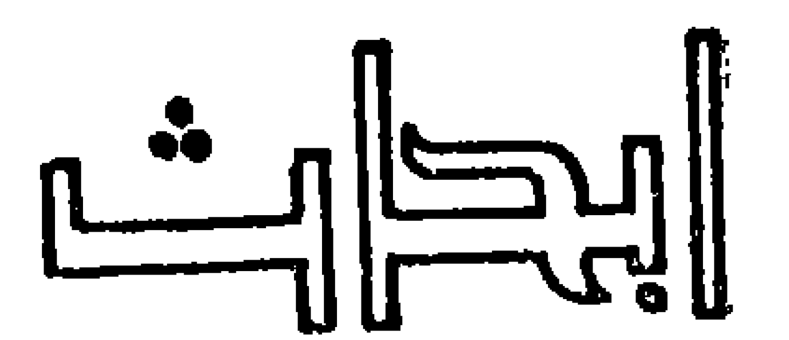
١ ـ انشاء مشروعات جديدة لحسابها جزئيا أو كليا فى صورة شركات وليدة .
٢ ـ المساهمة فى مشروعات قائمة بالمشاركة مباشرة أو بشراء اسهم مطروحة .
٣ ـ طرح الأوراق المالية للاكتتاب والترويج لها .
٤ ـ اقامة علاقات وثيقة مع الهيئات المماثلة والبنوك والمؤسسات المالية على الصعيد الدولى
٥ ـ تنشيط وتنظيم عملية استثمار المدخرات وفوائض رؤوس الاموال .

ثانيا : أعمال لحساب الغير :

٦ ـ تقديم الاستشارات فى الامور الاستثمارية .
٧ ـ تقديم الاستشارات الادارية والتنظيمية .
٨ ـ أعمال الانابة والتوكيلات والوساطة بما فى ذلك :
(أ) ادارة أملاك عقارية ومنقولة لحساب أصحابها .
(ب) تنظيم ادارة أعمال الغير من الناحية المالية والادارية والقانونية .
(جـ) الاستثمار لحساب الغير .
٩ ـ ربط وتوطيد العلاقات بين الهيئات المتناظرة أو المتكاملة بما فى ذلك :
(أ) العمل كحلقة تعارف وتنسيق بين العناصر اللازمة لاقامة المشروعات .
(ب) العمل كمكتب تمثيل للشركات العالمية الكبرى .
(جـ) العمل كحلقة وصل فى تمويل المشروعات .
١٠ـ اعداد الدراسات للمشروعات الجديدة .

وكل ذلك فى اطار المبادىء الاسلامية فى المعاملات ، وعلى هدى القيم الاسلامية فى الحياة .

ويجوز للشركة أن تكون لها مصلحة أو تشترك بأى وجه من الوجوه مع الهيئات التى تزاول أعمالا شبيهة بأعمالها ، او التى قد تعاونها على تحقيق غرضها ، كما يجوز لها أن تندمج فى الهيئات السالفة أو تشتريها أو تلحقها بها .



الجذور الفكرية للمجتمع المسلم

د. عون الشريف قاسم(*)

كان الاسلام بدعا فى الرسالات لأنه جاء معبرا عن المرحلة الأخيرة من تطور البشر، فأكمل رسالات السماء من قبله ، وحوى جوهرها ، واستوعب فى اطاره خط السير الأمثل لتطور الانسان فى مقبل الأيام . وكان فى كل ذلك بحق خاتمة الرسالات ، اذ حسم على مدى الزمان قضايا الانسان الكبرى فى كل مجالاتها ، المعنوية والمادية ، بحيث أصبح منهجه القائم على تكامل قوى الانسان العقلية والروحية والجسدية ، المرتكز على توازنها وانسجامها هو طريق المستقبل ، لا للمسلمين وحدهم ، بل لكل البشر. ومن هنا جاءت عالمية الاسلام ، اذ انه لم يكن معبرا عن أوضاع العرب وحدهم بقدر ما كان معبرا عن وضع البشرية جمعاء ، التى كانت تنتقل من مرحلة الرعى والزراعة البسيطة المرتكزة على القبيلة ، الى مرحلة التجارة والصناعة المرتكزة على المدينة . كانت البشرية تنتقل من مرحلة البداوة والزراعة البسيطة والحياة القبلية القائمة على رابطة الدم الى مرحلة الحضارة وحياة المدينة ، القائمة على رابطة المصلحة المشتركة. وكل ذلك كان يستتبع تحولات جذرية على المستوى الفكرى والاجتماعى . فلم يكن هذا الانتقال

(*) وزير الشئون الدينية والاوقاف بجمهورية السودان الديمقراطية .

من مرحلة اجتماعية بسيطة الى مرحلة اجتماعية أشد تعقيدا بالأمر اليسير . اذ كان يعنى فى المقام الأول اضمحلال قوة رابطة الدم واضعاف ما كان يرتكز عليها من نظام قبلى متماسك يحكمه العرف وينظمه قانون غير مكتوب ، وكل ذلك كان يشيع بين أفراد القبيلة ضربا من التعاون والتكاتف يجعل الخروج على الاعراف القائمة التى تحكم علاقات الأفراد وتؤلف بينهم خروجا على القبيلة وحربا عليها ، وكانت سلطة الجماعة هى ضمير هذا النظام ، وهى أيضا قواه الرادعة . وفى المدينة التى لا يلتقى فيها الناس على أساس القرابة ورابطة الدم ، تنهار هذه السلطة الجماعية بانهيار رابطة الدم . فان التاجر الذى هو رمز المدينة وعنوان التحول الاجتماعى الجديد لا يتعامل مع الآخرين كأقرباء مثلما يفعل البدوى فى حياة القبيلة وانما يتعامل معهم كزبائن . ففى المدينة تختلط الدماء وتتباين الألوان وتتعدد المهارات والحرف، وتتنوع — بالتالى — المصالح وتتناقض، ولابد من رابطة اجتماعية جديدة تقوم مقام رابطة علاقة الدم المنهارة وتعبر عن هذا الوضع الجديد . ورغم أن رابطة المصلحة المشتركة هى التى تجمع بين كل هذه العناصر المتعددة فى حياة المدينة ، الا أن الضغوط الاجتماعية التى يتعرض لها الناس فى هذه الحياة المعقدة تحدث من الاضطراب والفوضى فى علاقات الناس الاجتماعية، مايجعل ميزان العدالة يختل اختلالا يزعزع هذه المصلحة المشتركة بحيث يحتاج المجتمع الى قوة جديدة تحل محل سلطة الجماعة العرفية التى كانت تنظم حياتها البسيطة فى مجتمع البداوة ، ثم انهارت فى حياة المدينة . وكان لابد من نظام قانونى دقيق ينظم هذه المصلحة المشتركة بين الناس فى مجتمع المدينة ويقوم مقام العرف القديم . وما كان لدين يأتى فى هذه المرحلة المتأخرة من تطور البشر وتعقد حياتهم ، أن يغفل هذا الجانب الاجتماعى الخطير من حياة الناس ، تاركا ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، ومن ثم كان الاسلام دينا بالمعنى الغربى الضيق لكلمة الدين، ونظاما اجتماعيا وحضاريا بالمعنى الاسلامى الواسع لكلمة الدين . وكان الاسلام فى ذلك فتحا جديدا من ناحيتين : الناحية الأولى أنه أكمل رسالة موسى عليه السلام، التى حصرها اليهود فى اطار قومى ضيق، وشوهوها باقامتهم معيارين للسلوك : واحد ينظم العلاقات بين اليهود أنفسهم ، وآخر ينظم علاقاتهم بالآخرين ، وقد سعت المسيحية لاصلاح هذا الخلل بدعوتها الى المحبة بين كل البشر ، بصرف النظر عن أجناسهم ، ولكنها لم تتوسع فى تنظيم الحياة

الاجتماعية لأنها أتت فى زمان كان القانون الرومانى ينظم تفصيلات حياة المجتمع ، فاكتفت بأن تترك ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر . فجاء الاسلام معبرا عن هذا الوضع الأخير للانسانية التى تشابكت مصالحها واختلطت أنسابها وأحسابها وتعقدت علاقاتها فتوسع فى تنظيم علاقات النـــاس الاجتماعية والاقتصادية وكان القرآن المكى حربا مقدسة على صنوف الفساد والظلم الاجتماعى التى كانت سمة المجتمع التجارى بمكة ، حيث كان الأقوياء يتحكمون فى مصائر الضعفاء ويستعبدونهم بأموالهم وأحسابهم . وكانت مكة فى كل ذلك رمزا للعالم الحضرى ، وليد التجارة ثم الصناعة حيث تتكاثر الثروات وتتعدد ألوان المتع والملذات ، وتتطور حياة الناس المادية بمعدلات تفوق معدلات تطور حياتهم الروحية والوجدانية، ومن ثم يحدث الشـــد والجذب والتمزق بين واقع الحياة المعاش ، وبين عقول الناس وضمائرهم والناحية الثانية أن الاسلام لم يكتف بوضع الأسس لعلاقات اقتصـــادية واجتماعية سليمة لمعالجة هذا الاختلال الذى يحدثه تطور الحياة المـــادى من جراء ازدهار التجارة والصناعة مما برز بوضوح فى القرآن المدنى، الذى لم تكن أحكامه خاصة بالدولة الاسلامية فى عهدها الأول ، بل كانت عامة للبشرية فى مقبل أيامها . لم يكتف الاسلام بوضع الحلول القانونية لقضايا التطور الاجتماعى فى مرحلة التجارة والصناعة فحسب، بل ذهب خطوة أبعد من ذلك،بأن أدخل الدين فى حياة المجتمع بدرجة أزالت تلك الازدواجية التى كانت قائمة بين ما هو دين وما هو دنيا . فان الدين كأمر خاص ينظم العلاقة بين الفرد وبين خالقه ، ولا يؤثر كثيرا على علاقات الأفراد العامة داخل المجتمع . قد يستقيم مع مرحلة بساطة الحياة التى يـــكتفى الناس فيها بالعرف وسلطة الجماعة فى تنظيم الحياة الاجتماعية . أما فى مرحلة التطور الحضارى التى يرتكز فيها سعى الانسان لتطوير حياته الاجتماعية والروحية والعقلية بخلق التلاؤم والتناسب بين معطيات حياته المـــادية ومعطيات ملكاته العقلية والروحية ، فان هذا الفصل الحاد بين دين ينظم العلاقة الخاصة بين الانسان وخالقه ، وبين نظام اجتماعى يحكم علاقاته العامة بمجتمعه ، لا ينجم عنه الا المزيد من التمزق بين قيم الناس وحياتهم ولا يؤدى الا الى تعميق الانفصام فى شخصية الانسان الذى يضـــاعف منه التطور المادى الذى يفوق التطور الروحى بالضرورة فى مجتمع الاستهلاك الجديد . وقد رأينا أن القانون يحل محل العرف وسلطة الجماعة فى تنظيم

حياة هذا المجتمع . ولكن القانون الذى يستند على قوة الردع الخارجية لا يستطيع تنظيم كل تفاصيل الحيــاة بالضرورة ، وســيظل أثره مرهونا بفعالية السلطة التى تنفذه ، فمتى ضعفت هذه السلطة أو انهارت تداعت ـ بالتالى ـ حياة الاجتماع . وفى ظل سلطة القانون تبرز وضوح الازدواجية التى تتمثل فى حياة خاصة لا ينظمها القانون الا بالقدر الذى تؤثر به على الحياة العامة ، ويقتصر القانون فيها على تنظيم العلاقات العامة تاركا أمر القيم والأخلاق وما اليها من حياة الناس الروحية والمعنوية خارج اطار سلطة القانون . فيكون هناك معياران : واحد يحكم علاقات الناس الخاصة وآخر يحكم علاقاتهم العامة ، وفى ذلك ما فيه من تجــاهل لحقيقــة : ان ما يفعله الانسان فى حياته الخاصة يؤثر بالضرورة على حياته العامة ، وأن اطلاق العنان لنزوات الأفراد وشهواتهم بدعوى حمــاية الحرية الفردية والشخصية، لاينجم عنه الا تدهور الحياة العامة ولايردع العابثين والمارقين الا خوفهم من القانون ، وكل ذلك يصيب شــخصيات الأفراد بالتمزق والانفصام ويحدث فى حياة المجتمع الانقسام والتفكك مما نشهد آثاره فى كثير من المجتمعات المعاصرة . وجاء الاسلام ليعيد الى الشخصية الانسانية وحدتها وتكاملها بربطهبينالقيمالتى تحكم مسلكها الخاص وبين تلكالتىتحكم مسلكها العام ، فليس هناك انفصال بين اخلاق خاصة وأخلاق عامة ، وانما هناك مسلك بشرى واحد يتجلى فى حياة الناس الخاصة والعــامة . وجاء ـ بالتالى ـ ليعيد الىالمجتمع تماسكه وروحه الجماعية. وكان علاج الاسلام لهذه الازدواجية فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع والتى تبدو على أشــدها فى مجتمع الاستهلاك وليد التجارة والصناعة أن نقل المجتمع الى داخل الفرد بأن جعل الفرد دولة داخل الدولة ، فان ادخال الدين فى حياة المجتمع الذى كان من أكبر منجزات الاسلام كان يستهدف فى المقام الأول صياغة شخصية الفرد البشرى ، صياغة يمتزج فيها الدينى بالدنيوى ، بحسبانهما وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح ضمير الفرد ضميرا اجتماعيا بالضرورة . ومن هنا كانت غاية العبادات فى الاسلام أن تؤثر فى حياة الأفراد التأثير الاجتماعى الذى يجعل من الحديث الشريف (الدين المعاملة) معيارا صادقا للحكم على فعالية العبادة . فبقدر ما تنعكس العبادة على سلوك الناس برا ورحمة وتكافلا اجتماعيا ، بقدر ما تكون عبادة فاعلة صادقة . فليست العبادة فى الاسلام عملا فرديا ، يخص الانسان فى علاقاته بربه فحسب وانما هى وسيلة

الانسان لشحذ طاقاته الروحية وتفجير قدراته الكامنة لاثراء حياة المجتمع، وهو فى تحقيقه لأهداف الحياة الاجتماعية الخيرة يحقق فى نفس الوقت ما يرجوه فى الآخرة لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، والطريق الى الآخرة لا يمر الا عن طريق الدنيا فمن صلحت دنياه صلحت آخرته ومن فسدت دنياه فسدت آخرته، بذلك أصبحت قيم الدين ومثله العليا أهدافا اجتماعيا ممكنة التحقيق فى حياة البشر بل ان هذه القيم والمثل التى ترسبت خلال القرون فى نفوس الأفراد عن طريق الممارسة للشعائر والمعاملات قد صاغت شخصيات الأفراد فى المجتمع المسلم صياغة عملية جعلت من معظم تعاليم الدين وقيمه دستورا للمواطنة ، لا يقرؤه المسلم فى الكتب ، بل يعيشه فى حياته الخاصة سلوكا منضبطا ، وفى حياته العامة مسئولية اجتماعية ، تجعل من التكافل والتضامن والتعاون أمرا من أمور العادة الراسخة التى تصل بين الناس بالرحمة والمحبة مما يجعل من حياة المجتمع المسلم حياة مكتفية بذاتها تنمو وتزدهر ، وان سقطت الدولة وانهار الجهاز الادارى والسياسى لأن مازرعه الاسلام فى النفوس من الروح الجماعية تجعل من كل فرد قيما على حياة المجتمع الذى ينتمى اليه ، فللفقير فى ماله حق معلوم،وللضعيف النصرة وللأمة الولاء والنجدة ، ولعله لقوة هذه الروح الجماعية ، صمدت المجتمعات المسلمة فى كل عصور الانهيار والظلام،ولعله لهذا السبب : لم يتوسع الاسلام فى تفصيل نظام الحكومة فيه لأنه كان يسعى الى خلق الفرد القوى الذى يمتزج فى ضميره الدين بالدنيا ، ليصبح فى معاملاته الخاصة والعامة صورة للمجتمع فى فرد ، فهو يحمل فى أعماقه كل قيم المجتمع التى هى قيمه الشخصية ، وهو فى محافظته عليها واحترامها لا يحافظ على شىء خارج عن ذاته ، فهو فى حفاظه عليها يحافظ على ذاته ، وبذلك فهو يحافظ على قيم المجتمع بدافع من ضميره لا خوفا من قانون ، أو رهبة من حاكم أو مداراة للمجتمع ، لأنه يخشى الله الذى هو فوق كل رقيب وفوق كل رادع ومن هنا كانت قمة الدين وهى الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . وبذلك كانت شخصية الفرد المسلم نسيجا حضاريا دقيق الصنع تمتزج فيه قيم الدين المترسبة عن العبادة بممارسات الحياة اليومية وترفد فيه المثل العليا سعى الانسان الدائب لتحقيق ذاته فى حياة المجتمع فيتم التكامل العضوى بين حياة الناس الخاصة وحياتهم العامة وتنمحى الازدواجية بين الايمان والعمل وبين الروح والجسد ويحدث

ذلك التوازن المثمر بين قوى الانسان المادية والمعنوية ، فتتكامل شخصية المسلم كفرد ، وتنعدم شخصيته فى حياة المجتمع كمواطن وتلك هى احدى مظاهر الوسطية التى جاء ذكرها ـ والله أعلم ـ فى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذلك هو المثل الأعلى الذى تسعى الانسانية الى تحقيقه : بأن يتطابق القول والفعل ، وان تصبح الأهداف والمثل العليا جزءا معاشا من حياة الناس اليومية ، فتكون العدالة والتسامح والتعاون وما اليها من مقومات الاجتماع أمورا من أمور العادة، يفعلها الناس بالسليقة والعفوية لأنها أصبحت بالتربية والممارسة جزءا من الكيان النفسى للأفراد والكيان الاجتماعى للجماعات .

وبذلك صاغ الدين حياة الأفراد صياغة اجتماعية بالغة الدقة، ومنح المجتمع علاقاته الثقافية والاجتماعية ، بحيث يصح أن نقول : أن الفرد المسلم فى كثير من جوانب شخصيته هو التجسيد الفعلى لقيم الدين كما تهيأت للظروف البيئية والتاريخية التى عاش فيها أن نستوعبها كلنا فى دخيلة انفسنا صياغة عملية للاسلام وصورة من صوره الفاعلة . ولكن الاسلام روح قبل أن يكون شكلا أو مظهرا خارجيا . وكلنا يختزن فى أعماق وجدانه هذه الروح وان لم نحس بأثرها فى كثير من الأحيان فى حياتنا وهذا الجمود والانفصام فى حياة المسلمين بين روح الدين الكامنة فى أعماقهم وبين واقع حياتهم ، انما يرجع الى ظروف التخلف وجهالات القرون التى غلفت هذه الروح فى أعماقهم بالادران والشوائب، فحجبت ضوءها عن الاشعاع فى حياة الناس المعاشة ومن ثم أصبح المسلمون يعيشون حياتهم جسدا بلا روح، فجسد الاسلام موجود فى كثير من العبادات والمعاملات التى يمارسها المسلمون ولكنها ممارسة تعوزها الروح والايمان ، ولكن الاسلام رغم كل ذلك باق فى النفوس لأنه ممتزج بالروح والكيان ولا يستطيع المسلم أن يتخلى عن اسلامه الا اذا استطاع أن يتخلى عن روحه . وتلك هى احدى مظاهر التجديد الذى جاء به الاسلام لمواجهة تحديات الحياة الحديثه التى تمزق النفوس وتحول بينها وتحقيق التوازن اللازم لسلامة الحياة وازدهار المجتمع . فان الدين لم يعد عبادة خاصة وانما أصبح أسلوب حياة وصياغة وجود وكيان مجتمع . فالاسلام بالنسبة للمسلم ليس دينا بالمفهوم الغربى يتركه ان شاء ويبقيه ان أراد ، وانما هو شخصية ومجتمع وحضارة وهو فوق كل ذلك

تكوين نفسى وأنتماء قومى . فأن أنت جردت المسلم من اسلامه فأنت لا تجرده من دين، واما تجرده من كل مقومات وجوده الانسانية والاجتماعية والحضارية،لأن كل مرتكزات حياته الشخصية والاجتماعية قائمة علىتراثه الدينى . ومن ثم كانت العلمانية بمعناها الأوروبى لا معنى لها ولا مدلول فى حياة المجتمع المسلم لأن هذا الفصل الحاد بين الدين والدولة من ناحية وبين الدين كعلاقة خاصة وبين المجتمع كنشاط عام من ناحية ، أمر خاص بالمجتمعات المسيحية التى لا يلعب الدين فى حياتها الا دورا خاصا ، أما بقية حياة المجتمع مستمد أسسها من التراث الاغريقى الرومانى وما اليه من موروثات الشعوب الأوروبية القديمة التى تأثرت بالتعاليم المسيحية .

والسؤال الكبير الذى يجبهنا بعد كل هذا الكلام هو : كيف نفسر تدهور الاسلام كحضارة وتدهور المسلمين الذين هم صياغة هذه الحضارة ؟ كيف تدهورت حضارة الاسلام ، وقد قلنا : ان ما جاء به هو خط السير الأمثل للبشرية فى تطورها خلال أزمات عصور التجارة والصناعة وهو فى ذلك تعبير عن مرحلة تاريخية فاصلة انتقلت فيها البشرية بنقلتها الاقتصادية الى مرحلة نضوج العقل الانسانى فكان القرآن رمزا لهذا التحول فى مسار البشرية ، اذ انه دعوة العقل والفكر فى منهجه وأحكامه وقد كان فى كل ذلك معجزة عقلية اذ أن معجزات الرسل من قبله كانت كلها خوارق للطبيعة لتستقيم مع طبيعة العقول البشرية التى كانت تتحسس سبيلها عن طريق التلمس والمشاهدة ، الى مرحلة التجريد والتفكير المطلق ، فكانت معجزة الاسلام : كلمة موجهة الى العقل ، هى القرآن وكانت أول كلمة تنزل منه هى اقرأ . وكان القرآن منهج حياة ودستور سلوك فأقام حضارة وصنع بشرا من نوع جديد ، فكيف انقطع بكل ذلك السبيل ؟ وكيف أصبحنا فى هذا الزمان الذى اشتدت فيه حاجة الانسانية أكثر من أى وقت مضى الى منهج الاسلام فى تكامل قوى الانسان ، وربط الفرد بالمجتمع ربطا عضويا بحيث يكون الفرد دولة داخل الدولة ، وانصهار قيم الدين فى سلوك الأفراد وعلاقات الجماعات أصبحنا فى وقت الحاجة هذا نفتقد الاسلام ونفتقد المسلمين .

يقينى ان الاسلام مثلما كان نظاما فى الماضى والحاضر لمجموعات كبيرة من البشر لمدى أربعة عشر قرنا ، فهو نظام المستقبل للبشرية جمعاءولايقاس الاسلام فى ذلك بالمسلمين . فان الاسلام هو التحدى الكبير الذى لا يواجه

المسلمين وحدهم، وانما يواجه الناس جميعا فيما يجب أن يكون عليه مستقبل الحياة على الأرض . الاسلام فى حقيقته سعى موصول لخلق الانسان الجديد بخلافة الله على الأرض بأحداث التوازن والتكامل داخل نفس الفرد من ناحية وداخل حياة المجتمع من ناحية أخرى ، فتلتقى الأرض بالسماء لتحقيق قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اذ العبادة هى الصورة المنجزة للحياة الفاضلة التى هى صورة الاسلام كما يجب أن يتحقق فى دنيا الناس. والاسلام حركة نشطة ومجاهدة لا تفتر ، وصراع دائب لتطويع النفس وتطويع الحياة لبلوغ ذلك التوازن الدقيق الذى يحقق وسطية الاسلام ، وهو توازن لا يستقر لحظة الا ليختل فى اللحظة التالية، لأن سنة الحياة التغيير والتطور ،ولابد للناس أن يوالوا هذا التغيير والتطور بمواصلة المجاهدة والاجتهاد، ليحيا الاسلام حياة عضوية متجددة تسمح لحركة المجتمع الدائبة أن تنطلق فى اطار الاسلام العام دون أن تخرج على جوهره الذى يوجه هذه الحركة ولايشلها .والذين يظنون ان الاسلام نظام جاهز فى عمومه وتفصيلاته، وما عليهم الا تطبيقه، واهمون حالمون اذ الاسلام حركة الحياة فى تطورها وتغيرها ولن يقوى عليه وعلى معايشته الا الفاعلون المتطورون الذين يلاحقون حركة الحياة بفكرهم وعملهم، فيعيشون مشاكلها بعقولهم ووجدانهم ويستنبطون لها الحلول بوحى من ايمانهم ومن دينهم، ومن ثم ازدهر الاسلام فى عهده الأول اذ عاشه الأوائل بقلوبهم وعقولهم وتفاعلوا معه فى حياتهم اليومية ، فكانت حياتهم المعاشة صورة من صور النضال والجهاد لتطويع النفوس وتطويع الحياة لبلوغ المثل الأعلى الذى يهدف اليه الاسلام . وبفعل هذه المعايشة تطورت الحياة وازدهرت الثقافة وعاش الاسلام فى قلوب الناس وحياتهم مسلكا ومعاملة وحضارة . فكانت الفلسفة وكان الفقه وكانت علوم الطبيعة وكانت الوحدة العضوية فى الشخصية المسلمة ، وفى الحضارة وفى المجتمع ، وكانت تلك التجربة الفذة — التى لم تعش لأكثر من ثلاثة قرون — هى التى غيرت مجرى التاريخ البشرى وهى التى ظل يتردد صداها فى نفوس المسلمين وعقولهم وحياتهم لأكثر من ألف عام تالية . فان ما رسخ فى نفوس المسلمين وصاغ وجودهم وانطوت عليه صدورهم فى كل عصور التخلف والجمود — حتى عصرنا هذا لهو قبس من تلك النار الخالدة التى اشتعلت فى القلوب والعقول لفترة من الزمن فأحرقت الجهالات واضاءت ظلمات القرون ولم يزل وهجها باقيا فى أعماق النفوس بعد خمود جذوتها بقرون طويلة .

كان الاسلام فى قرونه الأولى اسلاما فاعلا قويا لأنه كان اسلاما معاشا تنطلق منه الجهود وتنبثق التخصصات اذ كان هو الاستراتيجية الكبرى التى تتوجه منها حركة المجتمع فكان هناك تكامل فى حيـاة المجتمع وكان هناك بالتالى تـكامل فى ثقافة المجتمع وفكره . كان الدين بمعنـاه الضيق جزءا فاعلا من حركة المجتمع فكان الفقه قانونا للتعامل ، وكان الـكلام والفلسفة تعبيرا عن قضايا معاشة وكانت العلوم والفنون تعكس فى صدق هذا الزخم العقلى الذى فجره القرآن فى حياة المسلمين وعقولهم .

ثم توالت النكبات على المسلمين فأصيبت الدولة بالتشتت والتمزق وضاعت الجهود فى الصراع الداخلى فانبرى الأعداء من الخارج، من صليبيين وتتار وصليبيين جدد، يقوضون ما بقى من البناء وانهارت الدولة المركزية واضمحلت الموارد الاقتصادية بارتباك التجارة وتدهور الزراعة وارتد معظم العالم الاسلامى الى ضرب من الاقتصاد البدائى المحدود فتقلص ــ بالتالى ــ الرخاء الاجتماعى وتقلص معه النشاط الفكرى الذى كان يعتمد عليه، فجمد الفقه وتوقف العلماء عن الاجتهاد بتوقف دولاب الحيـاة الاقتصـادية والثقافية ، وجفت روافد الفلسفة وعلوم الطبيعة ، ولم يبق الا ذلك القدر المشترك من ثقافة المجتمع القائم على المعارف الدينية الصرف المبتورة عن روافدها التى تصلها بعقول الناس وحركة المجتمع . وبتقلص النشـاط الاقتصادى والثقافى جمدت حركة المجتمع وضاقت حياة الناس وعقولهم ، فأصبحت كثير من المعارف والعلوم والفنون التى كانت تعبر عن فعـالية المجتمع فى طور الازدهار والحركة، لا معنى لها ولا مدلول فى حياة الجمود التى انتهت اليها حياة المسلمين . وانحسرت بالتدريج كل العلوم التى تغذى عقول الناس وتكسب حياتهم القدرة على التطور الذاتى . وانحصرت المعارف فى ذلك القدر اللازم الذى لا بقاء للمجتمع بدونه . وما دامت حياة المسـلمين قد جمدت واعترتها الرتابة فقد تقلص ــ بالتالى ــ الاسلام من نظام شامل لحركة الحياة فى كل أبعادها الى نظام دينى ضيق يتمسك الناس فيـه بالحرفيات الجاهزة، ويخطئون الروح الفاعلة. وظل الناس يجترون ما جادت به قرائح أسلافهم دون كبير تغيير ، حتى العصور الحديثة التى أصابت المجتمع المسلم بصدمة حضارية بالغة العنف ، هزت منه الكيان ، وحركت الوجدان ، فاقامه بعد طول سبات ليجد وجوده مهددا بالفناء، وماظل يحافظ

عليه طوال القرون معرضا للأمحاء والزوال . لم يكن المجتمع المسلم حيا وانما كان يجتر الحياة خلفا عن سلف وبالتالى ذهبت حيوية الاسلام وأصبح رسما بعد عين وأصبح كل شيء فى حياة المسلمين يجرى مجرى العادة وانفصلت صلتهم بروح تراثهم وجردتهم الهجمة الاستعمارية الأخيرة حتى من ذلك القدر اللازم لبقاء المجتمع المسلم الذى ظل المسلمون يجترونه ولكنه على أى حال ماثل فى وجودهم ، وان أخطأته الروح ، فتقلصت الشريعة التى كانت تمثل النظام القانونى للمجتمع وانحصرت فى الأحوال الشخصية وحلت محلها فى كل معاملات المجتمع الأخرى ، القوانين الأروبية ، وحوصر نظام التعليم الاسلامى الذى كان يرفد شخصية المجتمع،وحل محله تعليم مدنى يستمد أسسه وفلسفته من نظام التعليم الأوروبى ، وقل مثل ذلك فى الزى ومظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية الأخرى . وقد تم كل ذلك والمجتمع المسلم فى غياب عن ماضيه وحاضره يقضى الآخرون فى أمره ، وهو لا يملك الا حيلة العاجز : التحسر السالب ، والرضى على مضض .

ولسنا هنا فى مقام تحليل مظاهر الغزو الأوروبى الذى استهدف كيان الشخصية المسلمة وسعى الى بترها عن جذورها الفكرية والروحية لتصبح فى نهاية المطاف نسخة مكرورة مشوهة للشخصية الغربية ، ولكن الذى يهمنا هنا هو أن مرحلة ما بعد الاستعمار تتطلب من شعوب العالم الثالث ومن بينها الشعوب الاسلامية نظرة جديدة الى ماضيها وحاضرها . فقد ذهب بذهاب التسلط الاستعمارى ذلك الوهم الكبير الذى مكن له المستعمرون فى عقول المتعلمين من أبناء شعوب العالم الثالث ، بخلطهم بين مظاهر الحضارة الغربيةالعامة التى لا وطن لها لأن العلم والتكنولوجيا لا وطن لها وهىحصيلة العقل البشرى ،وهى – بالتالى – ملك لكل البشر،وبين مظاهر الثقافات القومية للشعوبالغربية.ويقتضى ذلك منها نظرة فاحصة شجاعة الى مرحلة الاستعمار نزيل بها كل ما علق بوجودنا من آثار فرضت علينا ،ونحن فى غيبة عن وعينا وذلك كثير فى مجال القوانين ومناهج التعليم ويقتضى ذلك منا فوق ذلك نظرة أكثر شجاعة الى مرحلة ما قبل الاستعمار ففيها يكمن كثير من الداء الذى لم يكن ما نشره الاستعمار الا امتدادا له . لقد جمد مجتمعنا آنذاك فجمد اسلامنا ،والآن – ومجتمعنا يستعيد قدرا منطاقته علىالحركة – فلابد أن ينشط اسلامنا ويستعيد كثيرا من الأراضى التى فقدها فى مرحلة

الضياع والجمود قبل الغزوات الاستعمارية ، ويستعيد أيضا الأراضى المستعمرة فى خريطة حياتنا الاجتماعية والثقافية التى وضع فيها الاستعمار نظمه وأفكاره حين بدأت حياتنا تتحرك فى العصور الأخيرة بتوجيه من الدول المحتلة . وكل ذلك يجب أن لا يفقدنا توازننا بحيث تكون رجعتنا الى الماضى انصرافا عن الحاضر والمستقبل ، بل لابد أن تكون عودتنا الى المنابع والجذور عودة موجهة بزحم الحاضر، مشبعة بقضايا الساعة، موصولة الأسباب بروح العصر . ولا ينفع فى ذلك التلفيق والاختيار والتوفيق بين المتناقضات . بل ان معركة الحاضر والمستقبل تتلخص فى قدرتنا على استعادة أصالة شخصيتنا القومية التى هى كامنة فى نفس كل منا وتنتظر لحظة الانطلاق لتشع على حياتنا قوة ومنعة وابداعا .

ولا يكون ذلك باصلاحات جزئية لمناطق الخلل فى المجتمع ، بل باستعادة المفهوم الاسلامى للدين فى جياة المجتمع ، ونحن ــ اذ نستعيد هذا المفهوم ــ لا نأتى بشيء جديد غائب عن وجودنا كل الغيبة ، بل نعيد باستعادته اكتشاف حقيقة أنفسنا ، اذ أننا جميعا التجسيد الحى لهذا المفهوم كما يتجلى فى سلوكنا وعلاقاتنا الاجتماعية التي هى وليدة الدين ، كحضارة ، وكنظام اجتماعي وكأسلوب شامل للحياة . ونحن ــ اذ نكتشف أنفسنا بهذه الطريقة ــ نكتشف تفردنا القومي والحضارى فى مواجهة كل التحديات القومية التى تسعى عن طريقها شعوب العالم الغربى لتجريد شعوب العالم الثالث من اكتشاف مصادر القوة والأصالة فى حضاراتها وثقافتها القومية. الرجعة الى التراث بمعناه الانسانى الواسع ، رجعة الى أصولنا القومية ، وتأكيد للذواتنا فى عالم لا يتقدم فيه الا الأصلاء الفاعلون . وفى تجربة الجزائر المناضلة صورة صادقة من صور البعث القومى ، التى يتوجب على شعوب العالم الثالث معاناتها كمرحلة أولى من مراحل الانطلاق والانعتاق فى عالم ما بعد الاستعمار .

وباستعادتنا لهذا المفهوم للثقافة القومية ، التى هى عصب الحياة للشخصية القومية، تتداعى كل صنوف التهويل، التى صاغتها أبواق الدعاية الاستعمارية فى سبيل وصل ماضى الناس بحاضرهم . فمتى اتخذ القوم من حضارتهم وقيمها ومنهجها مرتكزا لتطورهم الاجتماعى انصرف كل المجتمع أطفالا ورجالا ونساء ومؤسسات وأجهزة الى التراث القومى يستمدون منه منطلقاتهم وتصوراتهم وهم ــ اذ يفعلون ذلك ــ يكونون معبرين بحق عما تكنه

ضمائرهم مستوحين شخصياتهم الحقيقية التى صاغها الاسلام على الزمن ثم جمدت وتشوهت ونسيت خلال قرون الغربة والظلام والسلبية التى حالت بين المسلمين وحقيقة أنفسهم . وبذلك وحده تمحى هذه الازدواجية التى تمزق شخصية الفرد المسلم الذى يكتنز فى أعماقه الشخصية المسلمة ولكنه يمارس فى واقع حياته ألوانا من السلوك والمعاملات مستمدة من حضارة أخرى قد تخالف فى قيمها ومنطلقاتها كثيرا مما هو راسخ فى النفس فتتمزق النفس بين باطن لا يجد سبيله الى الحياة وبين ظاهر يستمد وحيه من خارج النفس ، وقد فرض فى كثير من الأحوال بقوة الاستعمار .
والذين يفهمون هذه العودة الى حقيقة الشخصية القومية،كعودة الى مظاهر بعينها غائبة عن حياة بعض المسلمين اليوم،كالحدود وما اليها يفهمون الاسلام فهما سطحيا يؤكد المعنى الضيق للدين الذى هو المفهوم الغربى . فان هذه الأحكام وما اليها لا تمثل الا الجوانب القصية من حياة المجتمع المسلم حيث يلجأ الناس الى القضاء والمحاكم بعد أن تفشل كل السبل والأساليب التى ابتدعها الاسلام لخلق المواطن الصالح الذى هو دولة داخل الدولة . . ومتى فهم الناس الاسلام كأسلوب حياة رفيع لخلق المواطن الانسان الذى وطنه العالم تضاءل دور كل هذه الأحكام فى النظام الاجتماعى العام وأصبحت من الضرورات التى لا يلجأ اليها الا فى نهاية المطاف لأن آخر الدواء الكى .
هكذا كان مكان هذه الأحكام فى حياة المسلمين الأوائل ، لأنهم حين عاشوا حياة الاسلام العريضة عصموا أنفسهم عن الزنا وعن السرقة وما اليها بدافع من الداخل لا خوفا من الحد ، بل واعترف منهم من ارتكبها وطلب تطبيق الحد عليه كدليل ناصع على فعالية النظام الاجتماعى الذى يربى مثل هذه النفوس الكاملة . ومن البديهيات التى غابت عن أذهان المسلمين لكثرة ما ألفوا حياة الخمول والبحث عن تحقيق ذواتهم فى تقليدالآخرين بدلالاكتفاء على نفوسهم والصدور عنها ، فى كل ما يتعلق بتطوير حياتهم . ان اسلامهم المفقود لا يقبع فى الماضى بقدر ما يقبع فى دخيلة كل فرد منهم ، ولكنه ــ كما قلنا ــ اسلام مكرور ، فاقد للروح يمارسه الناس بحكم العادة والتقليد وقد جهلوا كثيرا من أسسه الفلسفية والعقلية التى تمنحه جواز المرور لحياتهم الفاعلة ، واتصال الناس بتراثهم واجالة الذهن فيه لا يمنح الحياة لسلوك المسلمين فحسب،بل يمنحه التبرير العقلى ، فلا يكون سلوكا تقليديا نترسم فيه خطى الأوائل من باب الواجب أو البركة ،بل يكون سلوكا نابعا عناقتناع

وتبرير ووعى . واستعادة الوعى لثقافتنا وشخصيتنا الحضارية هى القضية العاجلة . لأنه عن طريق ذلك وحده تتكامل حياتنا بتكامل ثقافتنا . اذ التراث ليس هو الصورة الفكرية لوجودنا فحسب بل هو المرشد العملى لحياتنا فى نفس الوقت . ومنه تستمد الشخصية المسلمة مواضعاتها الفكرية الى جانب ممارساتها الفعلية. فالفقه ــ مثلا ــ ليس مجرد أحكام قانونية وثقافة عامة وانما هو الى ــ جانب ذلك ــ مجموعة القواعد التى يجب على المسلم تطبيقها ليصبح مواطنا انسانا أى مسلما . فالمطلوب منه ليس حفظها واجترارها كعلم فحسب بل الأهم من ذلك معايشتها والسير على هداها فى حياته اليومية فهو دستور المواطنة التى تحدد مظاهر سلوكه الخاص وتبلور علاقات مجتمعه العامة. فباب الطهارة ــ مثلا ــ ليس ثقافة فحسب، بل هو ارشادات عملية لتحقيق النظافة التى هى جزء لا يتجزأ من الايمان ، وقل مثل ذلك فى كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات . وعن طريق المدارسة والممارسة للتراث تصبح معظم المعارف الدينية قدرا مشتركا بين كل أفراد المجتمع لا يتلقونه فى المدرسة فحسب بل يعيشونه فى كل جوانب مجتمعهم مثلما يتنفسون الهواء . فيكون التراث الاستراتيجية الكبرى التى تنطلق منها كل أوجه النشاط فى المجتمع كحياة ، ومنه تنطلق كل التخصصات العلمية والعملية كثقافة ، فيكون الطبيب ويكون المهندس ويكون القاضى ومن اليهم الذين تشبعوا بثقافتهم القومية وتشربوا أسس المواطنة التى تمنحها هذه الثقافة وتشكل بها شخصية الفرد والجماعة ، وبذلك تستعيد الثقافة وحدتها كما استعاد المجتمع بالرجعة الى ذاته: وحدته وتكامله ولا يتطور التراث بالنظر العقلى وحده بل بالمعايشة وملاصقة الواقع واجراء التعديل فى ميدان التجريب والممارسة. ان استعادة هذه الشخصية القومية بالارتكاز الواعى على موروثها الحضارى ووصلها بروح العصر لهو السبيل الوحيد المتاح للشعوب المسلمة لتلعب دورها أولا فى بعث حضارتها ولتجلو للبشرية ثانيا صورة الاسلام الحى فى عصر ما بعد الاستعمار لحل مشاكل البشرية فى زمان فقد فيه العالم توازنه بتغليب جانب المادة على جانب الروح مثلما فعل الاسلام فى القرن السابع الميلادى فأحدث معجزة التوازن الخلاق فى حياة الأفراد وفى حياة الجماعات وظل على الزمن باقيا فى النفوس رغم كل الظروف، ينتظر لحظة البعث ليعيد الى المسلمين أصالتهم والى البشرية توازنها .

من منشورات

دار البحوث العلمية

مكتبة القانون الاسلامي

مجلة الأحكام العدلية

مشروع موسوعة الفقه الإسلامي

هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي

* * *

مفاهيم اقتصادية

تفسير آيات الربا

الربا ودوره في استغلال ثروات الشعوب

بحوث في الربا

التأمين الأصيل والبديل

وضع الربا في البناء الاقتصادي

* * *

مختصر شعب الإيمان

الحج (بالانجليزية)

الحج (بالتركية)

القرآن والقصة الحديثة

الفهرس الهجائي لكتاب المغني

الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي

البعد الخامس

دستور الأخلاق في القرآن

القوى الخفية التي تحكم العالم

أبعاد العبادات فى الإسلام

د . اسماعيل راجى الفاروقى (*)

تمهيد :

اصطلح القول على تسمية الشعائر الاسلامية بالعبادات . الا أن هذا الاصطلاح خاطىء ومرفوض . فالعبادة فى الاسلام ليست الشعيرة فقط . ويمكن القول بأن الشعائر كلها هى الحد الأدنى للتعبد الاسلامى . الاسلام لا يقسم الحياة الى دين ودنيا ، بل يجمعهما معا فى اطار واحد ، هو الاسلام، فحراثة الأرض والانتاج فى المصنع أو المكتب عبادة ، والحمل وتربية النسل، وعناية البيت عبادة ، والجهاد المسلح والترفيه عن النفس المرهقة عبادة، والتفقه فى الدين والكيمياء عبادة .

لنوسع اذا تفهمنا للعبادات فنرى فيها التعبد الاسلامى ونأخذها نقطة انطلاق لبحث اعم واشمل . ولنعى انه لا يمكننا تحديد جميع الابعاد بكاملها ، ذلك ان التعبد من أمر الله ولا يحيط احد بعلم الله وحكمته . فالممكن هو محاولة تبيان ما يتراءى لنا من فضائل التعبد والاكتفاء بالأهم منها ، أى بما له مساس قوى بنهضتنا الحديثة ، لاسيما بما اخفقنا فى تحقيقه منها .

---

* جامعة تامبل ، فيلادلفيا ، الولايات المتحدة ورئيس رابطة العلماء الاجتماعيين المسلمين بأمريكا .

البعد الاقتصادى :

افهم بالبعد الاقتصادى للتعبد الاسلامى البعد المادى عموما ، المؤلف من جميع انواع الخير المـادى من بقاء وصحة وقوة علمية وتنظيمية ومادية للتغلب على المشاكل والأزمات والتخلص من آثارها . وأفهم أيضا بالبعد الاقتصادى رفاهية خلاقة تعاضد الروحانية وتساندها . فماذا يقـدم لنا التعبد الاسلامى فى هذا المضمار ؟

يقول لنـا الاسـلام أن الله تعـالى خلق الانسان ليكون له خليفة فى الأرض . وأن معنى هذه الخلافة هو تحويل المخلوقات كلها الى ما يطابق أمر الله وارادته ، ويقول لنا أيضا ان الهدف المرغوب فى التحويل هو أخلاقية الانسان وسعادته وجعل هذه الأرض جنة يجزى الانسان فيها قسطا من الجزاء الاكبر .

ويصر الاسلام : ان للانسان أن يصنع تاريخه بيده. فكل نفس بما عملت رهينة ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وان الانسان اذا عمل فسيرى عمله الله ورسوله والمؤمنون ، اى أن لابد لعمله الجاد من أن يؤتى ثماره المرجوة . فالحياة ليست عبثا وليست الأرض شرا . بل وضع الله فى الانسان من المواهب والمقدرة ما يضمن تحويل ما هو كائن الى ما يجب ان يكون . ويقول لنا الاسلام أيضا أن الصلاة تدفع الى المعروف وتمنع عن المنكر ، وان رمضـان هو شـهر البركات ، وان الزكاة خير محض مادى ومعنوى ، اى فلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى .

اذا كان هذا هو البعد المادى العام للتعبد الاسلامى ، فما ينطوى عليه هذا التعبد من معان اقتصادية ؟ .

(أ) **العمل** . خلق الانسان ليعمل ، وعمله هو تعبده . فلا فلاح ولا خير ولا نفع ولا تغيير لشر ومكروه الا بعمل . والعمل هو الكد والجهد والبذل والانتاج فى كل حقل من حقول الحياة . فالذى لا يعمل يمكن أن يكون بوذيا حكم على الخلق بأنه كله شر لا خير فيه ، أو مسيحيا أقعد نفسه انتظارا لمخلصه لينشله من الوجود الشرير الى غير رجعة ، أو لادينيا متهكما آمن بعبث الوجود كله . ولكنه ، اى الذى لا يعمل ، لا يمكن ان يكون مسلما . ونحن المسلمون عموما مخفقون فى طاعة أمر الله : بأن اعملوا . اذ لا نعمل بربع ما فينا من طاقة سواء كنا فلاحين أم حكاما . ولعل العمال الصناعيين هم الوحيدون بين المسلمين الذين يعملون الحد الأدنى كل يوم . وليس ذلك تطوعا منهم بل اجبرهم التنظيم الصناعى الذى يعملون فيه . وأسوأ المسلمين موظفو الحكومات . وما أحرى المسلم بأن يذكر بأنه بدون عمل لا يستقيم له سوى الفقر . والفقر من وعد الشيطان .

(ب) **شرف المعاملة** . على المسلم أن يعمل بشرف ، أن يبيع ويشترى بشرف ، ويخدم وينتج بشرف ، ويستهلك ويستعمل بشرف . وهو ، أن آمن بأن الله يراه ، وانه تعالى سيحاسبه عن كل ما يعمل، ولو كان مثقال ذرة ، فانه سيعمل بشرف . عندئذ لا حاجة للمفاصلة فى البيع والشراء فمن الشرف أن يكون السعر علنيا وواحدا للجميع . عندئذ يحترس العامل على مال غيره أشد من احتراسه على ماله الخاص . عندئذ يكون تنفيذ العامل لخطة مديره كاملا لا يحتاج لتفتيش . عندئذ يكون استعمال الناس لمرافقهم العامة من طرق وحدائق ووسائل مواصلات وغيرها أمينا لا تشو به شائبة .

(ج) **الزكاة** : يكسب المسلم رزقه من عمل مشروع . فلا يجوز له ان يرتزق من تعاطى الخمور والفساد والسرقة بل من عمل ينفع الناس ، فان حصل على الربح اعتبره حراما عليه الى أن يزكى ، أى الى أن ترفع منه حصة الله وهى حصة المجتمع . ففى هذه التزكية يحقق المسلم مغنى انتمائه للأمة . اذ لا اسلام بدون امة ولا امة بدون زكاة . وما احلى أن يدفع المسلم بحصته من نفقات الأمة طوعا وتعبدا لله تعالى فيطيب خاطره وتشحذ همته بدل أن يدفعها قهرا كضريبة الزمته بها حكومة عاتية .

وللزكاة فضل اقتصادى عظيم ، هى انها تستنزف المال الجامد . فهى لا تبقى عليه بل تستنزفه تماما على مدة اربعين عاما اى متوسط الجيل الواحد . ولهذا هى تدفع صاحب المال الى الإسهام به فى عملية او مشروع انتاجى يجلب الرزق على العمال والموظفين ويزيد المال خيرا . والزكاة تتفوق على ضريبة الدخل المستحدثة من الغرب . فالمال ان اديت عنه ضريبة الدخل يمكن له ان يتجمد اذ لا تمسه الضريبة مرتين . بينما الزكاة تمسه طالما أنه موجود . ولهذا كان من نتائجها الحتمية اسهام مدخرات الناس كلها فى الانتاج القومى .

ولنفس الغرض ، حرم الاسلام كنز الذهب والفضة ، وحرم الاحتكار والتلاعب بالاسعار . فهو يريد للمال الحركة حتى تعم المنفعة على الجميع . وما أقرب الاقتصاد الحديث الى الاسلام عندما يسمى الجمود بكلمة arteris - sceleosisrsts المستعارة من الطب . فهى تعنى تعثر المجارى الدموية . فالأمة ذات المجارى المالية العثرة لا تنتج ولا تستهلك ، والتى لا تنتج لا خير فيها . يريد التعبد الاسلامى المجتمع ذا الشرايين

المالية المفتوحة التى يجرى فيها المـال بسرعة ونشـاط . وهذا هو المجتمع الذى ينتج اكثر مما يستهلك ، ويستهلك كل ما يحتاجه كفافا دون تبذير ، تتوفر فيه الطيبات والزينة والخيل المطهمة والحلى لجميع الناس ، فضلا عن ضروريات المعيشة .

لنسأل انفسنا أين نحن من تحقيق هذا البعد الاقتصادى للتعبد الاسلامى ؟ نحن بعيدون كل البعد . لسنا خـلائف الله فى الأرض بـل المتخلفون فيها . وليس تخلفنا الا لاخفاقنا بواجبات الاسلام . ولو قمنا بما أمرنا الله به ، لكنا الاسبقين .

يقع معظم الحق فى تخلفنـا على حكوماتنا ، فهى ضـعيفة البصر والبصيرة . وكل حكومة غير جديرة بحكمها اذا لم تستطع تنظيم حياة ابنائها بشكل يضمن مصاريفهم فى الصغر والشيخوخة بعائد انتاجهم فى ربيع حياتهم . فالانسان يمكنه أن ينتج خلال خمسين سنة ويتعذر انتاجه فى الصغر والعجز بنصف مدة انتاجه . فالفقر فى يومنا هذا هو اخفاق الحكومة فى تنظيم الحياة ، فى عدم اعدادها للناس للمساهمة فى الانتاج الفعـال . ولا عذر قط لأية حكومة مهما قلت مواردها . أما انتاج الزيوت المعدنية ، فهو ليس انتاجا فى عرفنا الحاضر . بل هو منحة قذف الله بها لنا ليمتحنا : فان عملنا بما أمر نصرنا على أعدائنا وأيدنا بروح منه وكتب لنا الفلاح . وان لم نعمل بدلنا بمن هو خير منا . نحن امام معركة وجود وعدم وجود .

البعد السياسى :

للبعد السياسى أربعة أركان : الوحدة والمساواة والعدل والتعبئة . أما الوحدة : فهى اتحاد المسلمين يقينا وعملا على أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وعلى اقامة الصلاة والجهاد صفا واحدا وتحقيق البر والتقوى يدا واحدة ، والتآخى والتواصى كأنهم البنيان المرصوص . ليست الوحدة التى يريدها الاسلام تجمهرا أو مظاهرة أو صيحة بل اجماعا على مستويات ثلاثة : اجماع فكرى واجماع ارادى واجماع عملى :

(أ) **وحدة الاجماع** : الاجماع الفكرى هو وعى المسلمين بأنهم أمة من دون الناس أراد الله لها أن تكون وسطا فى البشر وهو اقرار كل فرد بهـذا المبدأ وتفهمه لفحواه من توحيد وقيم تفهما واضحا مسؤولا . وليس هذا

الاجماع متوقفا جامدا يحقق مرة والى الأبد ، بل متحركا خلاقا بتفاعل مع الزمن ويجدد أهميته لأطواره المتتالية . وهو اذ يتحرك لا يتحرك عفويا أو انفراديا بل ضمن تنظيمات ومدارس ومعاهد ومجامع وندوات ، يتفاعل فيها العلماء والاخصائيون مع عامة الناس فى أخذ وعطاء . ويكون له المنابر والصفحات المطبوعة الناطقة باسمه .

الاجماع الارادى : هو تصديق الرؤيا التى تضمنها الاجماع الفكرى والتقرير بالعزم على تحقيقها أو الموت فى سبيلها كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه عمه أبو طالب التخلى عن الاسلام . الاجماع الارادى ليس تعسفيا محتكرا لأفراد قلائل : غضبت الأمة ان غضبوا وفرحت ان فرحوا . بل تكون له منظماته على جميع مستويات الأمة . فالأمة ان غضبت أو هللت فعلت ذلك عن فهم وادراك وعزم واصرار ضمن تنظيماتها .

الاجماع العملى : وهو العمل الجماعى من قبل الأمة قياما بما قررت قيادتها تنفيذه من خطط وأعمال . يعرف فيه كل فرد مكانه وواجبه ، وكل منظمة واجباتها والانجازات المتوقعة منها .

والتنظيم على هذه المستويات الثلاثة هو الذى يحرك الدولة ويمنحها قوتها واستقرارها وهو قوام عليها ، لا هى عليه . وهو ضمان نجاحها وان ترأسها مجنون أو ضعيف فهو الوازع العالم الحكيم ذو النظر البعيد . وهو المنسق لسياسة الدولة وان اختلف قادتها مع بعضهم البعض أو عن خلفهم أو سلفهم . والتنظيم هذا هو الفرق بين الجد والهزل ، بين الارتجال العاطفى ونظر صانع التاريخ .

فالوحدة الاسلامية الكبرى التى نرجوها لا معنى لها سوى هذه الاجماعات الثلاثة والتنظيمات المجسمة لها . فان قامت وحدتنا على غيرها فهى وحدة مصرية سورية لا تلبث أن تنفصم عراها ، أو وحدة هاشمية (بين عمان وبغداد سنة ١٩٥٨) لم تذكر بعد انعقادها لا بخير ولا بشر وكأنها لم تكن .

(ب) **المساواة :** وهى الركن الثانى للبعد السياسى . كان الاسلام - باقراره مساواة البشر - أصرح الأديان جميعا وأبعد الأيديولوجيات شمولا .

فالمساواة من قيم الاسلام الكبرى ، وهى الجانب الانسانى لتوحيد الله سبحانه وتعالى . فالشهادة بأن لا اله الا الله، تعنى : بأن كل ما هو دونه مخلوق يدين له بوجوده وحياته . والانسانية كلها سواء فى مخلوقيتها . وعليه : كل تفرقة بين الانسان والانسان لا تقوم على التقوى أو العلم او العمل الصالح خرق لوحدانية الله تعالى . ان تسوية صفوف المسلمين فى الصلاة وضمهم الكتف الى الكتف والساق الى الساق حتى لا ينفذ الشيطان من بينهم كما قال الحديث الشريف ، تعنى أن المسلمين سواسية كأسنان المشط ، كلهم ، مليارهم بكامله .

(ج) **العـــدل** : هو ركن من أركان التوحيـــد . ذلك لأن وجود الله ووحدانيته يتعارضان مع الظلم انى وقع . والعــدل مفهوم النظام الكونى كما هو مفهوم نظام الأمة والجماعة . من الظلم أن يكون للعــدالة ســـعر يدفع للحصول عليها . يجب أن يكون للعــدالة هيبتها بحيث لا يطلبهـــا الا المظلوم الحقيقى . لكن المظلوم يجب ان يطمئن الى أن العدالة معه ، أى انه كبير عندها الى أن يعادله حقه وان الظالم صغير عندها الى أن يعيد للمظلوم حقه ، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(د) **التعبئة** : وهى الاستعداد المستمر والعمل الدائب لتحقيق ارادة الله كما اجمعت على تفهمها الأمة وعزمت عليها . فالدول الحديثة تعبىء شعوبها وجيوشها فى حالة الحرب للذود عن وطنها ثم تسرحهـــا فى حالة السلام . أما الأمة الاسلامية فالحرب والســلام ثانويتان بالنسبة للحرب الدائمة التى تشنها فى سبيل تحقيق ارادة الله . اذ لا نهاية لهذا التحقيق وبالتالى لا تسريح لجهود الأمة قط . فالأمة مكلفة بالتحقيق ما بل بحر صنوقا ، ــ بتشــديد اللام بعــد البــاء وفتحهمــا ــ وذلك كى يبلونا الله فيرى أينـــا أحســـن عمـــلا . ولو تم ــ فرضـــا ــ لقســـم من الأمة فى قــرية أو بــلد ما ، تحقيق ما يصـــبوا اليــه لوجب على ذلك القسم الاستمرار فى التعبئة ليحقق لغيره من الأقسام ما حققه لنفسه .

والآن لنتساءل : أين نحن المسلمين اليوم من تحقيق البعد السياسى للتعبد الاسلامى بأركانه الأربعة ؟

الجواب على هذا السؤال مؤلم . فالعالم الاسلامى ممزق فى عقــله وقلبه وساعده وانا لا افهم رضى العالم الاسلامى بتمزيق المستعمر له بعد رحيله عنه . فالواقع أننا كنا متوحدين مجمعين تحت الاستعمار أكثر من

تحت الاستقلال. فان دل ذلك على شيء فهو يدل على عدم قيام أوجه الاجماع بيننا . وليست الفرقة اختلاف حكام فمثلما تكونوا يولى عليكم . ليس الحاكم أصلح من محكومه وان ميز نفسه عنه بالألبسة والحرس والجـاه . فحكامنا يعبدون كراسيهم . ولكل دولة اسلامية هيأ العدو أكثر من عدوة من بين اخواتها الدول الاسلامية . هـذا فضـلا عن أعدائها فى الداخل . فأين هى الدولة المسلمة التى لا يقوى العدو المستعمر على قهرها بواسـطة اخواتها الدول المسلمة ، أو بالايعاز الى العناصر الغير مؤلفة الكامنة فيهـا على أهبة الاستعداد لنسفها ؟ فهل نجحت حتى الآن أية دولة مسلمة بتأليف قلوب جميع أبنائها ؟ أو بتأليف الحكومات والدول المسلمة التى تحيط بها ؟

الحقيقة المرة الثانية هى أن لا مساواة عندنا . فقد تعلمنـا درس العنصرية البغيض والقومية الجغرافية من أعدائنا فاتقناه أكثر منهم . ان جميع حدود الدول المسلمة خطوط مستقيمة تدل على أنها من وضع المستعمر فى عاصمته . وما أبشع المسلم الذى يتغنى ببلده بحدودها المصطنعة ! وما أبشع أن نعلم أبناءنا وبناتنا هذه الخريطة التعيسة لوطننا ! فبينما تتوحد اوروبا وتغرق فوارقها فى منافعها المشتركة يتفنن المسلمون فى التفريق بين بعضهم البعض . ولو كلف الشيطان الرجيم بوضع قوانين الجنسية فى كل بلد اسلامى لما أفلح كما أفلح المسلمون . فى أشد بلاد العالم عنصرية تمنح الجنسية لابن الأجنبى الذى يولد فيها . بل وتمنح لمن يقيم فيهـا ويعمل لها عددا من السنين ــ وان طالت ــ اما بلادالاسلام، يبقى مولودالأجنبى اجنبيا الى ما شاء الله . وليس لاقامة الأجنبى أو عمله أو خدماته أى حسـاب فى منحه جنسية البلد المقيم فيه . فنحن بهذه القوانين اثبتنا انحطاطنـا أمام العالم ، بما فيه اسرائيل عدوتنا ، التى ضربت مثلا يحتذى بفتحهـا أبوابها لكل يهودى أنى جاء . ويزيد الطين بلة أن معظم أرجاء الوطن الاسلامى قليلة السكان ، بل منها ما هو شبه خاو . فبينما تتمادى حكومات البلاد قليلة السكان بعنصريتها ، تدعو حكومات الدول كثيفة السكان الى تقليل النسل . فهل من منطق أغرب من هذا ؟

اما التنظيم الحزبى السياسى القائم على العقيدة لا على الشخصيات ولا على المحسوبية ولا على أمر الحكومة وتوجيهها ، فغير موجود حاليا فى العالم الاسلامى، اللهم الا اذا استثنينا الأحزاب الصهيونية،فى اسرائيل وحزب الكتائب المسيحية فى لبنان .

ومن الأسف أن العالم الاسلامى اليوم يخلو من اى تنظيم سياسى يمكن لنا بشرف أن نطلق عليه اسم حزب الله .

وما أبعد عالمنا الاسلامى اليوم من أن يؤلف جسما عضويا اذا أصيب عضو فيه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . فالمسلمون يقتلون فى بلد ويسلبون حقوقهم ويشتتون فيجتمع وزراؤنا ويقررون الصراخ والاحتجاج الى مجلس الأمن المؤلف من أعدائهم الذين لا يبيتون لهم الا الهلاك .

البعد الاجتماعى :

قال الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » . تعنى هذه الآية الكريمة أن على المسلمين أن يتحابوا ويتآخوا فى الله،وأن يريد الواحد للآخر سعادته واطمئنانه وفلاحه وان يعمل جادا على تحقيقها له .

وان كانت الصدقات قديمة قدم الانسان ، الا أن الاسلام هذبها وجعلها قانونا اجباريا فأصبحت الزكاة ثم أوصى بالصدقات تطوعا واختيارا فوق الزكاة . وكذلك فى الخدمة الاجتماعية ، جعلها الاسلام حسبة ودعمها بالقوانين . فالمسلم مكلف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تجاه الجميع . وهو مكلف باعالة ذوى القربى الى أبعد درجات القرابة طالما أن القريب محتاج ولا أقرب اليه من المسلم المكلف . فكانت العائلة الاسلامية عائلة كبيرة تتسع لعشرات من الناس ، كلهم ذوى قربى . وكان البيت الاسلامى بيتا كبيرا يلقى فيه كل فرد ـ صبيا كان أم شيخا ـ من يبادله الحديث الجاد والاهتمام أو الفكاهة ، من يشاركه حزنه أو فرحه ، من يتتبع مزاجه ويشاركه فيه كل لحظة من النهار والليل . عاش هؤلاء جميعهم فى بيت واحد وأكلوا من مطبخ واحد فقلت كلفتهم واشتدت سعادتهم . فقل من جراء ذلك المرض النفسانى والتوحد والانعزال وما تجره هذه على الانسان والمجتمع من عقد نفسية .

واقام الاسلام علاقة الرجل بالمراة على المحبة والمعروف بعد أن ابرأها مما نسبته اليها المسيحية ظلما من جرم ونجاسة واعترف لها بشخصية قانونية كاملة واعطاها حرية اختيار زوجها والتعاقد معه فى الزواج على ما تبتغيه من شروط وسبل عيش . ثم فرض عليها ما فرضه على الرجل

من واجبات دينية .واقتصادية وسياسية واجتماعية مضيفا – على ذلك كله – ان لها على الرجل حق النفقة على أساس من المعروف واللباس والسكينة.
جعل الاسلام الصيام فى رمضان وسيلة للشعور مع الجائعين والمعوزين . فالشعور معهم والعطف عليهم وايتاؤهم الصدقات محبة . وجعل الاسلام اطعامهم فى رمضان والباسهم حلية يوم العيد زكاة صيام المسلم وكفارة لعدم صيامه . وهذا محبة .

وجعل الاسلام الصلاة بصفوفها المستقيمة انزالا لنفس المسلم من كبريائها الى التساوى بالمسلمين المصلين . والشعور بالتساوى محبة . والمسلم ، اذا فرغ من صلاته صافح أخوانه من حوله وتمنى لهم حسن القبول . وهذا محبة .

وفرض الاسلام حج بيت الله كى يتجمع المسلمون من أنحاء الأرض فيتشاورون فى أمورهم ويتعارفون ويتآخون ويتعاونون على البر والتقوى لأنفسهم وللمسلمين فى بلادهم . وهذه محبة .
وان كانت المحبة صعبة التحقيق بين الغربيين ، فقد اعترف الاسلام بعادات .ومراسم الحياة لكل فريق من المسلمين واعتبرها مصدرا للشريعة شريطة عدم تعارضها مع ما أنزله الله . والتسامح مع الغريب واحترامه فى غربته محبة .
.وتعدى تسامح الاسلام ورفقه الى الاعتراف بالأديان الأخرى وشرائعها لا موافقة على مناقضتها له بل طمعا فى تأليف قلوب أصحابها ودفعهم الى الاستماع الى دعوة الله ورسوله فى جو يسوده الاحترام والتقدير . وهذه محبة .

ودعم الاسلام كل هذه المبادىء الاجتماعية بالقوانين حتى لا تكون مجرد نصائح تسمع أو لا تسمع . فأصبحت نظام حياة فعلى . وما من دين ولا أيديولوجيا ، لا قديما ولا حديثا ، استطاع أن يقدم ما قدمه الاسلام. وقد قيل – بحق – أن الاسلام هو الدين الأمتى ، اعترافا بخلقه الأمة . وجعلها كيانا اجتماعيا حيا ، منفتحة على البشر أجمع ، عزيزة بعروتها الوثقى .

البعد الحضارى :

رفعت حضارة الاغريق من شأن الانسان ، الا أنها رفعته كالة

لا كانسان . وبتأليهه ، ألهت الطيب والخبيث معا دون تمييز . وبهـــذا حاولوا استنباط الحكم على الطبيعة من الطبيعة نفسها . لكن دون جدوى. فالمؤكد والمعارض يعتمدان الطبيعة الواقعة مرجعا لحكميهما المتضادين . فمزقهم التضاد بين عناصر الطبيعة . لهذا ناقض الآلهة بعضهم بعضــا وكادوا كيدا شنيعا دون حل . فجاءت كارثتهم وهى كارثة الانســان لأنهم هو . فالمأساة ، وهى أرقى ما وصل اليه الفكر الدينى الأغريقى نظرة كئيبة الى الحياة . ترى فيها العظمة والبطولة ولكن لا الى هدف . الحياة عندهم كلها زبد وحزن وتفه فلا غرابة ان جاءت الفلسفة فى عصر الانحطاط تدك أسس هذه الحضارة البالية . ولم تتمخض حضـــارة الأغريق عن شىء سوى المآسى الشعرية المسرحية ونحت التمــاثيل التى تمثل أدوار المسرحية أى أنواع البشر كآلهة وشىء من فن العمارة التى تمثل تغلب الانسان الاله على بعض قوى الطبيعة المعادية .

أما الدين اليهودى فهو — أبدا — لم يستطع أن ينشىء حضارة،بل عاش اليهود فى جميع أطوار تاريخهم الطويل عاله على حضـــارات جيرانهم ، لا يختلفون عنهم الا بارادة التميز التعسفية ، أى بالعنصرية . ولم تــكن رسالتهم التوحيد — كما يدعون — لأن التوحيد لم يتأصل فى نفوسهم ولم يوجد الا بين الأنبياء وعدد ضئيل من اتباعهم مما أوجب اعادة الدرس عليهم مرارا وتكرارا . وعندما جاء الاغريق والرومان ، وجدوا اليهود مقوقعين فى عنصريتهم ومنعزلين فحاولوا فرض الانفتـــاح عليهم بالقوة . وبقيت العنصرية تتحكم فيهم الى اليوم . والعنصرية ليست حضارة .

وجاء عيسى بن مريم عليه السلام يدعو لازالة العنصرية وفك الأغلال التى قيدهم بها ربابنتهم . فكانت ثورته ضد العنصرية والانغلاق . آمن برسالته عدد ضئيل من اليهود وحكمت عليه الأكثرية بالجرم والاعدام . وجاء بولس اليهودى الروحى الناهل من الدين الأغريقى ، فأول بتشديد الواو المفتوحة وفتح اللام بعدها — رسالة المسيح وجعله الها القى بنفســه الى الذبح ليخلص البشر تماما كقصة ميثراس فى الدين الفارسى المنيـــكى السائد وقصة أدونيس فى أديان الجاليات اليونانية فى آسيا الصغرى .

ليست المسيحية دينا واحدا ، بل اديانا يجمعها : أنها جعلت المسيح محور تفكيرها ، ثم اختلفت اختلاف الليل من النهار . فمنها من قال فى

المسيح كما قال الله تعـالى فى القرآن الكريم . ومنهم من قال انه اله محض ومنهم من قال بأنه جمع اللاهوت والنـاسوت . ولم يتفوق الرأى الأخير الا بدعم السـلطة السياسية له لا بفضل حجتـه . اذ كان رأى الأقليـة الى القرن الخـامس . ذلك أنه كمـا سـماه صـاحبه بولس : « سكاندلون » أى « مايشمئز منه العقل ويأباه » .

يقول هذا الدين المسيحى ان الانسان مخلوق ساقط وسبب سقوطه اجرامه فى الجنة ، وذلك بدفع من حواء لمعصية الله . ويقول أيضـا : ان اثر هذا السقوط فى جبلة الانسان فأصبح معدوم القدرة على فعل الخير بالطبيعة ، مجبولا على الشر والرذيلة بالضرورة . وعليه بعث الله بابنـه (تعالى الله عما يصفون) شخصية الثالوث الثـانية ، الى الأرض لـكى يتعذب ويموت فدية للبشر على اجرامهم . اذ لا خلاص لهم الا بفـدية هائلة لا يقوى عليها الا اله .

لم ينشىء هذا الدين حضارة . بل عمت على أصحابه ما يسـمونه بالعصور السوداء أو القاتمة وهى العصور التى لم تعرف أوروبا خلالهـا سوى المسيحية . لمدة ألف سنة بقى المسيحيون بدون حضارة وبدون نور . الانسان محطم المعنويات والجو ملىء بالخرافات ورجال الدين مشعوذون . ولا علم ولا فن . الى أن جاء نور الاسلام الى أوروبا فأخذ يوقظها من سباتها العميق . وسرعان ما أتت النهضـة ضد المسيحية ومن داخل الكنيسة المسيطرة فأخذ جدار المسيحية يتصدع . وقد كاد ينهار تمـاما فى يومنا هذا . أما ما وضعته النهضة مكان المسيحية فهو الطبيعة المستمدة من التراث الأغريقى دون الهتها .

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله وسراجا منيرا فنزل الوحى عليه ليعيد الحق الى نصابه وليشيد الحضارة من جديد . فقـال الاسلام ان الانسان خليفة الله فى الأرض ، جعل كفؤا لمـا خلق له ، قادرا على الخير والشر مكلفا . فان فعل الخير فهو فى جنة راضية فى الأرض كما فى السماء . وان لم يفعل فأمه هاوية ، كذلك فى الدنيا والآخرة . وجعل الاسلام الانسان جسرا كونيا تعبر ارادة الله الخلقيـة من خلاله فتصبح تاريخا . فرفع من شأنه وكرمه أجمل تكريم بأن جعله وزير القدرة الالهية المنفذ لبعدها الأخلاقى الذى يتطلب تحقيقه حرية الانسـان الشخصية

ومسؤوليته . فأقدم الانسان على الزمان والمكان يطوعهما لمقتضيات الأخلاق، كالسيد المعتز بقوته الواعى لمقامه والوزير المسؤول المطيع لأوامر الله سبحانه . فقبض على ناصية الوجود وأخذ يوجهه التوجيه المحقق لارادة الله . فكانت الحضارة الاسلامية . وهى ليست الا اعادة بناء الخلق بموجب التخطيط الخلقى الالهى .

مجد الاسلام العلم والحكمة اجمل تمجيد ولم يوازه فى موقفه هذا ى دين أو أية ثقافة فى تاريخ البشر كافة . فجعل العلم مفتاح التقوى والفلاح . فزادت الحضارة فعالية وتقدما بما اكتشفه المسلم من سنن الله فى خلقه التى لا تبديل لها .

وجعل الاسلام الأخلاق فوق القانون بل أيد القانون بها . فجعل المسؤول مسؤولا أمام الله وأمام القانون . وجعل القانون سندا للأخلاق وحارسا . ولعل هذا الجمع بين القانون والأخلاق هو أعظم عناصر الحضارة اطلاقا .

لننظر الى الانسان الغربى الحديث الذى نقلده نحن المسلمين دون ادراك لموقفه من الحضارة . هذا الرجل نبذ المسيحية وراء ظهره واعتمد العلمانية أو الطبيعة . الا أن الطبيعة كما وجد الأغريق القدماء — لا تقدم حلا للمتناقضات الكامنة فيها . فكل موقف يجوز نقضه من الموقف المغاير له وكلا الموقفين فى الطبيعة ومنها . فالحل ان جاء لا يمكن ان يأتى من الطبيعة ، بل من الفرد . فالحل لكل مشكلة حل عرفى ، اما فردى أو جماعى، لكن لا علاقة له بالأخلاق الا اذا عرفت : بأنها ما يفعله الفرد أو الجماعة ابتغاء المصلحة أو اللذة . ومن هنا نشأ مبدأ الغرب منذ ماكياڤيلى : بأن الحق للقوة المتفوقة . وهذا هو الانكار الكامل للأخلاق كما نفهمها ، أى التحكم بالطبيعة من خارجها ، أى عن مصدر خارج عن الطبيعة . كما فى الاسلام . فحكم الله فى الطبيعة هو : أن لا تتخطى الحدود الأخلاقية دون انكار للطبيعة ذاتها . لقد بارك الله لنا فى غرائزنا ومشاعرنا وفى طعامنا ودنيانا وفى نفس الوقت حذرنا من أن نسمح للدنيا بالسيطرة على الحياة وخرق الأخلاق . وهذه هى الروحانية الصحيحة والحضارة معا .

وللاسلام هنا الفضل الأكبر بتمكين التحكم فى الطبيعة والتفضيل بين عناصرها المتناقضة وحل ما يشكل منها بالمقتضى الخلقى الصادر عن الله

تعالى خارج الطبيعة والمادة . ولهذا ضمن لنا الاسلام سعادة الدارين ، أى طبيعة ومادة مزدهرة ، وروحانية مبنية على ارادة الله وطاعة أمره. فبالاسلام يمكن للمسلم أن يحقق ما حققه الغربى آلاف المرات فى العمران والحضارة المادية والعلوم دون افساد العملية . وذلك لتوفير الوازع الخارجى .

وليست المشاكل التى تعانيها الحضارة الغربية اليوم الا ما عجزت عن حله لأن ليس لديها مصدر خارج الطبيعة تعتمد عليه . فرجل الصناعة الذى يلوث النهر او البحيرة بأوساخه الكيماوية لا يريد تدبر اوساخه بطريقة أخرى لأن ذلك يكلفه وهو يريد أن يربح . والمعارض له ، سواء كأن رجلا صناعيا آخر أم مدينة ، يستطيع أن يطهر الماء قبل استعماله . ولكنه هو أيضا يريد أن يربح ولا يتكلف . فاذا اتفقنا أن ارادة الربح طبيعة وان كل ما فى الطبيعة متساوى الحقوق لوجوده فى الطبيعة ، أين الحل ؟ ولم ينكر الربح ولا ينكر لعمرو ؟ فاما القوة واما المنفعة ، ولكن اذا تضاربت المنفعة بمنفعة أخرى ؟ فالحق يرجع نهائيا للقوة . وهذه هى اللاحضارة .

هذه هى مأساة الحضارة الغربية الحديثة وهى نفس المأساة التى خاضها الأغريق وقضوا نحبهم بها . هى التى تفصل تمام الفصل بين الأخلاق التى تراها فردية نسبية الا ما اتفق مع منفعة الآكثرية وهذه أيضا نسبية ، وبين التجارة والسياسة والعلاقات الدولية . وهى التى تبعد القانون والعدالة القانونية أى ابعاد فى علاقة الانسان بنفسه وبالطبيعة من حوله ، فى علاقة الزوج بزوجته والأب بابنه وبنته والمعلم بتلميذه والمتصدق بالمتصدق عليه . فالأخلاق للفرد يتصرف فيها كيف يشاء والمجال العام للقوة .

فمن الأسف ان نرى شبابنا وحكامنا يسعون وراء هذه اللا حضارة سعيا . أما اسلامنا ، والحضارة العظيمة التى انشأها ، وقوته الحضارية القادرة على أن تنشىء أكبر الانجازات الاسلامية فنحن مشفقون منه لجهلنا به . وهو لا ينقصه بعث ، فهو مبعوث حى لا يموت فهو دين الله الذى لا يموت . انما نحن الأموات المحتاجون الى البعث . فالاسلام بحاجة اليوم الى من يعيشه ويحباه دينا ودنيا ، قانونا وأخلاقا ، فنا وثقافة ،

علما وهدى . فعسى ان يتحرك الدم الاسلامى فى عروقنا فيبعثنا كما كنا فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وجودنا يسبق فعلنا ، وفعلنا يســـبق قولنا .

ولا قول لنا الا : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فذلك نعم القول ونعم الثقافة ونعم الحضارة .

نحو نظرية إسلامية فى الإعلام

زين العابدين الركابى(*)

(عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ، كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (١) .

صدق الله العظيم

المقدمة : مثل متخيل :

عام ألفين استطاعت نخبة اسلامية متخصصة فى مجالات علوم الاجتماع والاعلام والنفس والعقائد والعلاقات الانسانية والطب و « الجهاز العصبى بالذات » ان تحدث تغييرا شاملا فى مدينتين : احداهما فى أفريقيا ــ المجتمع الواقف على أبواب التصنيع ــ والأخرى فى امريكا الشمالية ، ــ مجتمع ما بعد التصنيع ــ وان تنقل الناس الى حياة جديدة فى التصور والأفكار والبواعث والعادات والعلاقات العامة بين الأفراد والأسر والمؤسسات التجارية وفى علاقات الانتاج والفن وأهداف الحياة وغاياتها .

وكان مجلس الشورى الفنية ــ وهو أحد أجهزة مجلس الشورى المركزى فى الدولة الاسلامية ــ قد انتدب هذه النخبة للقيام بهذه التجربة . استجابة للنداء الانساني الذى ناشد فيه أمين عام هيئة التنسيق الدولى رئيس الدولة الاسلامية أن يبذل جهوده للمساهمة فى حماية المجتمع

* مدير تحرير مجلة المجتمع الكويتية ، وقد قدم هذا البحث الى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى (الرياض : شوال ١٣٩٦ ــ اكتوبر ١٩٧٦) .

(١) أول سورة النبأ

الانسانى من ثلاث مشكلات تنذر بتقويض البناء الحضارى كله وهى :

التدهور المتلاحق فى الانتاج ، فقد سجل الخط البيانى لحـــركة التنمية فى معظم دول العالم انخفاضا مخيفا فى الانتاج العالمى . ففى السنوات الخمس الماضية كان التدهور فى الانتاج ــ وفق الترتيب الزمنى ــ ١٢٪ ١٤٪ ١٨٪ ٢٣٪ ٢٨٪ .

المشكلة الثانية هى : الانحطاط الأخلاقى والنفسى المتلاحق كذلك . ويرد كثير من خبراء التنمية ازمة الانتاج الى المشكلة الآنفة : الانحطاط الأخلاقى والنفسى . من جهة أخرى يخشى علماء التربية ونفر من المفكرين العالميين أن يقضى هذا التدنى المتتابع فى الأخلاق على البقية الباقية من القيم التى تمسك الانسانية أن تزول .

وثالث المشكلات : تلوث الجو . ليس تلوث الهواء . وانما تلوث الجو الثقافى والفكرى والتربوى والفنى .

فأجهزة الاعلام ــ الصحافة والسينما والتليفزيون والاذاعة والمسرح والملصقات والكتاب ــ تصبح الناس وتمسيهم بالردىء من الأفـــكار . وبالشرير من الآراء . وبالهابط من الاهتمامات .

ولقد اغرى الربح تجار الانتاج الاعلامى وجمهرة الكتاب والمخرجين والصحفيين ومعدى البرامج بوضع خطة جديدة تزيد الجو تلوثا .

واخذ الناس فى غدوهم ورواحهم . فى بيوتهم ودور التثقيف والترفيه يستنشقون هذا الجو الملوث .

فى هذه الظروف المحشوة والمكسوة بالكآبة استطاعت النخبة الاسلامية المتخصصة أن تنجح فى تجربتها وتحدث تغيرا شاملا فى مدينتين كاملتين هما الآن دليلان ناطقان على أن السمو أمر ممكن .

كيف وقع هذا التحول ؟

فى المؤتمر الصحفى الذى نقلته الأقمار الصناعية لخص قائد الفريق الاسلامى المنتدب لاجراء التجربة . الجواب فى نقطتين فقال :

استخدمنا — أولا — قانون التحكم والاتصال فى السيطرة على حياة الناس اليومية . وهو قانون يعد من أهم دعائم الاعلام الحديث .

« فعلى مستوى هندسة الاتصال أصبح واضحا — كما يقول (فينز) أحد رواد هذا العلم — أن مسائل هندسة التحكم وهندسة الاتصال غير منفصلة عن بعضها البعض وانها لا تتركز حول تكنيك الهندسة الكهربية وانها حول الفكرة الأساسية بدرجة أكبر وهى فكرة « الرسالة » سواء نقلت بوسائل كهربية أو ميكانيكية أو عصبية » .

ومعنى الاتصال : بث المعلومات وتلقيها وهضمها ومعنى التحكم : استعمال هذه المعلومات فى تغيير مجرى التفكير ودفع الاتجاه النفسى الى وجهة مقصودة .

وطبقنا — ثانيا — المبدأ الصحى فى حماية البيئة من تلوثات الهواء والماء . فسخرنا التلفزيون والسينما والمحاضرة والملصقات وقصص الأطفال والمسرح والمذياع والمسجد والمناظرة . والصحافة ومناسبات الأعياد . واعراف الزيارات . ابتغاء تهيئة مناخ صحى . وتوفير جو نقى يعينان على الاستقامة والاستواء وفى مدى زمنى طوله ثمانية اشهر طفق الناس فى المدينتين يجدون معانى الايمان والفضيلة والسمو والمسئولية ورعاية حقوق الآخرين . واحسان الأعمال والابداع فيها .. مصاغة بعناية وجمال فى مسلسلات عن الأسرة وافلام ملونة عن غبطة الركض نحو الله . ومسرحيات تصور مفهوم علاقات الانتاج فى مساره السليم ومستواه الراقى . وتحقيقات صحفية تبشر برسوخ دعائم الامن النفسى والاجتماعى والوطنى والانسانى . وافلام كرتونية تمحو العادات والمفهومات الرجعية التى غرسها الأباء فى نفوس الأطفال وتبعث فيهم قيما جديدة تجلو فطرهم وتؤيد براءتهم باخلاص الدين ونقائه .

وأنهى قائد الفريق الاسلامى مؤتمره الصحفى — وقد بدا عليه السرور — بقوله « وهكذا نجحت التجربة . ولله الحمد من قبل ومن بعد » .

*****

هذا مثل متخيل قضت باثباته فى مطلع البحث اعتبارات خمسة :

١ — تطبيق المبدأ الاعلامى الذى يلح على ضرورة البداية المثيرة للانتباه .

٢ ــ التوكيد على أن الاعلام انما هو علم الافعال والتحكم وهو بالتالى وسيلة التغيير والتوجيه والصعود بالناس الى أعلى أو الهبوط بهم الى القاع .

٣ ــ بعث الاحساس بأهمية الاعلام وانه وسيلة جديدة لتوسيع نطاق البلاغ المبين وتنويع فرص الصدع بالحق بين العالمين .

٤ ــ المبتغى ــ اسلاميا ــ ليس انتقالا جاهلا من مرحلة الى مرحلة . ولا انقلابا أميا لا يقرأ ولا يكتب . انما المبتغى فيضة مبصرة تتجه رأسا الى قلوب الناس ونفوسهم وأفكارهم وتدير الصراع الحقيقى فى هذه المناطق الطبيعية للصراع .

ووسائل الاعلام هى ادوات هذا الصراع وأسلحته الثقيلة والخفيفة .

٥ ــ من حق الانسان أن يحلم فى نطاق الخيال الممكن التحقيق . ان أمة بلا خيال هى أمة بلا طموح . لأنها لا تملك قوة الأبصار الممتدة الى امام ولا شفافية التطلع الى الكمال المتاح .

من حق المسلم ــ كانسان من الناس ــ أن يحلم بالمساء العظيم أو بالصبح الجميل الذى يذهب الروع ويجيىء بالبشرى . فلقد حلم ماركس بدولة الشيوعية،وحلم هرتزل بدولة اليهود؛وعبرا عن حلميهما فى وسائل اعلامية هى الكتب والبيانات ومن حق المسلم ــ بصفته ــ أن يوقن بمستقبل مفعم بالاحتمالات الحسنة . بل بالانجازات المباركة . فالقرآن العظيم بشر المسلمين فى مكة ــ وهم يومئذ قلة تواجه واقعا عصيبا ــ بمستقبل يحمل الفتح والنصر والتمكين .

وفتح نوافذ الأمل ومد البصر خارج أسوار الواقع عزائم نفسية وفكرية مدغومة فى جوهر خصائص النظرية الاسلامية الاعلامية .

وسيأتلق المعنى فى مقطع قادم تحت عنوان : « ابعد من الواقع : الفرصة المفتوحة » .

ومن الحقائق المقررة : ان ارتياد الآفاق الجديدة واستشفاف المستقبل من وظائف الاعلام ، ومن أهدافه الثابتة .

سطور فى المنهج

لئن كان الاعلام ـ أمس واليوم وغدا ـ فى هذه المرتبة العليا من الجدوى والنفاذ والتأثير فلماذا أهمله الفكر الاسلامى من الناحيتين : النظرية والتطبيقية ؟

فيمكن التقرير ـ بهدوء وعدالة ـ : انه ليس لدى الأمة بحوث نظرية متخصصة فى هذا المجال . ولا رجال متخصصون يتغلغلون فى أجهزة الاعلام المتنوعة فيخدمون قيمهم . ويلمعون من خلال كفائتهم الحقلية وأدائهم المبدع .

هنا تبتدىء معضلة منهجية تتمثل فى :

(أ) المدخل .

(ب) الوسيلة .

المدخل الى الناس . والتكيف السريع مع وسائل العصر وتسخيرها لخدمة الحقيقة .

فلم يقم الفكر الاسلامى بما ينبغى أن يقوم به تجاه المدخل والوسيلة . وهما من دعائم المنهج الاسلامى فى التغيير والتحول . والاتصال بالناس وما يكتنفهم من هم وحاجة .

وكان من نتائج هذا التقصير المنهجى ما يرى اليوم من نقص فى الثمرات أو تعثر فى الخطوات . ومن غياب عن الصراع الاعلامى العالمى .

وانه لعجز غير معلل ثقافيا . وغير مسبب منطقيا .

فالقرآن ـ وهو المصدر الأول لثقافة المسلمين ـ تناول مسألة المدخل فى حديثه عن مشكلات الناس وهمومهم . وفى حديثه عن العقل كمدخل الى التوحيد والايمان وأمر المسلمين بأن يبتغوا الى الله الوسيلة .

وبالمنطق البشرى العرفى : ما كان ينبغى أن يقصر الفكر الاسلامى عن هاتين القضيتين، وذلك أن البشر باجتهاداتهم الذاتية ، وبحكم الضرورة والحاجة ـ توسلوا الى غاياتهم بوسائل ابتدعوها ونفذوا الى الناس من مداخل شتى .

ويتعين ـ وفق قاعدة جلب المصالح ـ الانتفاع بما ينتفع به سائر الناس . ولو لم يكن هناك نص هاد ، أو قاعدة مرشدة .

بيد أن للاسلام نظرية كاملة فى الاعلام والعلاقات الانسانية ، لها مضمونها الكلى ، وخصائصها المفصلة .

المضمون الكلى

بانتهاء الطور السرى للدعوة الاسلامية فى مكة ـ وهو طور قصير واستثنائى ـ بدات مسيرة الاسلام الاعلامية والاعلانية .

فالعلن هو منهج الوحى وأسلوبه فى خطاب الناس . ونشر الحقائق . فالوحى هو النبأ العظيم .

« عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون » .

« قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » .

والنبأ لا يكون خفية ولا سرا لأن طبيعته الظهور والعلانية .

والأنباء ـ أى الاعلام بكلام الله ـ هو وظيفة الأنبياء والرسل .

ـ « يا آدم انبئهم بأسمائهم » .
ـ « ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » .
ـ « واتل عليهم نبأ ابراهيم » .
ـ « واتل عليهم نبأ نوح » .
ـ « واوحينا اليه لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

وكما بدات رحلة الانسان بالأنباء « انبئهم بأسمائهم » ستنتهى بالأنباء كذلك « ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر » .

وقرأ الحجازيون : النبىء والنبيئون .. من الأنباء والأخبار عن الله تعالى .

ويتفق خبراء الاعلام على أن الاعلام انما هو « رسالة » بما ينطوى عليه هذا التعبير من شعب مترابطة :

جهة البث والارسال .
وجهة التلقى والاستقبال .
وموضوع البث أو محتوى الرسالة .
وحاملى الرسالة .

والاسلام ـ بطبيعته ، وبمقياس هذا المفهوم المتفق عليه ـ رسالة بالمعنى العلمى للتعبير .

فالله سبحانه هو المرسل : « انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » .

والناس هم جهة التلقى والارسال « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

والحق هو مضمون الرسالة « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .
وحامل الرسالة هو رسول الله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » وينتظم فى هذا المفهوم الاعلامى الاسلامى واجب أداء البلاغ المبين . تبليغ الناس كافة دعوة الاسلام .. ومن شروط البلاغ أن يكون مبينا . ان يقدم الاسلام فى أجمل أسلوب . وأحسن وسيلة . وأدق وأوضح بيان . فلا يجوز أن يصـــاغ المعنى العظيم فى شــكل دميم ولا أن تقـــدم الحقيقة فى اطار يطفىء بهاءها والاعتبار العصرى أو الظرفى له وزنه الراجح فى تحديد أساليب التبليغ .

كان موسى ـ عليه السلام ـ يؤدى أمانة البلاغ المبين وهو يلقى عصاه ويجابه فتنة السحرة .

« قالوا يا موسى أما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين . قال ألقوا . فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . وأوحينا الى موسى أن الق بعصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنـالك وانقلبوا صـــاغرين . وألقى الســحرة ساجدين » .

أن سجود السحرة وايمانهم بالله من نتائج البلاغ المبين الذى نجح فيه موسى . واختار موسى أن يكون هذا الصراع فى حشد من النــاس . أو فى تجمع اعلامى عام : « قال موعـدكم يوم الزينـة وأن يحشر النــاس ضحى » .

وسحر عصرنا هذا هو الاعلام بوسائله التقنية وفنونه المختلفة وسرعة بثه . وقوة تأثيره وبراعته فى تزيين ما يريد تزيينه .

وبما أن خبر السماء قد انقطع عن الأرض بانتقال الرســول الى الرفيق الأعلى وترتب عن ذلك انقضاء زمن معجزات الدعوة . فليس أمام المسلمين غير اتقان فنون الاعلام . أداء لواجب البلاغ المبين . وابطالا لصنع السحرة المعاصريين . والبلاغ المبين بمقوماته الثلاثة : التوصيل ـ والتعريف ـ والاقناع . يستغرق ثلاث قواعد أساسية فى الاعلام المعاصر هى : الاتصال والتحكم . وبث المعلومات . والحجة المنطقية .

ويدخل فى دائرة المضمون الكلى للاعلام الاسلامى : مبادىء البشارة والنذارة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدع بالحق .

فالتبشير اعلام بالخير .
والانذار اعلام بالخطر .
والصدع بالحق . اعلام للنـاس بالحق الذى ينبغى أن يلتزموا به .
واعلام بالباطل الذى ينبغى أن يفارقوه .
حين نزلت الآية « وانذر عشيرتك الأقربين » صـعد النبى صـلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر ، يا بنى عـدى .
فلما اجتمعوا أعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما بعث به .
والشواهد التى تؤكد وتوضح المضمون الكلى للاعلام الاسـلامى .. جهة متعاضدة منها :
قل :
- قل يا أيها الكافرون .
- قل يا أهل الكتاب .
- قل هو الله احد .
- قل لعبادى الذين آمنوا .
- قل ان هدى الله هو الهدى .
- قل أمر ربى بالقسط .
- قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا .
- قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا .
- قل انما الآيات عند الله .
(قل هذه) اداة اعلامية ذات ثلاثة عناصر متحدة : القول والقـائل والمخاطب . وصياغتها فى فعل أمر الزام من الله للمسلم بأن يقول الحقيقة ولا يكتمها . والتزام من المسلم بأن ينطق ولا يصمت . ويعلن ولا يسر .
ومنها :
ان الله أمر ابراهيم - عليـه السـلام - ان يؤذن فى الناس بالحج .
والأذان - لغة - هو الاعلام .
وبراءة الله ورسوله من المشركين كانت أذانا يوم الحج الأكبر .
وفى كل صلاة أذانان : اذان الاعلام بالوقت وأذان اقامة الصلاة .
ومنها :

ان الراغب فى الاسـلام يبدأ الدخول فيـه بموقف اعلامى مشـهود : اشهد ألا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

ومنها :

رفع الصوت بالتلبية فى الحج فذلك اعلام فردى وجماعى تالاقامة على طاعة الله والتزام أمره وليس لله حاجة فى أن يرفع المؤمنون أصواتهم بالتلبيه . فهو سميع عليم . يعلم الهمس ويعلم السر وأخفى .

لكن الاعلام بذلك ينبثق من طبيعة الاسلام الاعلامية . وجمعه المعجز بين الاخلاص الخفى والمظهر العلنى .

والاهتمام بالحدث، والتعبير المناسب عن هذا الاهتمام، شرطان علميان بنى عليهما الاعلام المعاص فرص نجاحه حين كانت المعركة دائرة بين الفرس والروم ودارت الدائرة على الروم تابع المسلمون هذه المعركة واهتمو بأنبائها وأحداثها .

ثم تنزل القرآن الكريم ينبىء المسـلمين بما وقع فى أدنى الأرض . وبشرهم بغد أفضل :

« آلم . غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضـع سـنين لله الأمر من قبل ومن بعـد . ويومئـذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

وحين يطرأ على القمر أو الشمس خسوف أو كسـوف يسـارع المسلمون لأداء الصلاة جماعية معلومة .

ذلك ارتباط بحدث بشرى مقرون بالتعبير الاعلامى المناسب عنه . وهذا ارتباط بحدث كونى مقرون بالتعبير الاعلامى الملائم له .

فاذا علم هذا ينبغى عدم حصر معانى صلاة الكسوف والخسوف فى هذا الاطار وحده . فموضع الشاهد هنا أمران :

الارتباط بالحدث .

التعبير الظاهرى الاعلامى .

بعد تقرير المضمون الكلى للنظرية الاسلامية فى الاعلام تأتى مرحلة الدخول فى التفاصيل .

خصائص النظرية .. تفصيلا

أولا : الوسيلة :

ما يظنه الناس صعوبة فى طريق تطبيق الاسلام انما هو المهاد عينه . والتيسير ذاته . فالاعلام المعاصر مجموعة أجهزة ووسائل تختصر مساحات المكان ومسافات الزمان . وتخاطب أكبر عدد من الناس فى أسرع وقت ممكن .

فى حجة الوداع حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا من المسلمين . وهو أكبر حشد اسلامى فى ذلك العصر . ولقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحشود وصايا النبوة بواسطة رجال هم أقرب اليه من غيرهم ينقلون كلامه الى من فصلت الحشود بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم .

اليس التلفزيون وسيلة تعين على توصيل كلام الله وكلام النبى الى ملايين الناس .

فبلد عدد سكانه مليون انسان . متوسط الدخل والثقافة يشاهد التلفزيون ربع مليون مشاهد من سكانه .

والصورة والصوت والحركة واللونان الأبيض والأسود أو الألوان المتعددة . جواذب تشد الناس الى الجلوس أمام هذه الشاشة الصغيرة .

الشيخ سحنون سافر من المغرب قاصدا المدينة المنورة لتلقى العلم عن الامام مالك . فطال سفره وأدركه الموت فى الطريق .

المذياع كان يغنيه عن ذلك اذ ينقل علم مالك — بصوته — الى المغرب . لكن المذياع لم يكن من وسائل ذلك العصر .

ينبغى ابتداء أن يحدد الموقف بوضوح وصدق من الوسيلة الجديدة .

والمواقف ثلاثة :

هدم الوسيلة الجديدة وتحطيمها .

مقاطعتها والاعراض عنها .

أو تحويلها وتسخيرها لخدمة الحق والخير .

والموقف الثالث هو اللائق بأمة راشدة تملك معيار الاختيار والانتقاء .

الاسلام لم يخترع السيف ولا الخيل ولا اللغة العربية . ولا الخطبة. ولا النطق . ولكنه استخدم هذه الوسائل فى سبيل أهدافه وغاياته . بعد أن منحها المضمون الحق . والضابط الأخلاقى .

الوسيلة الاعلامية عن الركن الثانى من اركان الاسلام ترك اختيارها لاجتهاد المسلمين . فاقترحوا بوقا . واقترحوا ناقوسا ولكنهم عدلوا عن الوسيلتين ثم رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة النداء للصلاة فى النوم فأخبر النبى فأقر النبى صلى الله عليه وسلم هذه الوسيلة . التى رآها فى النوم ــ كذلك ــ عمر بن الخطاب .

الجيل الاسلامى المعاصر والأجيال القادمة حظها عظيم فى الوسائل ان هى أقبلت عليها اقبال من يتحرى التقرب الى الله بكل وسيلة متاحة . وتكيفت معها تكيف من يأخذ من قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » فقها يترجمه الى قاعدة ناطقة بشعار متجدد دوما : كل مسلم مكلف بمخاطبة جيله بلسان عصره .

الجيل الذى نضج فى الستينات أو السبعينات ليس مسؤولا عن وسائل عصور نسخ الكتب باليد أو نقل البريد بالابل . انه مسئول عن موقفه من وسائل عصره اتقن . أم أهمل .

السينما : وسيلة اعلامية ذات تأثير عميق فى حياة الناس وأفكارهم ومشاعرهم وآرائهم المذهبية والسياسية .

ولم يكن ممكنا ــ مثلا ــ حجب السينما عن مصر ولكن كان من الممكن أن تبدأ الحركة السينمائية بداية أفضل عن طريق الاحساس المبكر ــ لدى الاسلاميين ــ بجدوى هذه الوسيلة .

خطب لينين فى مؤتمر شيوعى فقال « السينما هى مدخلنا الثقافى والفنى الى الجماهير وعشرة سينمائيين مهرة يدعمون الحزب فى حقلهم يرجحون بعملهم هذا تأثير مليون كتاب » وصناعة السينما فى الولايات المتحدة الأمريكية تطورت حتى أصبحت سلطة نافذة وجسرا تعبر فوقه الحياة الأمريكية الى العالم كله .

بعد أن ينهى هذا اللقاء اعماله سيقيم الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ــ وفى القدس بالتحديد ــ مهرجانا باسم المهرجان اليهودى الدولى للسينما والتلفزيون . يمول هذا المهرجان عدد من رجال الأعمال اليهود .

وسيعرض فى المهرجان أكثر من ٣٠٠ فيلم عن اليهود تم انتاجها فى الدول الغربية فى عامى ١٩٧٤ – ١٩٧٥ م .

فى المهرجان ندوة خاصة موضوعها : « صورة اليهود فى وسائل الاعلام » ويعلم المطلعون على شئون السينما أن بلايين الدولارات اليهودية موظفة فى صناعة السينما وان مدارسهم الفكرية والفنية تعنى بتخريج كتاب قصة ، ومخرجين وممثلين عالميين .

ولعل للمقارنة مكان هنا .

كان ذلك مثل اليهود فى السينما . اما مثل بعض المسلمين فى الهند فقد اختلف .

اشتغل قطاع من مسلمى الهند بالسينما . فما خدموا مبادئهم ولا دعموا وجودهم الثقافى والفكرى فى شبه القارة .

سبب ذلك أن هؤلاء لم يبرعوا فى فن كتابة القصة . ولم يعززوا اتجاههم الفنى بمؤسسات مالية للانتاج السينمائى . وقبل ذلك لم يحددوا لأنفسهم قضية ولم يرقوا وعيهم السياسى .

وهذه المقارنة جزء من المقارنة العامة بين وزن الأقلية اليهودية فى امريكا . ووزن الأقلية المسلمة فى الهند .

وقبل الانتقال الى وسيلة اخرى : من اللازم ضبط الكلمات لكى لا توضع على غير مواضعها .

الحديث عن السينما وصفى لا حكمى ، وتصويرى لا تقريرى .

فليس من شأن هذه الدراسة الدخول فى جدل متسائل : السينما اهى حرام أم حلال ؟ خير من ذلك كله واجدى : العمل الجاد على دفع الشباب الاسلامى الى النبوغ فى هذا المجال . فالحكم ينصب على المستوى والمحتوى .

وحين توجد النخبة الاسلامية الممتازة فى هذا الحقل . ينتهى الاشكال عفوا .

التلفزيون :

اقتحم التلفزيون الجدار والأسوار واتصل بالناس وهم فى بيوتهم . تستطيع الأسرة أن تستمع الى محاضرة أو تشاهد فيلما أو تطلع على حدث عالمى أو تتابع مناظرة فكرية . دون أن تنتقل من مكانها .

وهذا تيسير ثقافى لم يحـــدث فى التاريخ البشرى المـكتوب وغير المكتوب .

وفى التيسير التلفزيونى توفير للوقت واختصار للمتاعب . والغـاء للامتيازات الثقافية التى كان الكهان والنبلاء يحتكرونها . وتعميم للمعرفة.

التلفزيون ينقل نفرة الحجيج من عرفة أو ينقل لقطات من بدائع الله فى الكون من خلال رحلات الفضاء فيشرك المشاهدين فى نعمة الدين ونعمة الاعجاب بما خلق الله من شىء .

وينقل الجريمة والعنف والشخصيات المشوهة نفسيا وأخلاقيـــا فينقل التخلف ويصيب المجتمع بهذه البوائق .

أدراك هذا الواقع يوقد فى العزم رغبة تحويل التلفزيون الى أداة تسـاهم فى تمكين الدين فى الأرض وتحسين مستوى الانسان .

ومما يزيد هذه الرغبة توهجا العلم بأن أثر التلفزيون يتعمق ويمتد اكثر فى طائفتين من الناس .

الأميين .

والأطفال .

وأسباب التـــأثر مشـتركة بين الطائفتين تقريبا وهى : الانبهار وفقدان الحصافة الثقافية . وعدم القدرة على الانتقاء والاختيار .

والأمة الاسلامية تنتمى كلها ــ بلا استثناء ــ الى العالم المختلف : فاذا أخذ الوطن العربى كمثال من العـالم الاسـلامى . تبين مـدى أثر التلفزيون فى أمييه واطفاله . تتراوح نسبة الأمية بين ٧٠ و ٧٥٪ فى معظم الأقطار العربية وترتفع هذه النسبة حتى تصل الى ٩٥٪ فى بعض البلاد العربية .

عام ١٩٨٠ سيكون عدد الأطفال الذين هم بين الخامسة والرابعـة عشر سنة ٤٣ مليون طفلا .

فالمسارعة الى تحويل التلفزيون الى وسيلة خير وهـــدى تحمى هذه الجموع من التأثير السيىء . بل تجعل التلفزيون جهاز تعليم ناجح بمحو الأمية ويعجل بانضاج الأطفال نفسيا وفكريا . ويحرر العقل العربى ــ الاسلامى من قيود الخرافات مثلا . ففى احدى البلدان العربية اثبت

استفتاء طبق على القادة الثقافيين — وفيهم رجال اعلام — أن ٦٨٪ منهم يعتقدون بوجوب زيارة الأضرحة وتقديم النذور لأصحابها مجموعة من التمثيليات التلفزيونية الناجحة تستطيع تحرير هذه العقول من هذه الخرافات اذ تضع الخرافى القبورى فى صورة شخصية تعيسة . مختلة المعيار والتصور ينفر منها كل مشاهد ويدعو الله أن يعصمه من الوقوع فى مثل هذا الضلال .

الاذاعـــة :

فى العصور الماضية كانت درجات الصوت تتفاوت بين الخفيض والمتوسط والجهورى وهى درجات محكومة بقوة الصوت المحدودة . اما اليوم فقد تغير الحال .

تضاعف مدى الصوت بلايين المرات ، وامتد حتى اخترق القارات ونفذ الى سكانها . هذا التمديد العلمى لوظائف الحواس يقدم للدعاة وسائل جديدة تعينهم على أداء رسالتهم ، كان الطغاة والكهنة والخائفون من الحقيقة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله الى الناس فجاء المذياع لينهى هذه الوصاية ويثب فوق الحجب والموانع .

الذين لم تبلغهم الدعوة فى العالم : يمكن أن تبلغهم من خلال الارسال الاذاعى القوى المبثوث بمختلف اللغات واللهجات . أو — على الأقل — تبعث فيهم فطرة البحث عن الحقيقة فتكون وظيفة الدعاة — من ثم — تثبيت الاقتناع والدخول فى تفاصيل العبادة والسلوك .

لا شك فى أن هذا العمل الايجابى يفيد الاسلام ويحفظ طاقة المسلمين من أن تضيع فى جدل : موجزة : ما مصير الذين لم تبلغهم الدعوة . أهم هالكون أم ناجون ؟ فى هذه اللحظة يموت خلق كثير من بنى آدم .

وفى كل يوم . وكل ساعة . وكل ثانية . يموت كثير من النـــاس — الا من رحم الله — على سوء الخاتمة وعلى الكفر والضلال .

ومن الرحمة بالبشر انقاذهم من هذا المصير . وسرعة الانقاذ توجب سرعة الوسيلة ، أى استخدام الاذاعة فى خطة الهداية .

المؤذن يثاب بمدى صوته . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء . الا شهد له يوم القيامة » .

كذلك الداعية يثاب بمدى صوته . وبعد بلاغه ودعوته .

وكالة الأنباء :

من الملاحظات غير السارة ان امة النبأ العظيم والأنباء ليس لديها وكالة أنباء عالمية فى مستوى رويتر الانجليزية والوكالة المتحدة الأمريكية . وتاس السوفيتية ووكالة الأنباء برس الفرنسية .

وهى ملاحظة شبيهة بملاحظة انتشار الأمية فى أمة كانت « اقرأ » أول كلمة فى أول سطر من قرآنها الكريم .

فأنباء العالم الاسلامى وأحداثه وقضاياه يطلع عليها العالم . بل المسلمون أنفسهم فى البرقيات والتقارير الاخبارية التى تذيعها الوكالات الأجنبية .

وأصبحت وظيفة الصحافة والاذاعة والتلفزيون ـ خبرا وتعليقا ـ فى العالم الاسلامى محصورة فى اعادة نشر تقارير الوكالات الأجنبية باللغة العربية أو باللغات الأخرى المحلية . نتيجة لهذا الغياب الاخبارى : طمست قضايا المسلمين فى الفلبين وعفر وتلايلاند وجزر القمر والبانيا . وغير ذلك . كما شوهت صورة العربى النفطى . وحقيقة الصراع بين هذه الأمة ويهود .

وهو غياب يعبر عن ضعف الاحساس العام بمكانة الاعلام وتأثيره . فلم يعبأ المسلمون بالبحث عن الخبر ولا بفن صياغته وتقديمه وفن توقيت اذاعته .

الصحافة :

ما تزال الصحافة تحتفظ بمركزها بين وسائل الاعلام لكن بعد أن طورت نفسها وبدلت وسائلها . فى الطباعة والتحرير والاخراج والتوزيع . وانتفعت بالأقمار الصناعية فى نقل الكلمات والصور .

لقد بلغ عدد النسخ الصحفية المطبوعة فى العالم ٤٠٠ مليون نسخة يوميا . وهذا العدد يوزع على ثلثى سكان هذا الكوكب تقريبا فهناك مليار ونصف مليار انسان لا تصل الصحف اليهم بسبب الأمية وتدنى الدخل وتخلف المواصلات .

غزا الناس ـ من غير المسلمين ـ هذا المجال ـ كذلك ـ وتمكنوا فيه . لدى اليهود ٢٤٤ صحيفة فى الولايات المتحدة وحدها منها ١٥٨ دورية . ولديهم ٣٠ ثلاثون دورية فى كندا . ولهم ١١٨ صحيفة فى أمريكا

اللاتينية . وفى أوربا ٣٤٨ دورية . ولهم فى العالم كله صحف ومجلات ودوريات يبلغ عددها ٧٦٠ صحيفة ومجلة دورية . فى الولايات المتحـدة وكندا تصدر ١٨٦١ صحيفة يومية .

ونص دستور الاتحاد السوفيتى على انشاء شبكة صحفية هدفهـا تدعيم النظام الشيوعى وخططت منظمة الصحافة العالمية التى تضم ١٣٠ بلدا لاقامة مركز علمى للأبحاث الصحفية يشرف على هذا المركز ويديره أكثر من الف عالم وفنى . فكم نسبة المسلمين بين هؤلاء العلماء والفنيين ؟

فى الظروف الطبيعية ينبغى أن يكون الخمس هو نصيب المسلمين فى تأسيس هذا المشروع وادارته ــ اذ بين كل خمسة من سكان الأرض تجد مسلما ــ بينمـا الواقع لا يعطى المسـلمين أكثر من ١٪ كتعبير عن التخلف الصحفى فى العالم الاسلامى .

الكتاب :

حفظ ابن تيمية مسند الامام احمد كله .

ويسر باحث غير مسـلم هو ــ الدكتور أ . ى . ونشنك بالاشـتراك مع لفيف من المستشرقين ــ الاطلاع على السنة . وسهل على البـاحثين والمحدثين وطلبة العلم الحصول على ما يبتغون من العلم النبوى . اذ رتب احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فى سبعة مجلدات ــ ترتيبـا مكتبيا علميا يسـتخرج الحـديث من أوله أو وسـطه او آخره . فقول الرسول لأبى بكر وعمر « لو اجتمعتما على رأى ما خالفتكما » تجده فى : لو وجمع وعلى ورأى وما وخلف .. تجده فى أصل الكلمة وفى التصريف والاشتقاق .. ومع الحديث ذكر مصدره .

والمقصود من هذين المثلين ابراز الفرق الكبير بين عصر ابن تيميـة الذى يلزم العالم بجعل ذاكراته كمبيوتر أو مكتبة فوق العنق والـكتفين وبين عصرنا الذى يسر العلم وادنى قطوفه بوسائل الطباعة الحـديثة وبفنون التنسـيق والترتيب والتنظيم . وهى وسـائل لم ينتفع بهـا المسلمون ــ كما ينبغى ــ فى نشر دينهم وعرض أفكارهم وثقافتهم .

منـذ ان ابرق عمر بن عبد العزيز الى الآفاق ــ فى مطلع العـام الهجرى الثانى ــ وقال للعلماء واهل الرواية : « انظروا حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوه » وحتي الآن لم يبذل مجهود علمي

يماثل أو يقارب مجهود هذا الباحث الهولندى . ولئن وجدت معاذير شتى للاقدمين . فان المحدثين لا عذر لهم ، ولو القوا معاذيرهم . فهؤلاء وجدوا فى عصر زاخر بامكانات الترتيب الفنى .

الكتاب الاسلامى يحتاج الى مراجعة فى شـانه كله القـديم الموثق يحتاج الى ترتيب واخراج جـديدين ، والقديم غير الموثق يحتـاج الى توثيق وضبط وتنظيم جديد أيضا .

وما برح احترام الدين والعقل يلح على ذوى الفكر الاسـلامى الخالص . بأن يتحملوا مسئولية نفضة ثقافية شاملة فى تراث المسلمين الثقافى . لأنه من الاهانة للكتاب أن يجعل ناقل خرافات .

يواجه الكتاب الاسلامى الحديث عددا من العوائق المتداخلة : بعضها ذاتى وبعضها خارجى .

فمن العوائق الذاتية : الأفكار المتطابقة فى المؤلفات الحديثة ، ولايعيب الناس أن تكون بينهم وحدة فكرية . انما الخطأ فى انعـدام التنوع والابداع . وهو خطأ أشـاع روح التقليد والمحـاكاة . فمعظم المؤلفات الحـديثة يبدأ بالضوابط والقيود والكوابح . فى أمة قهرتها القيود والضغوط .

البدايات الصحيحة فى عالم هـذا واقعـه : الـدعوة الى التحرر والانطلاق فى اطار التصـور والمعيار الاسلاميين . وهذه قضـية منهجية يصعب على الفكر الاسلامى أن يتقدم قبل أن يعالجها .

ومن العوائق الخارجية : أن الكتاب الاسلامى يعيش اليوم فى عصر التلفزيون والاذاعة والصحافة . وهذه اجهزة تنافس الكتاب منافسـة قوية حادة . ولا يستطيع الكاتب الاسلامى أن يعيش بين هـذه الأجهزة الا اذا كان عميقا قويا متجددا . يقدم للناس ــ للصفوة على الأقل ــ مالا تجده فى تلك الأجهزة .

ومن العدل تقرير ما قـدمه الكتاب الاسـلامى الحديث من فكر اصيل فابطل شبهة . ورسخ حقيقة . وما المآخذ التى ذكرت الا تحـديد لنقص قوم قادرين على التمام .

وسائل اخرى :

لقد أرجىء الحديث عن خطبة الجمعة ــ كوسيلة اعلامية ــ لسببين

الأول : ان العمل بهذه الوسيلة يتحقق كل اسبوع . والسبب الثانى ان خطبة الجمعة سترد فى فقرة تالية من هذا البحث .

وهناك المسرح . والمعرض . والبريد . والدوريات . والكاسيت . وكلها مما يجب الانتفاع به . لم تذكر مفردة . لأن اتقان العمل بالوسائل الآنفة يحتويها ويستغرقها .

ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليما الا بشرطين :

الكفاءة التقنية .

القضية المختارة بعناية .

فى الكفاءة لابد من التخصص الفنى بمعناه العلمى والجمالى . لقد تطورت الطباعة وأصبح الحرف ينضد الكترونيا . وأوشك الخبراء أن يفرغوا من تصميم عقل صناعى اسمه « الجامعة العالمية » . يخزن هذا العقل فى ذاكرته جميع المعلومات الانسانية منذ بدء الخليقة الى اليوم وغدا . ويوضع هذا العقل فى صاروخ يدور حول الكرة الأرضية دورات غير منقطعة . ويستطيع أى انسان أن يتصل به من الأرض بواسطة قلم الكترونى يعمل بأشعة ليزر .

وتقدم فن التصوير السريع والبطىء ففتح آفاقا جديدة فى هذا المجال . بهرت الناس وسحرت أعينهم فى السينما والتلفزيون والصحافة الملونة .

يضاف الى ذلك . كتابة النص بأسلوب فنى . والمهارة فى السناريو والمونتاج والاخراج والتمثيل .

والتلازم فى القصد والعمل يقضى بالتعاون المنظم بين المال والفكر والكفاءة الفنية وفن القضية . تدور المحاولات الاسلامية فى الانتاج الفنى — السينمائى أو المسرحى — حول التراث . ولا ضير فى تجديد التاريخ . لكن الاسراف فى هذا الجانب يقطع صلة المسلمين بعصرهم وقضاياهم الحاضرة . قضايا التخلف العلمى ، والعقم الادارى ، والمعايير المضطربة فى الرفض والقبول وتقديم الرجال وتأخيرهم ، وعلاقات الانتاج ، والتطفيف فى المكيال والميزان ، والصراع بين الاسلام ويهود ، والأسرة وما تتعرض

له من نزاع ضار منه ما يجرها الى التقاليد المهترئة بدون عقل أو منطق ومنه ما يقذفها فى الواقع الضال بلا عقل أو منطق .

لقد تغير الحال . وتغيرت المشكلات وأدوات الصراع .

كانت الحضارات — فى الماضى — تنتقل من بلد الى بلد مع المشاة وفرسان الخيول . أما اليوم فانها قد اتخذت من التلفزيون والاذاعة والصحافة والسينما ووكالات الأنباء وسائل للانتقال والاقتحام والتمكن .

ثانيا المدخل :

وهو شعبتان :

١ — الشعبة الأولى : الجاذبية والجمال :

جذب الانتباه وأثارته وتحريك الاحساس الجمالى . مداخل الى نفوس الناس ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم .

كيف تثير الانتباه ؟

هذا السؤال موضع اتفاق بين علماء الاعلام . والعلاقات الانسانية والاعلان . من أجل ذلك نبغ فى فن الشعار السياسى والتجارى والاعلانى أناس كثيرون اذ أن الشعار الجيد مثير للانتباه .

والملصقات . واللافتات . والضوء . هذه أيضا وضعت فى خدمة هذا المدخل والبدايات الملفتة . فى الكتاب . والتحقيق الصحفى . والفيلم استحضار للوعى . وجذب للانتباه .

أحد وجوه الاعجاز القرآنى . جذب الانتباه الانسانى . وتحريك وعيه بالبدايات الملفتة . كثير من سور القرآن كانت بداياته توقظ فى العربى — بقوة وعمق — احساسه اللغوى ووعيه العقلى .

« الم . ذلك الكتاب . لا ريب فيه » .

« ن . والقلم وما يسطرون » .

« ص . والقرآن ذى الذكر » .

« الر . تلك آيات الكتاب المبين » .

« ألهاكم التكاثر » .

« والذاريات ذروا » .

« ق . والقرآن المجيد » .

« حم . تنزيل من الرحمن الرحيم » .
« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا » .
« طس . تلك آيات القرآن وكتاب مبين » .
« الحاقة ما الحاقة . وما أدريك ما الحاقة » .
« لا أقسم بيوم القيامة » .

الحروف عربية مما يألفه الناس ويحركون السنتهم به . لكن الاعجاز فى التركيب وفى البداية المحركة للانتباه الموقظة للحس اللغوى والعقلى الملفتة لهذا الكتاب المبين .

هذا معنى واحد من معانى البدايات القرآنية التى هى وجه واحد من وجوه اعجازه التى لا تنقضى .

*****

يعرف الفرنسيون الاعلام بأنه : « اعطاء الشكل » أو « الوضع فى الشكل » ان الاحساس بالجمال فطرة فى الانسان ، وتحريك هذا الاحساس مدخل الى عمقه النفسى والفطرى ، ويتم التحريك بطرق متعددة : منها تقديم الحقائق والمعانى والقيم فى وعاء جميل وشكل جذاب وكساء انيق ، يبث الاعلام المعاصر من الباطل اكثر مما يبث من الحق ، وهو يخدع الناس بهذا الباطل ، اذ يزينه لهم بالصورة واللون والحركة والاخراج والمكياج والبسمة والتظرف .

الشيطان ذاته يفعل نفس الشىء فهو يزين لأوليائه اعمالهم ويجملها .

« واذ زين لهم الشيطان اعمالهم » .

« فزين لهم الشيطان اعمالهم » .

« قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين » .

حكاية عن ممثلة تخرج فى برنامج تلفزيونى ملون ، يحف بها ديكور انيق ، ويقدمها مذيع لبق ، بينما يعرض الايمان فى كتاب ذى ورق ردىء ، وتنفيذ مضطرب ، وفهارس متعبة ، وتغليف قبيح ، وعنوان باهت ، أو يعرض الايمان فى خطبة تفتقر الى قوة المعنى وجمال الاداء .

وليس هكذا منهج القرآن .

فالنص القرآنى فصل فى جمال لغوى معجز . وتألق هذا الجمال فى الآيات التى تحدثت عن الكون مثلا .

« ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » .

ويعرض القرآن الكريم « الاخراج » الربانى للكون فى صورة بديعة : « وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » .

كما يعرض الاخراج الربانى للبشر خلقة وخلقا :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

والحسن والسرور به . مداخل قرآنية الى نفوس الناس :

« والأرض مددناها والقينا فيها من كل زوج بهيج » .

« وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة » .

والبهجة الحسن . والابتهاج : السرور .

٢ ـ الشعبة الثانية من المدخل : الهم والمشكلة :

مشاركة الناس همومهم والتعاطف مع مشكلاتهم . مداخل الى نفوسهم وابواب لشخصياتهم . ويستطيع كل انسان أن يجرب ذلك ويلمس اثاره بيده حين يحادث انسانا آخر ـ ويترك انطباعا فى نفسه ـ فى ما يهمه من امر اسرته وفى المشكلات التى تضايقه فى وظيفته أو فى مستقبله الاقتصادى . او فى امور الزواج والحب ان كان شابا .

غرائز الانسان وحاجاته ينبغى أن تكون مدخلا اعلاميا اسلاميا الى اعماق الانسان .لقد اتقن الاعلام المعاصر هذا العمل . حيث خاطب الانسان واتصل به من خلال غرائز التملك والطموح والمحافظة على الصحة. وغرائز الأبوة والأمومة . وتوكيد الذات . والخوف . وحواس النظر

واللمس والشم والذوق والسمع . وربط الاعلام خطاب هـــذه الغرائز والحواس بما يريد ان يقوله للناس . اقتصـــاديا واجتمـاعيا وفلسفيا وسياسيا . فكان التأثير ، وكان التفاعل ، وكانت الاستجابة .

الاعلام الروسى والصينى يشتق من المجاعات . والتفاوت الطبقى . والبؤس العام مادة يدتدنون حولها .

والاعلام الأمريكى جعل فـكرة « الركض نحو السعادة المـادية » بمفهومها المالى والجنسى والترفيهى مساهمة لنشاطه .

والاعلام التجارى استمد فلسفته من رغبة الناس فى الاســـتهلاك وتلبية حاجات غرائزهم .ولا ينجح الاعلام الاسلامى الا اذا جعل هـــذه الغرائز والحاجات والهموم أحد مداخله الى الناس . فالتجريد الفكرى – والفكر طاقة الاعلام – ليس من منهج الاسلام ولا أساليبه فى الـدعوة وكسب الناس .

وليقعن للاعلام الاسلامى ما وقع لطائفة المعطلة فى التـاريخ المذهبى لهذه الأمة . فان هؤلاء القوم زاغوا فكريا فعطلوا صفات الله سبحانه .

ومع حسبان الفارق بين المستويين فان معطلة اليوم يجردون قيم الاسلام ويسكتون نبضها ، وذلك بعزلها عن هموم البشر وبلائهم ومشكلاتهم وهو اتجاه يباعد بين الدعوة والناس .

كانت الهموم والمشكلات أحد مداخل آيات القرآن المكى الى نفوس الناس وحياتهم الشخصية والاجتماعية .

وصل القرآن حركة السوق والمظالم التى تكتنفها بقضية الايمـان بالبعث « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

ووصل مشكلة دع اليتيم . وعدم الحض على طعـــام المســـكين بالتكذيب بيوم الدين « أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » .

وانه لاقتحام العقبة الكبرى : ان تحرر الرقاب ويطعم الســـاغبون واليتامى والمساكين « فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة .

أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة » وهى هموم ومشكلات كانت تعنت العرب . وتشقى وفى وحدة موضوعية اتسق الحديث عن عبادة الله مع الحديث عن الأسفار التجارية والجوع والخوف « لايلاف قريش . ايلافهم . رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هـذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

آيات القرآن المدنى فصلت التشريع فى مشكلات الربا والخمر والسرقة والطلاق . وغير ذلك .

الهم الفردى كان سببا فى نزول آيات بينات :

فى مكة : « عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعـله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى » .

فى المدينة : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله . والله يسمع تحاوركما » .

ومنهج ربط قضايا الناس بالتوحيد والدعوة وتقوى الله . وبالدار الآخرة انما هو منهج الأنبياء جميعا .

مثــلا : فى سورة الشعراء :

هود وصالح ولوط وشعيب ـ عليهم السلام ـ دعوا الى توحيـد الله من خلال المشـكلات الاجتمـاعية التى تموج بها مجتمعـاتهم . وهى مشكلات صناعية وزراعية وخلقية وتجارية . الاعلام النازى استغل العقد النفسية فى ترويج أفكاره . والاعلام اليهودى استغل هذه العقد كذلك فى كسب الراى العام العالمى للفكرة الصهيونية .

فلماذا لا يستغل الاعلام الاسلامى الدوافع الفطرية الطبيعية لـدى الانسان فى ضم أكبر عدد ممكن من البشر الى صف الاسلام .

ثالثا : الاتصال :

اذا صحت الوسيلة . وصح المدخل . صح الاتصال الاعلامى .

فما هو الاتصال ؟

هو جهد انسانى هدفه انشاء صلة بالناس أو تحسين صلة او تغيير صلة . على أساس عقائدى أو مهنى أو مصلحى .

والاتصال نمطان : فردى وجماعى . ولقد امتدت خيوطه فى نسيج التاريخ الانسانى كله . ثم جاءت المواصلات الحديثة واجهزة الاعلام الجديدة فنشطته ووسعت مداه . فالمؤتمرات الدولية العلمية السياسية والثقافية . والتلفزيون والاذاعة والطائرة والأقمار الصناعية والتليفون والصحافة . جسور جديدة للاتصال بالناس .

ويعد خبراء الاعلام حسن الاتصال من اقوى وانجح الخطط الاعلامية. من خصائص النظرية الاسلامية الاعلامية : فن الاتصال بالناس .

الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ كانوا يحرصون على الاتصال ببنى آدم . وكان الطغاة يخشون هذا الاتصال ، ويعملون على تقطيع خطوطه : بالتضيق على الأنبياء مرة ، وبعزل الناس عن الرسل مرة أخرى .

كل رسول مكلف بأن يوصل كلمات الله الى البشر : « ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » .

الانسان هو موضوع الدين . والاتصال به يعبر عن الوظيفة الجوهرية للدين . وبعد أن يتلقى رسل الله الوحى يتوجهون كفاحا الى الاتصال بالناس ابتغاء هدايتهم .

مشركوا مكة وكفارها اقترحوا على أبى طالب ان يمنع ابن أخيه ـ محمدا رسول الله ـ من الاتصال بمن يخافون عليهم الفتنة من الدعوة الجديدة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك مكانا يتجمع أو يمر به الناس الا ذهب اليه ووصل للقوم رسالة الاسلام .

فى دائرة المسلمين تكاثرت أواصر الاتصال وتوطدت . فى الصلاة والحج .. حتى العطسة يعطسها المسلم فتكون مناسبة للاتصال المتمثل فى الحمد والتشميت . فى المجال الانسانى العام يقرر القرآن ان الله جعل الناس شعوبا وقبائل من أجل التعارف . الأمم المتحدة بمنبرها العام وبمنظماتها الفرعية الثقافية والصحية والغذائية والقضائية والزراعية . والحوار العربى ـ الأوربى . ومنظمة الوحدة الأفريقية . وتبادل البرامج والخبرات العلمية فى الجماعات ومراكز البحوث . واللقاء العابر فى الطائرة والمهرجانات الرياضية . هذه فرص قد هيئت للتعارف والاتصال الهادف .

رابعا : الظهور الاعلامى :

الظهور . أحد الأركان الثلاثة للدعاية :

تعريفه : أن يتفوق شعار تجارى أو سياسى على شعار آخر منافس له فى عالم الأفكار والعقائد ، يسعى كل صاحب مذهب وفكر على ظهور مذهبه أو فكره . ويقوم ظهور الاعلام الاسلامى على حقيقة كلية اساسية نزل بها قرآن محكم .

« هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . . والنص ذاته جاء فى سور ثلاث هى : التوبة والفتح والصف .

والظهور على الدين كله يتضمن الظهور على الفكر كله . والثقافة كلها . والاعلام كله .

ما هو هدف الدولة الاسلامية ؟

ما هو هدف الجهاد الاسلامى ؟

ما هو هدف الانتصار العسكرى ؟

اما جواب القرآن فهو : « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا » . .

وأما جواب الرسول فهو : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . فغاية نشاط المسلمين : اعلاء كلمة الله . ولو أن مسلمين انتصروا فى كفاح عسكرى أو مالى أو سياسى ثم عجزوا أو استخفوا بقضية الظهور الاعلامى لدينهم . فانهم بعملهم الناقص هذا يهزمون غايتهم الكبرى .

قضى الله ان يكون القرآن مهيمنا على ما سبقه من كتب سماوية . ينبثق من هذه الحقيقة : معنى هيمنة الثقافة الاسلامية على ثقافات اهل الكتب السماوية . وعلى ثقافات الوضعيين . واجهزة الاعلام الحديثة هى منابر الظهور والهيمنة والتفوق .

ولقد ضاق الجاهليون بالظهور الاعلامى للاسلام، فلجأوا الى التشويش الاذاعى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

خامسا : اذاعة الحقيقة فى ابانها :

الحالة النفسية المهيأة . وظروف الزمان والمكان المواتية منـــاخ اعلامى لبث الأراء والمعلومات والأفكار . وترويج السلع .

رجل الاعلام الناجح هو الذى يدرس اللحظة وينظمها فى ســـياق التـأثير والاقنـاع ، لا تتقدم ولا تتـأخر ، بل تحرى الوقت الملائم لاذاعة الحقيقة . كما يفعل المؤذن وهو يتحرى وقت الصلاة . فاذا حان رفع صوته بالآذان .

الأوقات التى تعقب الغداء أو العشاء . لا تلائم الاعلان عن الأطعمة لأن الشهية تكون فاترة أو مغلقة .

التلفزيون يجرى استفاءات لمعرفة أنسب الأوقات . لبث البرامج ومراعاة الظروف الزمنية للمشاهدين . ومن المعروف أن أسعار الاعلانات فى التلفزيون تختلف باختلاف الأوقات .

فى السياسة يوصف الشعار بأنه « علم اللحظة الراهنة » .

القرآن الـكريم تنزيل منجمـــا على الحوادث ــ والنجم الوقت المضروب كما فى مختار الصحاح ــ وهناك فرع ذو بال من علومه لا يستطيع المفسر أن يتجاهله أو يتجاوزه وهو « أسباب النزول » .

اذاعة الحقيقة فى أبانها فى الاعلام الاسلامى تستمد من اســـباب النزول معناها وعمقها : ففى الوقت المناسب كان القرآن يتنزل فيتصـــل الآى بالحادث الذى تشكل اللحظة الراهنة وعاءه الزمنى ــ فيقرر الحقائق ويعالج المشكلات ويجيب على الأسئلة .

سورة « عبس وتولى » لم تتقدم حادث ابن أم مكتوم ، ولم تتـأخر عنه ، وانها نزلت فى الوقت المناسب .

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعـة فاسـعوا الى ذكر الله وذروا البيع ... الى آخر السورة » حقيقة أذيعت فى وقتها حين آثر رجال التجارة واللهو على خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهر جمعة .

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » . حقيقة أذيعت فى ابانها : لحظة أن نقول أهل مكة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » .. حقيقة اذيعت فى أبانها . حين تمارى صحابيان ـ بين يدى رسول الله ـ فى شأن تامير القعقاع بن معبد والأقرع بن حابس .

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها .. » حقيقة اذيعت فى ابانها حين اتت خولة بنت ثعلبة تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات .

« لا اكراه فى الدين » حقيقة أذيعت فى أبانها حين هم نفر من الأنصار باكراه أبنائهم على الدخول فى الاسلام ، وكان هؤلاء الأبناء قد هودتهم أمهاتهم ليعيشوا .. وتلك خرافة جاهلية .

« وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » حقيقة أذيعت فى وقتها حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا .

والحقيقة المنزلة فعلا يمكن أن تذاع فى سياق زمنى مناسب . كما فعل أبو بكر رضى الله عنه يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وعندما صعق عمر رضى الله عنه لحظة سماع النبأ . لقد تلا أبو بكر : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ؟ .. تلاها وكأن الحادث سبب ثان من أسباب النزول .

أهل الباطل يجتهدون فى تحرى الوقت المناسب كذلك .

فى ٣ مارس عام ١٩٢٤ الغى كمال اتاتورك نظام الخلافة وطوى رايات الاسلام .

أول ابريل ١٩٢٥ أصدر على عبد الرازق كتابه المعروف « الاسلام وأصول الحكم » وهو تأصيل فكرى لاجراءات الردة فى تركيا .

انتهز كاتب شيوعى وقتا اتسم بحلول سياسية معينة فأصدر كتابه « بعد أن تسكت المدافع » والكتاب دعوة صريحة الى التعاون الحضارى بين الوطن العربى والكيان الصهيونى .

منذ أن قام هذا الكيان الاحتلالى . والشيوعيون يؤيدونه سرا . فلما راوا وقتا مناسبا جهروا بآرائهم .

سادسا : أبعد من الواقع الفرصة المفتوحة :

أفاد الاعلام المعاصر من الدراسات المستقبلية عن الاقتصاد والسكان والصحة ونوع التعليم ومواطن الغد . واقام صلة بين حاضر الناس ومستقبلهم .

فمن مهام الاعلام فتح آفاق جديدة أمام عقل الانسان ونفسه وطموحه .

ومن خصائص الاعلام الاسلامى مخاطبة السلوك الانسانى على أساس « الفرصة المفتوحة » التيئيس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية . والطرق المسدودة . اتجاهات لا يقرها الاعلام الاسلامى . لأنها تحجر ما وسعه الله ، وتحبس الناس فى سجن الواقع ، وتخيب آمالهم .

من الحق أن تقرر الأحكام وترسى القواعد . لكن لكل قاعدة استثناء . أى فرصة مفتوحة والقرآن مفعم بالاستثناءات .

« الا الذين تابوا » .

« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » .

« الا عابرى سبيل » .

« الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق » .

« الا أن تتقوا منهم تقاة » .

« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

والفرصة المفتوحة ــ على المستوى الفردى ــ أمل فى مستقبل نفسى وخلقى وسلوكى أفضل والتوبة فى الاسلام اعظم امل يطمح اليه انسان . فمهما كان الواقع سيئا وخانقا فان التوبة نشأة جديدة وحياة غضة .

فما انحرف منحرف الا بعد فقدان الأمل ، واحساسه بأنه يحاصر من كل جانب ، وانه غريق فلا يضيره البلل ـــ أو هكذا تبدو معظم الانحرافات. أما التوبة فهى أمل مبشر واحساس قوى بقدوم الضوء .

والفرصة المفتوحة ــ على المستوى الجماعى ــ امل فى كسب العالم . وهنا تتبدد النظرية الخاطئة التى .. يعتنقها كثير من المسلمين وهى :

العالم كله ضدنا امس واليوم وغدا . وهذه النظرية سبب الانسحاب الاعلامى الاسلامى من الكرة الأرضية .

« ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » هذا احتمال قائم بالنسبة للكافرين وهناك احتمالات اقوى بالنسبة لمئات الملايين من الناس الذين يريدون الهدى ولا يعرفون طريقه .

والفرصة المفتوحة ـ على المستوى الجماعى ـ أمل فى تغيير الواقع وتبديله وتحسينه . وينبغى ان يهتدى الاعلام الاسلامى بالقرآن الكريم . فهذا الكتاب بشر المسلمين فى مكة بمستقبل ينتصر فيه الاسلام . والأمل فى المستقبل من اقوى الدوافع الى الكفاح والحركة فى الحاضر .

سابعا : الاستخدام الأرقى للوسائل المتقدمة :

الأردا بضاعة كانوا هم الأسرع الى التكيف مع وسائل الاعلام الحديثة . فمنهم من كتب القصة ومنهم من تعلم الاخراج والتمثيل والتقديم التلفزيونى والتحقيق الصحفى وصناعة الكتاب .

وانحصر الخيار فى المفاضلة بين الأردا والأقل رداءة .

الأجهزة الاعلامية القوية المؤثرة سخرت لخدمة الأكاذيب السياسية والجاسوسية والجنس . وافساد الذوق العام . ونشر اللغو .

لقد أمر الله المؤمنين بالقول السديد : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » .

والقول السديد نتيجة للتفكير السديد . لأن القول تعبير عن التفكير .

والانسان يحاسب على مدى النطق العادى « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » والحساب يشتد ويتضاعف اذا مدت الحواس الطبيعية بوسائل اعلامية تغطى القارات .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم « رأيت الليلة رجلين اتيانى قالا لى : الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا الى يوم القيامة » .

وليس الكذب وحده هو الذى يعيب الكلام أو المادة الاعلامية فقد يكون الكلام غير كاذب ولكنه قليل الجدوى والنفع .

وهنا يأتى دور النخبة الاسلامية ذات العطاء الفكرى الراقى .

يتعين على هذه النخبة أن تتقدم وتأخذ مكانها الطليعى فى قيادة الرأى العام . كما يتعين عليها أن تزاحم طبقات الفنانين والصحافيين ومعدى البرامج ومصممى الشعارات الذين يزعمون أنهم قادة الرأى العام .

تزاحم هؤلاء حتى يخلص لها لواء القيادة الاعلامية .

ما لم تقم النخبة بهذا الدور فى الاستخدام الأرقى لوسائل الاعلام الحديثة فان أثرها سيضعف . وصوتها سينخفض .

السلطة بعد اليوم قد لا تطرد المفكرين ولا تمنعهم من التفكير والتعبير ولكنها ترضى بمنافستهم فى حوار غير متكافىء بين الكتاب والمحاضرة من جهة . والتلفزيون والاذاعة وسائر وسائل الاعلام من جهة اخرى .

ويتعين على النخبة الاسلامية أن تنظر من جديد فى شأن خطبة الجمعة .

تؤدى صلاة الجمعة فى أكثر من ١٠٠ الف مسجد فى العالم الاسلامى . بيد أن ثمار هذه الخطبة ونتائجها لا تعدل ذلك العدد الضخم من المساجد والمصلين. وهو واقع يستنفر النخبة الاسلامية المفكرة ويدعوها الى الاضطلاع بمسئولية خطبة الجمعة .

ثامنا : العلاقات الانسانية :

ادمغت العلاقات الانسانية وانساب معناها فيما تقدم من خصائص .
ولما كانت هذه العلاقات علما له شروطه وقواعده افردت له هذه السطور .

كيف تعامل الناس ؟

كيف تبتسم فى وجوه الآخرين ؟

كيف تقدم التحية وتستقبلها ؟

كيف ترحب بالضيوف ؟

كيف تتكلم وكيف تنتبه لمحدثك ؟

كيف تدير المناقشة بلباقة ؟

كيف تفصل بين النقد الموضوعى والتحامل الشخصى فى مواقفك تجاه الناس ؟

كيف تعاتب وكيف تغضى ؟

هذه أسئلة انتشر الجواب عليها فى الأدب الاسلامى . ولم تلم هذه النثارات فى خيط واحد ينتفع به الدعاة والاعلام الاسلامى .

فى وزارات الخارجية . وشركات الطيران . والجامعات . والمؤسسات الصحفية . والفنادق والكنائس . والمعارض الموسمية والدائمة . بل فى كل مؤسسة حديثة أنشئت أقسام وظيفتها العلاقات الانسانية .

من شروط توظيف البائع فى مؤسسة تجارية للملابس أو موظف بيع التذاكر فى شركة طيران أن يكون اجتماعيا لبقا فى تكوين الأصدقاء وأن يكون متعاونا وذا قدرة على التحمل وأن يكون بشوشا وذا مظهر حسن . او ليس هذا من أساليب الدعوة الاسلامية ؟

الأدارة الحديثة قسمان :

قسم التعامل مع الأشياء : الورق والكمبيوتر . والمكتب . وقسم التعامل مع الناس وهو ما يسمى بالعلاقات العامة أو العلاقات الانسانية . ونجاح المؤسسة رهين بنجاح القسم الأخير . فى فن التعامل مع الموظفين داخل المؤسسة . واقامة علاقات انسانية دافئة مع من يريد القسم جذبهم من خارج المؤسسة .

ولقد نجحت الفنادق وشركات الطيران فى وضع قواعد رقيقة للتعامل مع الناس وهى قواعد تعتبر من أساليب الدعوة الاسلامية بعد اسقاط عنصرين منها :

الجفاف التجارى .

والتكلف .

وباسقاط هذين العيبين تكون الجاذبية أقوى نظرا لصدقها ودفئها .

ما منعنا أن نشبع هذه الخصائص بالبحث والترشيح وما منعنا أن نضيف اليها الخصائص الباقية الا الخشية من الطول .

ولعل الله يأذن باخراج النظرية كاملة فى كتاب . وله الحمد من قبل ومن بعد .

صيغة التطبيق

لا يتم تمام النظرية الاسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية حتى تصاغ فى خطة تطبيقية تجعل خصائصها وحقائقها عملا منظما فى الاعداد

البشرى الاعلامى وفى المادة الاعلامية . وفى احسان التعامل مع الوسيلة الاعلامية الجديدة .

ان اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى . ايمانا بجدوى الاعلام وعمق أثره . واقتناعا بأن للاسلام نظريته الاعلامية المتميزة . والتزاما بالمنهج الاسلامى فى الجمع بين النظرية والتطبيق .. يوصى ب :

١ ـ انشاء كليات اعلامية مستقلة فى جامعات العالم الاسلامى تؤسس على قواعد اسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية . وأن تدرس العلاقات الانسانية فى كليات الطب والزراعة والادارة .. الخ حيث أن هذه الخدمات قد أصبحت مداخل انسانية تنفذ منها الدعوة الى نفوس الناس .

٢ ـ انشاء أقسام للاعلام الاسلامى فى جميع كليات الجامعات الاسلامية . فاللغة ـ بفنون تعبيراتها ـ ذات صلة وثقى بالتعبير الاعلامى ـ نطقا وكتابة وآدابا ـ حيث أن اللغة هى كسوة المعانى والقيم ووعاء اخراجها واداة خطاب الناس . وتدرس اللغات الحية اليوم وتعلم بوسائل اعلامية فى الاذاعة والتلفزيون وعلى الاسطوانات وبالنغم . ولقد نجحت البرامج اللغوية التعليمية المصورة التى تخرج كل حرف فى ومضة ضوئية . وكل نبر مصحوبا بالنغمة الموسيقية .

والصلة العضوية والمعنوية قائمة بين أساليب كليات الدعوة ووسائل الاعلام .

وللشريعة وجهها الاعلامى الذى يوجب على كليات الشريعة اخراج الفقه الاسلامى فى شكل اعلامى جديد : « وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » .

أو أن تقر النظرية الاسلامية الاعلامية مادة أصلية فى كليات الدعوة والشريعة واللغة . وفى الجامعات الاسلامية التى تضم كليات فى الطب والزراعة والتجارة .. الخ ينبغى تدريس العلوم الانسانية لنفس السبب الذى ورد فى آخر الفقرة الأولى .

٣ ـ أن يقترن تدريس الاعلام بتدريس العلوم الانسانية لما بين المجالين من اتساق موضوعى . فالداعية أولى من البائعين فى المؤسسات التجارية ومن المضيفين فى الطائرات باحسان فن التعامل مع الناس .

٤ ــ تنظيم دورات تدريبية ــ لا تقل عن ١٢ شهرا ــ لخريجى الجامعات الاسلامية تزودهم بوسائل جديدة فى الدعوة وتبوءهم مرتبة الصدارة فى قيادة الرأى العام .

٥ ــ توجيه الشباب الاسلامى وتشجيعه على أن ينصر الدين فى ثغرة الاعلام .

ويتحقق التشجيع بعزائم ثلاث :

(أ) ترسيخ الاقتناع بأن الاخراج التلفزيونى أو التحرير الاذاعى والصحفى هو لسان عصرنا وأن من فقه الدعوة خطاب الناس بلسان عصرهم . ووسائل زمانهم وأن أجهزة الاعلام الحديثة تيسير جديد أمام التطبيق الاسلامى اذا أحسن الدعاة التكيف معها وتطويعها للاسلام .

(ب) فى التخطيط التعليمى ــ العالى وما بعد الثانوى ــ يوجه شباب اسلامى الى دراسة الاعلام فى الخارج وأن يكون هذا الأمر برنامجا ثابتا فى نظام الابتعاث .

(جـ) كفالة توظيف هذا الشباب ــ بعد التخرج ــ فى أجهزة الاعلام الرسمية . تماما كما هو الحال بالنسبة لخريجى الفيزياء والادارة واللغات .

٦ ــ أن تكون التخصصات الاعلامية الاسلامية متكاملة فى التحرير . والاخراج . والتمثيل . والتصوير . وفنون كتابة النص واعداد البرامج والادارة الاعلامية بأقسامها المختلفة . العمل المكتبى والعلاقات العامة . والتوزيع .

فقد يفلح المسلم فى كتابة قصة . ولكن كاتب السيناريو يشوهها فاذا أفلح الاثنان يجىء المخرج فيحرف النص ويغير الهدف .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى بـ :

٧ ــ توظيف مالى اسلامى ضخم فى :

(أ) صناعة الطباعة بأنواعها المتعددة : الورق والحبر وأجهزة التنفيذ والمونتاج والمطابع والهندسة والادارة . وأن تكون هذه الصناعة متقدمة تتخطى طريقة صف الحرف باليد أو **المونوتيب واللينوتيب** وتدخل عصر الطباعة الباردة أو الجمع بالتصوير وما يتبعه من تطورات أخرى .

(ب) صناعة انتاج الافلام التلفزيونيــة والسينمائية . صناعة تغطى العالم الاسلامى وتلبى حاجته . وتصدر ألوف الأفلام الى العالمين المتقدم والمتخلف .

(جـ) صناعة الصحافة . بتحريرها واخراجها ومراكزها التى تتولى تدريب الشباب الاسلامى صحفيا وتربى قيادات صحفية .

وتلحق بالصناعة الصحفية دور نشر كبرى تنقى التراث وتعيــد نشره فى أشكال جذابة وتترجمه الى اللغات العالمية والاقليمية وتجتــذب عددا من المفكرين الاسلاميين فتفرغهم لاجراء البحوث فى القضايا المعاصرة الاسلامية والعالمية وتتولى هى طباعة وتوزيع تلك البحوث .

وهى صناعات تربح مرتين :

تربح المال . فالاستثمار فى صناعة الصحافة ــ مثلاــ خلال الأعوام العشرة الماضية زاد بنسبة ١٠٠٪ بينما أقصى زيادة فى نسبة الاستثمار فى الصناعات الأخرى وقفت عند حدود ٢٨٪ . وهذا التوسع الاستثمارى الصحافى مبنى على أساس الربح الأوفر .

وتربح ما عند الله عز وجل اذ تتقرب اليه بتوسيع نطاق البلاغ المبين بين العالمين . وتتوسل الى رضاه بالعمل الصالح .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى بـ :

٨ ــ استخدام الكاسيت فى تبليغ الدعوة :

تسجيلات صوتية جميلة بنطق فصيح فى لغات مختلفة . تحكى هذه التسجيلات :

قصة انسان يبحث عن الحق بعد أن اعنته الضلال « تفاصــيل حياة الخمر والزنا والاستهتار وعدم الانتاج والاساءة الى الزوج والوالدين » .

يسأل عن الاسلام وهو فى طريق البحث عن الحق .

يرغب فى الدخول فى الاسلام .

يحكى موقفه وهو ينقل خطوطه الأولى نحو الاسلام ثم يدخل فيــه ويعبر عن غبطته بانتقاله الى حياة جديدة .

أسلم فواجهته مشكلات جديدة فى بيئته نتيجة لاسلامه . الحلال والحرام من الطعام . علاقته بأبويه . الصلاة فى العمل . الحب والزواج .

ارتباطاته السابقة فى المال ومجالس الشراب .
وفى الكاسيت نفسه : لكل سؤال جواب .

توزع هذه الكاسيتات على أوسع نطاق . ولا يجوز أن يسجلها من لا يعرف ظروف ومشكلات المخاطبين فى السويد وأمريكا وكينيا وروسيا والمانيا واليابان لأن معرفة احوال المبلغين شرط جوهرى من شروط البلاغ المبين .

٩ ـ استخدام التصوير البطىء فى تعليم الوضوء والصلاة والحج والأداء الادارى الجيد .

١٠ـ استخدام البريد ـ كوسيلة من وسائل الاعلام ـ فى الدعوة والهداية .

حتى الآن لا يزال البريد يستغل فى الأمور الشخصية أو الأعمال التجارية والوظيفية ويستغل فى توزيع الصور العارية وملخصات الانجيل .
ينبغى استخدام البريد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وفى الاصلاح بين الناس وتقديم النصح . والخدمات العامة اليهم . ومشاركتهم همومهم وافراحهم .
مشاركة من لا نعرف من الناس .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى بـ :

١١ـ تكوين اتحاد اسلامى اعلامى عالمى تتشكل خليته الأولى من الاسلاميين العاملين الآن فى مجال الاعلام . يضم هذا الاتحاد نقابات ينبغى أن يشكلها بمجرد تكوينه :
نقابة الصحافيين الاسلاميين .
نقابة التلفزيونيين الاسلاميين .
نقابة السينمائيين الاسلاميين .
نقابات رجال الطباعة ودور النشر الاسلاميين .
نقابة الكتاب الاسلاميين .
نقابة ائمة المساجد والوعاظ ـ بالتعاون مع المجلس العالمى الأعلى لرسالة المسجد ـ يتبع ذلك أن يقوم الاتحاد الاسلامى العالمى للاعلام بتكوين :

جمعية « الدفاع عن كرامة الانسان » وهى جمعية مؤلفة من مفكرين اسلاميين اساسا ضمنت اليها نفرا من المثقفين ـ غير المسلمين ـ ذوى

الاحساس الانسانى العام . الذين لهم جهود معروفة فى مقـــاومة المظالم بشتى صنوفها .

تكافح هـذه الجمعيـة : التعصب العنصرى . واستغلال المرأة فى الاعلان وتجارة الرقيق الأبيض . والتفاوت الطبقى بين الدول الصناعية . والدول المصابة بسوء التغذية وفقر الدم والمجاعات . وغير ذلك من القضايا الانسانية . فالتجاوب مع هم الانسان ورد الظلم عنه مداخل الى شخصيته وقرب نفسى من أعماقه . والقرب النفسى فرصة للدعوة الى الله .

جمعيات الصداقة التى ينبغى أن يشكلها الاتحاد كذلك . أما على أساس جغرافى عالمى . أى أن يكون التمثيل فيها قاريا شاملا . وأما على أساس التخصص الفنى : فى الهندسة والطب والفيزياء والتجارة والعلوم الانسانية . وسائر التخصصات الأخرى .

ويوصى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى ب :

١٢ـ تسخير وسائل الاعلام للتنمية : تغيير عادات تضييع الوقت والكسل وضعف الاحساس بالأخذ بالأسباب . الى جانب تنظيم برامج طويلة الأجل للتثقيف الصحى والعلمى والادارى والزراعى والصناعى تبث فى المدائن والقرى مع التركيز على الاذاعات والصحافة الريفية .

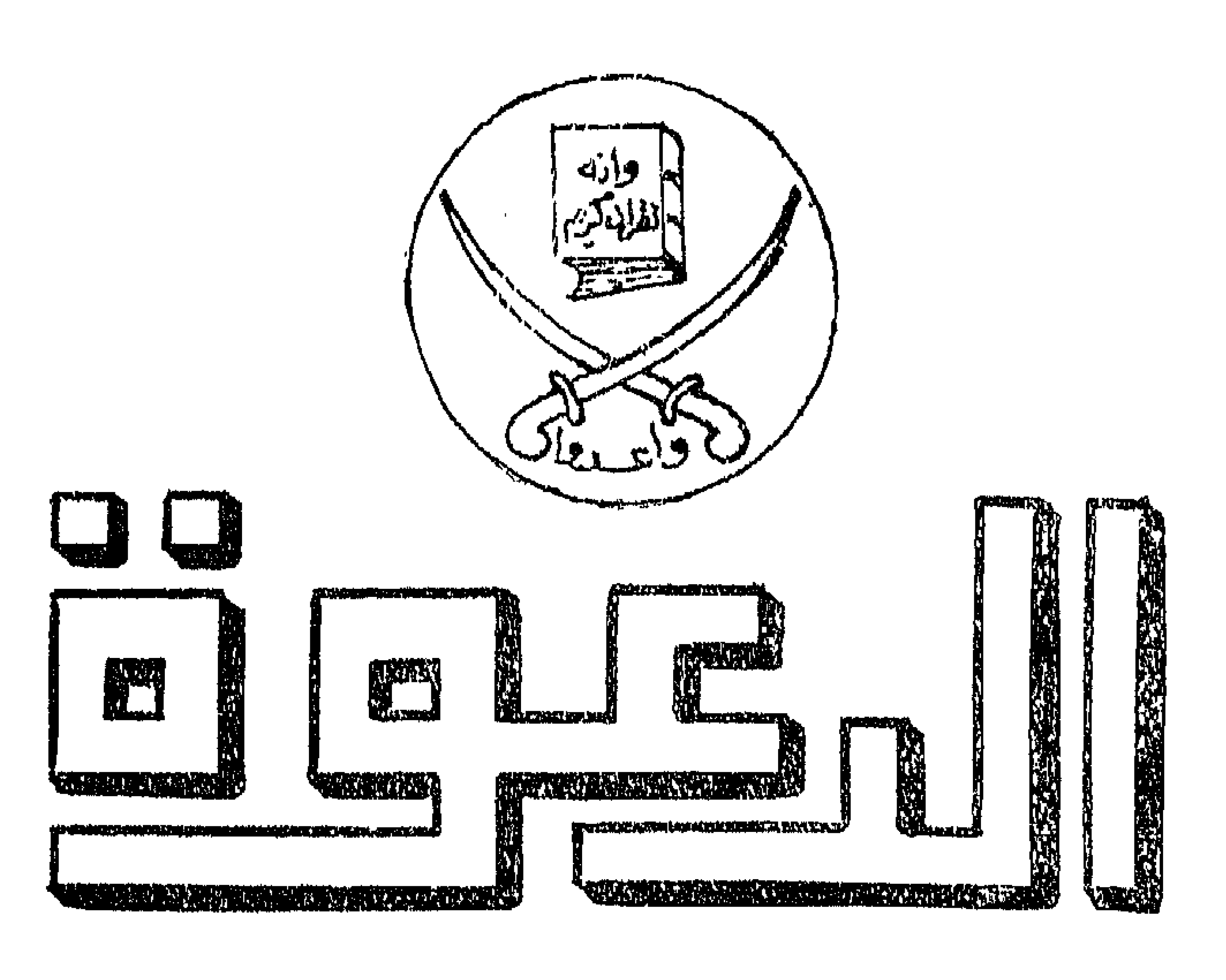
المراجـــع

القرآن الكريم

البخارى ومسلم

المؤلف	المرجع
ويلبر شرام	وسائل الاعلام
	والتنمية القومية
ه . توفيق بحرى	صحافة الغد
د . عبد الله دراز	النبأ العظيم
د . حامد عبد الله ربيع	فن الدعاية الاسرائيلية
المقدم محمد حجار	العمليات النفسية الدعائية
اتيان سوريو	الجمالية عبر العصور
جيرالد لانبين	الادارة الفندقية الحديثة
الن نيفنز	تاريخ الولايات المتحدة
هنرى ستيل كوماجر	
فليب غايار	تقنية الصحافة
د . محمد عجاج الخطيب	اصول الحديث
جمعية تعليم الكبار الأمريكية	العلاقات العامة الناجحة
كلودجوليان	انتحار الديمقراطيات
د . عبد الله عبد الدائم	مجلة «قضايا معاصرة» العدد«٤»
فؤاد دوارة	الأمية فى الوطن العربى
	« قضايا معاصرة » العدد « ٣ »
د . جيهان احمد رشتى	الأسس العلمية لنظريات الاعلام
ابو الحسن الواحدى النيسابورى	اسباب النزول
جلال عبد الوهاب	أسس العلاقات العامة
د . حسن عبد الله ابو ركية	الاعلان
راتيس سميث	صناعة الكتاب
د . انور السباعى	التخطيط الاعلامى السياسى
ريمون رويه	السبر نتيك واصل الاعلام

بسم الله الرحمن الرحيم



صوت الحق والقوة والحرية

صحيفة إسلامية جامعة

تصدر شهريًا مؤقتًا

٨ ميدان السيدة زينب - القاهرة - ص.ب ١٦٣٦ ت ٩٣١٩٦١

- الاشتراكات بداخل جمهورية مصر العربية
- أوروبا وأمريكا وباقي بلاد العالم دولار ونصف للعدد وثمانية عشر دولارًا للسنة خالصة البريد الجوي المسجل.
- الدول العربية والإفريقية ثمن النسخة خالصة البريد
- المراسلات باسم :

الأستاذ / عمر عبد الفتاح التلمساني

ثمن النسخة

لبنان :	١٧٥ ق.ل	عدن :	٣٤٠ فلسا
سوريا :	١٧٥ ق.س	الخليج العربي :	٢٥٠ فلسا
العراق :	٢٢٥ فلسا	عمان :	٢٤٠ بيسا
السعودية :	٣ ريال	الكويت :	٢٢٥ فلسا
ليبيا :	١٦٠ درهما	الجزائر :	٢٦٠ سنتيما
المغرب :	٢٦٠ فرنكا	الحبشة وأسمرة :	١٥٠ سنتا
الأردن :	١٧٥ فلسا	الصومال :	١٨ بنى
تونس :	٢٤٠ مليما		
السودان :	١٣٠ مليما	صنعاء :	٣٣٠ فلسا

ترسل قيمة الاشتراكات (بشيك مصرفي) فقط مع رجاء عدم إرسال كوبونات بريد.

يديرها ويشرف عليها : عمر عبد الفتاح التلمساني

الإعلام الإسلامى
فى ضوء نظرية النظم

د . سعيد محمود عرفة *
كلية التجارة ـ جامعة القاهرة

مقـــدمة :

الاسلام نظام متكامل ، يقوم على مبادىء ثابتة محدودة بوضوح يفهمها العامة ، ويجد المتخصصون فيها مجالات لا نهائية للتعمق والتأمل .. وبناء على هذه المبادىء تتحد الأهداف بالنسبة للفرد ، ثم بالنسبة لمجموعات الأفراد التى تتدرج من الأسرة الى الجيرة الى المجتمع المسلم الى المجتمع الدولى (الذى يضم دولة الاسلام والدول غير الاسلامية) ثم الى البشرية كلها كوحدة واحدة ولابد من وجود وسائل لتحقيق هذه الأهداف ، وقد حدد الاسلام بعض هذه الوسـائل على وجه التخصيص ، وترك البعض الآخر لاختيار الأفراد والمجتمعات من بين بدائل تختلف باختلاف المكان والزمان .

والمبدأ الهام هنا هو مراعاة الترابط بين المبادىء الاسلامية المقررة فى القرآن والسنة ، وبين الأهداف المطلوب تحقيقها ، وبين الوسائل المختارة .

---

* وقد قدم هذا البحث الى اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامى
(الرياض شوال ١٣٩٦ ـ اكتوبر ١٩٧٦)

فاذا تأكدنا من ربط الأهداف بالمبادىء المقررة ، أصبحت القضية تتلخص فى اختيار الوسائل التى تحقق الأهداف بأحسن درجة ممكنة .

والناس كأفراد يولدون على الفطرة وتولد معهم نزعات الخير والشر، وقد سلحهم ربهم بالعقل الذى يهديهم الى الخير . ولو عاش الفرد وحده لاخترع من الوسائل ما يشبع حاجاته ثم هدته فطرته الى الله . وعندما يعيش الفرد مع جماعة ، أصبح من الضرورى تنظيم عملية اشباع الحاجات للأفراد فى ظل الجماعة ، ويتطلب ذلك أن يضحى كل فرد ببعض درجات الاشباع من أجل الجماعة ، ويدفعه ذلك الى السيطرة على شهواته . ولكن بعض أفراد المجتمع قد لا يستطيع أن يحمل نفسه على الجهد المطلوب للتضحية من أجل الجماعة ، ويحاول اشباع شهواته على حساب الآخرين ، مما يهيىء الاصطدام بالآخرين من أجل هذه الغاية المادية . لذلك كان لابد من وجود نظام يحدد لكل فرد حقوقه وواجباته ، وقوة تحمى هذا النظام وتضمن تطبيقه وتقوم الشاذين عنه .

الا أن القوة وحدها لا تجدى اذا لم يعنها جهاز لتوعية يعرف كل فرد حقوقه وواجباته ، ويشرح له الأهداف والوسائل التى تعارف المجتمع عليها لكى يعيش المجتمع — والأفراد بالتبعية — فى سعادة ووئام ، بل ويدربه على تحقيق الأهداف واستخدام الوسائل . والنقطة الأخيرة يهملها كثير من النظم الاعلامية ، فالاعلام ليس جهازا لتبليغ رسائل شفوية فقط ، وانما يجب أن تمتد وظيفته الى تأكيد هذه الوسائل بالتطبيق العملى ، وتوفير الجو المناسب للتطبيق .

كما أن الاعلام الاسلامى عملية مستمرة وليست مرحلية ؛ فهى اذن تواكب وتصاحب التغيرات الاجتماعية ، ومن أهم هذه التغيرات انتقال أفراد المجتمع من مرحلة من مراحل العمر الى مرحلة أخرى . أو بعبارة اخرى التجديد المستمر لخلايا المجتمع التى تتمثل فى أفراده (ارحام تدفع، وقبور تبلع) ، لذلك كان على جهاز الاعلام أن يكيف وسائله لتعليم النشىء بما يتناسب مع الظروف والتغييرات فى نواحى المجتمع ، ويتابع ذلك بوسائل تتدرج مع مراحل العمر المختلفة ، اى يتخذ من المعلومات التى يبلغها الى النشىء مرتكزا للمعلومات التى يوفرها للأعمار الأخرى أو أساسا يبنى عليه .

وهذا البحث فى تقريره للمبادىء السابقة يستخدم اطارا نظريا مشتقا من النظرية العامة للنظم Systems theory approach التى تحدد مفهوم النظام ومقوماته ، وعلاقة النظم الرئيسية (الأكبر) بالنظم الفرعية (الأصغر) ومدى تأثير النظم الفرعية بالبيئة الخارجية لها التى تحكم النظام الأكبر ، ويستخلص من تحليل نظرية النظم مدلولات لتكوين اطار نظرى للاعلام الاسلامى على انه نظام فرعى للنظام الاسلامى العام ، محكوم بأهدافه ومبادئه ويتم اختيار وسائل الاعلام الاسلامى فى ضوء هذا التصور .

مفهوم نظرية النظم ، وأهميتها فى دراسة نظام الاعلام فى الاسلام :

ظهرت فى الأوساط العلمية الادارية والاقتصادية نظرية جديدة تسمى نظرية النظم systems theory ، ورغم انها نظرية ناشئة لم تكتمل بعد من جوانبها المختلفة ، الا أنها لاقت اهتمام العلماء والمختصين حيث وجدت تطبيقات هامة فى النواحى الادارية والاقتصادية ، وفى مجال نظم المعلومات ونظم الاتصال . ولا تقتصر النظرية على المجالات الادارية والاقتصادية ولكن جذورها تمتد الى مختلف العلوم بل ان هدف النظرية تكوين اطار علمى عام يتخذ أساسا للعلوم التى عرفها الانسان على اختلاف مجالاتها وتخصصاتها ، ويؤمل أن يحقق العلماء ، نتيجة لذلك ، الترابط والتعاون بين العلوم المختلفة بحيث تستفيد منه ولو من حيث طرق البحث ــ من بعضها البعض خاصة بعد أن ظهرت فروع جديدة من العلم نتيجة تكامل البحوث بين فرعين قائمين من فروع العلم ، مثل نشأة علم النفس الاجتماعى sosial psychology نتيجة تزاوج البحوث فى علم النفس . وعلم الاجتماع ، وكذلك علم النفس الصناعى نتيجة البحث فى كل من علم النفس وعلم الادارة الصناعية . ومن ذلك أيضا تطبيقات نظرية الآلة فى العلوم الهندسية فى القاء الضوء على مفهوم نظم المعلومات الادارية management Information systems.

واهتمامنا فى هذا البحث بنظرية النظم ينبع ــ كما سنرى بمشيئة الله ــ من أنها تساعد على القاء الضوء على صفة التكامل فى هذا النظام العجيب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الاسلام، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تساعدنا على فهم دور الاعلام فى النظام الاسلامى ، وتوجيهه الوجهة التى تحقق الأهداف المرجوة منه .

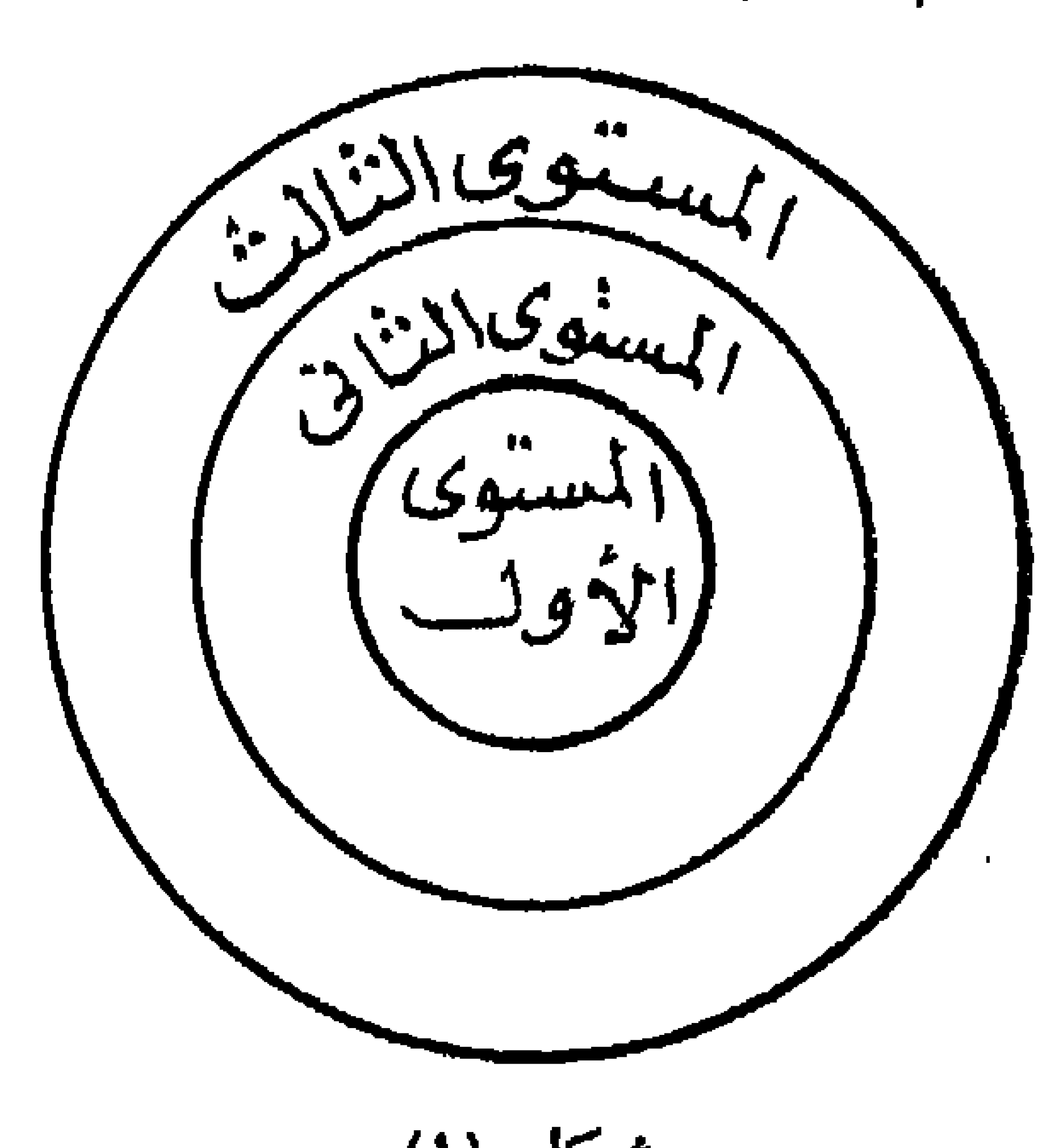
كما ان النتائج التى توصل اليها العلماء من وحى النظرية تتفق مع

المبادىء التى نادى بها الاسلام من اربعة عشر قرنا . بل ان اللبنة الأساسية للنظرية ، وهى ما يمكن أن تسميه النظرة الكلية للأمور collective view ليست ببعيدة عن فكر الامام أبو حامد الغزالى فى الاحياء .

وسنسوق فى السطور القليلة القادمة باختصار الفروض والاستنتاجات الأساسية لنظرية النظم وايحاءاتها بالنسبة للاعلام الاسلامى .

يمكن تعريف « النظام » بانه مجموعة من الأجزاء او العناصر يرتبط بعضها مع البعض لتحقيق هدف معين ، ويتضح من التعريف عدة حقائق :

اولا : يتكون النظام من عدة اجزاء او عناصر ، ويمكن اعتبار كل جزء **او عنصر نظاما فرعيا** فى حد ذاته . وبالتالى يضم النظام الواحد عدة نظم **متداخلة . فالانسان** نظام (ربما كان من اعقد النظم وابدعها تكوينا) . فمن الناحية الفسيولوجية يتكون الانسان من عدة أجهزة يعد كل منها نظاما فرعيا له أهدافه ووظيفته ، وله جزئياته ، مثل الجهاز الهضمى ، والجهاز العصبى والجهاز التناسلى .. وهكذا ، فضلا عن أن النظام الفسيولوجى فى مجموعه مرتبط بنظام نفسى ومعنوى معقد . ومن الملاحظ فى كثير من



شكل (١)
مستويات النظم

النظم أن النظم الفرعية تكون مستويات متداخلة كما يتضح من شكل (١) . فالمجتمع نظام يتكون من عدة نظم فرعية ، الفرد فيها هو المستوى الأول من تلك النظم (رغم أنه يمكن تقسيمه الى نظم فرعية أصغر كما قدمنا ، ويتوقف التفصيل من المستويات الأصغر من النظم على طبيعة النظام موضع الدراسة) والأسرة ، والمسجد والمنشأة التجارية والصناعية ، والنادى ، والهيئة الحكومية ... الخ تقع فى المستوى الثانى اذ تضم عدة افرادا ، والمجتمع ككل يقع فى المستوى الثالث اذ يضم هذه النظم جميعا .

وطبقا لهذا التقسيم يسمى النظام الذى يضم عدة نظم فرعية بالنظام الأكبر ويمثل النظام الأكبر البيئة الخارجية environment لكل من النظم الفرعية .

ثانيا : ترتبط الأجزاء او العناصر او النظم الفرعية مع بعضها البعض طبقا لنظام اتصال محدد . وهذا الارتباط هو الذى يعطى النظام صفة التكامل والتماسك . فاذا حدث خلل فى نظام الاتصال انفرط عقد النظام ولم يحقق اهدافه ، وقد يتلاشى ، كما أن هذا الارتباط هو الذى يعطى للنظام قيمة أعلى من مجموع قيم أجزائه وفروعه .

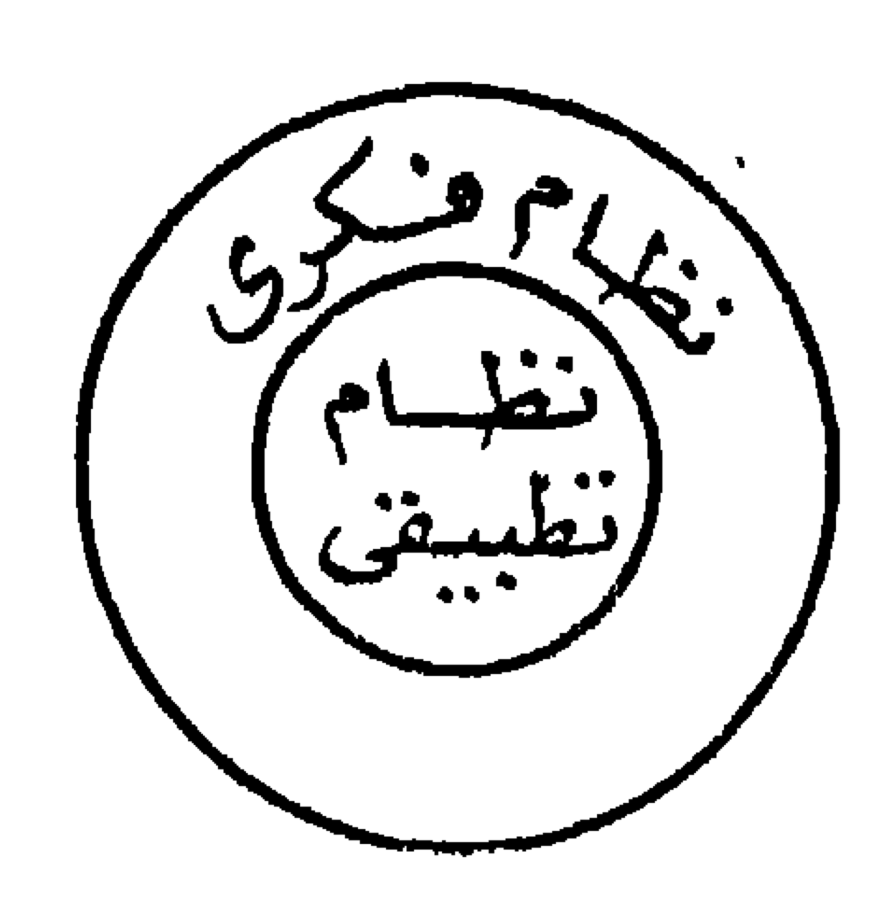
ثالثا : النظام يعمل لتحقيق هدف معين يحكم نشاطه ، ويحدد العلاقات بين اجزائه ، بل هو سبب وجود النظام أصلا . وأهداف النظم الفرعية يجب أن تؤدى الى تحقيق الهدف أو الأهداف العامة للنظام والا حدث انقسام وتشقق فى بناء النظام ويمكن اعتبار أهداف النظم الفرعية وسائل لتحقيق الهدف ، والأهداف العامة للنظام فى مجموعة . ومن ناحية أخرى يمكن اعتبار الأهداف العامة للنظام قيودا على أهداف النظم الفرعية .

هذه بعض عموميات نظرية النظم التى تهمنا فى البحث . ويجب الآن أن نتأمل فى النظام الاسلامى على ضوء هذه العموميات .

طبيعة النظام الاسلامى وفقا لنظرية النظم :

اولا : يتكون النظام الاسلامى من نظامين فرعيين : الأول نظام فكرى . والثانى نظام تطبيقى ، أو بعبارة اخرى : يتكون النظام الاسلامى من عقيدة وشريعة . والنظام الفكرى أو العقائدى فى حد ذاته نظام متكامل متناسق تتفق نتائجه مع مقدماته ، ويتأسس على التوحيد والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنظام التطبيقى أو التشريعى يحدد العلاقات بين الأفراد والجماعات بما يحقق الأهداف العامة للنظام ، وبما يتفق مع المبادىء التى يقررها النظام الفكرى العقائدى .

ثانيا : هناك ترابط وثيق بين النظام الفكرى العقائدى والنظام التطبيقى التشريعى ويمكن اعتبار النظام الفكرى نظاما أكبر والنظام التطبيقى نظاما أصغر . وبالتالى فان النظام الفكرى يمثل البيئة الخارجية للنظام التطبيقى بحيث يكون النظام التطبيقى محكوما بمبادىء النظام الفكرى . وشكل (٢) يوضح هذه العلاقة .

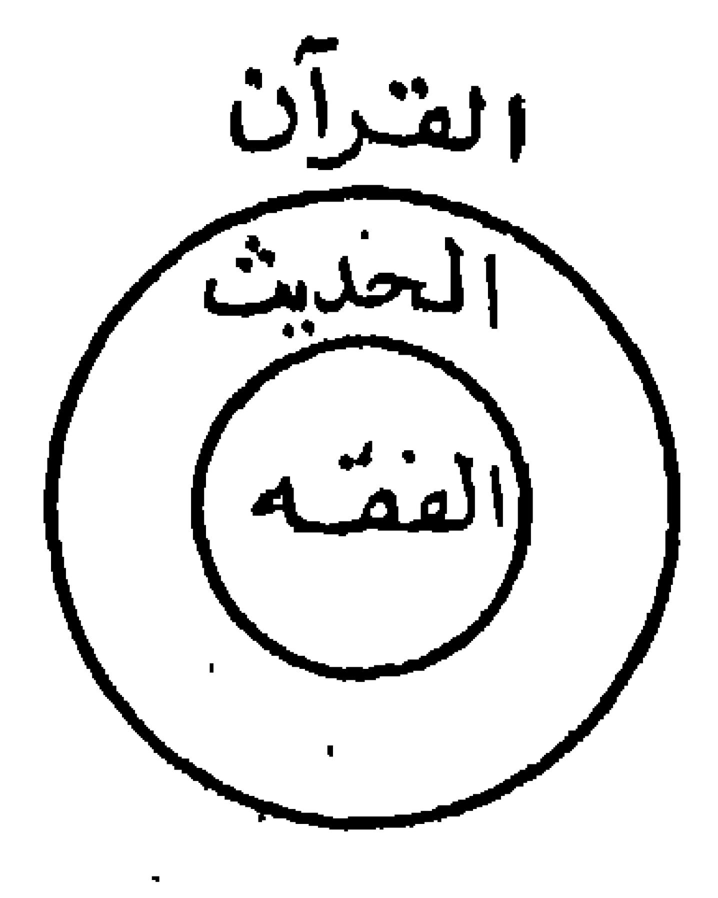


شكل (٢)

العلاقة بين النظامين

الفكرى والتطبيقى فى النظام الاسلامى

والنظام الفكرى فى ذاته يتكون من مبادىء وعقائد كلية ثابتة بالنص القرآنى أو نص الحـديث ، وهذه المبادىء تمثل النظام الأكبر لنظريـات واجتهادات جزئية يستنبطها العلماء عن طريق القياس والمنطق ، وهـذه لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، وتتاثر بما وصل اليه علماء العصر من العلم والمعرفة وبناء على ذلك يمكننا تصور تركيب النظام الفكرى فى الاسـلام كما يتضح من شكل (٣) :



شكل (٣)

تركيب النظام الفكرى فى الاسلام

فالقرآن هو المصدر الأساسى للفكر الاسـلامى ، ويلاحظ انه لم يوضع فى دائرة فى شكل (٣) اشارة الى انه ليس محددا بأى نظام فكرى اعلى منه ، انما هو مستمد من الله الذى ينتهى اليه العلم (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ، ولذلك يعتبر القرآن « النظام الفكرى

الأكبر فى الاسلام وليس هناك ما هو أكبر منه ، اذ يستمد عظمته من خالق الأكوان العليم الخبير . وان للقرآن لأسرار . لا نهائية ، لا يدرك منها البشر على مر الزمان الا ما شاء الله لهم أن يدركوا ، فالقرآن ــ كالكون ــ مجال للدراسة والبحث ليكتشف الانسان من اسراره ما يستطيع . وليس فى ذلك التشابه بين الكون والقرآن غرابة فمصدرهما واحد : هو الواحد وان الفلاسفة يسمون مجالات البحث فى الغيبيات التى لاتتجاوز المحسوسات باصطلاح « ما وراء الكون » ، ويعتبرون « ما وراء الكون » النظام الأكبر الذى يحكم كل فروع العلم البشرى ، وقد هدتهم عقولهم وهداهم منطقهم الى أن ما وراء الكون بلا شك نظام ، وقد حاولوا اكتشاف قوانين هذا النظام فضلوا واضلوا (ومالهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) . ونحن نرى ان حقيقة ما وراء الكون التى يبحثون عنها هى فى القرآن المستمد من الحق الأكبر ، مصدر الحقائق جميعا : من الله .

واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تقرير وتفسير وتفصيل لما جاء فى القرآن ، فالرسول هو الرابطة بين الله والبشر . والفقه هو نتاج التفكير البشرى : نتيجة البحث والدراسة ، وهو نوعان :

١ ــ فقه فى القرآن والحديث وما ينتج عنهما عن طريق القياس أو الاستنباط او الاستنتاج . وهو ــ بالاضافة الى انه يعمق فهمنا للقرآن والحديث ــ يضع الأحكام بالنسبة للأمور التى تجد والتى يحتاج فيها المسلمون الى الراى ، والتى تتغير بتغير العصر .

٢ ــ فقه فى القوانين الكونية والقواعد المهنية وهو مجال البحث والدراسة فى العلوم الكونية على اختلاف مجالاتها .

وهذا التصور للنظام الفكرى فى الاسلام يجعلنا ندرك مغزى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا : كتاب الله وسنتى » . فاذا تعارض الفقه مع هذين ضل واضل ، وهذا ما نلمسه من دراسة تاريخ الفكر الغربى والشرقى .

وامتدادا لهذا التصور الذى ناقشناه ، فانه يمكننا النظر الى النظام التطبيقى فى الاسلام على انه يتكون من مستويين :

الأول : السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وهى ما قرره من قواعد وأوضاع واجراءات بالتنفيذ العملى (مثلا فى الزواج والطلاق والشراء والبيع والحروب والعقود والمعاهدات .. الخ) .

الثانى : القواعد والاجراءات التى يضعها قادة المسلمين ، والتى تسترشد بالسنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم تستحدث من وسائل التطبيق ما يتفق مع احتياجات العصر والظروف المحيطة بالتطبيق .

والخلاصة اذن : أن العلاقة بين النظام الفكرى والنظام التطبيقى فى الاسلام تتمثل فى : أن النظام الفكرى قاعدة يبنى عليها النظام التطبيقى كما يقام المبنى على أساس صلب . والعبادات التى فرضها الله على المسلمين من صلاة وصيام وزكاة وحج تساعدهم على توثيق صلتهم بخالق النظم جميعا ، بالله الواحد القهار ، ويساعدهم ذلك بالتالى على صيانة نظمهم الفكرية والتطبيقية من الانحراف . ويلقى هذا التصور ضوءا على الحكمة من استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لكلمة « بنى » فى حديثه الشريف : « بنى الاسلام على خمس .. » .. الحديث . فالاسلام اذن بناء فكرى وتطبيقى أساسه عبادة الله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

ثالثا : هدف النظام الاسلامى : سعادة الفرد المسلم فى الدنيا والآخرة . ويتضح ذلك من الآية الكريمة « الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك الفوز العظيم » . وقد عبر الله فى الآية عن السعادة « بالبشرى » اشارة الى انها سعادة مستقبلة متجددة يتطلع اليها المؤمن فى حاضره عندما يفكر فى مستقبله . وقد نفى الله فى الآية الخوف والحزن عن أولياء الله حيث أنهما العاملان الرئيسيان اللذان يفسدان السعادة ، فمن يطمئن الى الله لا يخاف مخلوقا ولا يحزن على شيء فاته فى الدنيا . ونلفت النظر الى قول الله فى الآية « لا تبديل لكلمات الله » وفى ذلك تأكيد انه ليس هناك سلطة أعلى من الله ، وهذه قوانينه وسننه لها صفة الثبات والتكرار تماما كالقوانين الكونية المحسوسة للانسان مثل تعاقب الليل والنهار . وهذه القوانين تحكم النظام الاسلامى بمعنى أنها تحدد أهدافه ووسائله . وقوله تعالى « ذلك الفوز العظيم » اشارة الى أن

البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، منتهى ما يهدف اليه المؤمن ، وليس هناك فوز اعظم من ذلك .

من هذا التحليل نخلص الى أن الاسلام نظام متكامل له مقوماته النظرية والعملية الصالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ونريد ان نقرر هنا — بناء على ما سبق — أن الاعلام الاسلامى جزء من النظام الفكرى الاسلامى ، لابد أن يكون له صداه فى النظام التطبيقى وهذه رسالتنا فى بقية هذا البحث .

مقومات نظام الاعلام الاسلامى :

اذا سلمنا ان الاعلام الاسلامى نظام قائم بذاته وجزء من النظام الاسلامى فان ذلك يقودنا الى التسليم بأن مقومات النظام الاعلامى الاسلامى طبقا لنظرية النظم — خمسة :

١ — اهداف .
٢ — اجهزة .
٣ — نظام اتصال بين الأجهزة .
٤ — قواعد واجراءات التطبيق .
٥ — نظام للرقابة على التطبيق .

والأهداف : اساس وجود النظام اصلا ، ولابد أن تكون هذه الأهداف محددة تحديدا دقيقا اذ ان اى خطأ فى تحديدها يؤدى الى أخطاء فى تصميم بقية مقومات النظام . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لابد أن تكون الأهداف مؤدية الى أهداف النظام الأكبر،وهو النظام الفكرى الاسلامى كما تصورنا سابقا . ولأهمية الأهداف لنظام الاعلام الاسلامى خصصنا لها مبحثا مستقلا فيما بعد .

والأجهزة : هى أجزاء النظام وعناصره الرئيسية ، وتمثل — كما قدمنا — فى حد ذاتها نظما فرعية لها مقوماتها الخاصة بها والمتفرعة عن النظام الأكبر . ويراعى فى تصميم الأجهزة أن تكون محققة لأهداف النظام فى مجموعه . ويتوقف تصميم الأجهزة على الوسائل الاعلامية المتاحة والمختارة لتحقيق الأهداف .

ولابد أن تكون اختصاصات كل جهاز محددة ومعروفة وتتحدد كذلك العلاقة بينه وبين الأجهزة الأخرى حتى يتم التنسيق والتكامل بينهمــا ، وحتى لا يغلب تحقيق الأهداف الفرعية لكل جهاز على تحقيق الأهــداف العامة للنظام الاعلامى ككل . ونظام الاتصال بين الأجهزة يربطها جميعــا بجهاز ادارى أعلى يشرف على تحقيق الأهداف العامة .

وفى داخل كل جهاز لابد من تحديد **قواعد واجراءات التطبيق به** . والقواعد تمثل ترجمة لسياسات عامة لكل جهاز بحيث ترسم القرار المختار فى حالة توافر ظروف معينة ، حيث تكون القاعدة فى شكل « اذا حدث كذا افعل كذا » . واجراءات التطبيق ترسم الطرق والوسائل التفصيلية المنتظمة لتنفيذ القواعد المذكورة . ولابد أن تكون قواعد اجراءات التطبيق مرتبطة بالنظام التطبيقى العــام للاســلام . وينتج عن تنفيذ القواعد والاجراءات برامج محددة تفصيلية لكل جهاز توضع مقدما بوقت كاف قبل التنفيذ .

وفى زحمة التفاصيل أثناء التنفيذ ، قد تغيب الأهداف العامة للنظام والأهداف الفرعية المحددة لكل جهاز عن الأذهان ، وبالتالى ينحرف التنفيذ عن الخط المحدد له فى البرامج ، فلابد اذن من وجود نظام **يراقب عمليــة التنفيذ** بصفة دورية منتظمة فيســجل الخطوات التنفيذية التى تتم أولا بأول ، ثم يقارنها فى كل مرحلة (كل شهر مثلا) بما كان محددا فى البرامج ويحــدد الانحرافات بالزيادة أو النقص فى التنفيذ الفعــلى عن البرامج الموضوعة مقدما ، وأثر هذه الانحرافات على تحقيق الأهداف . وبالتالى ينبه القائمين على ادارة كل جهاز والادارة العليا للأجهزة الى الانحرافات التى تؤثر على الأهداف تأثيرا ملموســا (تحــدد قواعــد الرقابة متى يكون الانحراف ملموسا ، وبناء على ذلك يتقرر تضمينه تقرير الرقابة من عدمه) وقد يكون هذا التأثير موجبا (أى يعمل على تنفيذ الأهداف بصورة احسن من المتوقع) أو سالبا (وهو الأعم — أى يعمل على اعاقة تحقيق الأهــداف بالصورة المتوقعة والمحددة بالبرامج) . ويجب أن تعمل الادارة العليا للأجهزة على مراقبة نظام الرقابة نفسه ، بمعنى أن تتأكد من وقت لآخر ان نظام الرقابة يسير وفقا للتصور الذى وضع له من قبل ، وانه فعال ، بمعنى انه يحقق الأهداف المتوقعة منه ، فأى خلل فى جهاز الرقابة يضعف عمليــة التغــذية المرتدة للمعــلومات feedback وهى تتلخص فى ان النظام

يزود نفسه بنفسه بمعلومات عن مــدى تحقيق الأجهزة التنفيذية فيــه لأهداف النظام ، فاذا ضعفت هذه العملية ظهرت ثغرات فى التنفيذ تهدد كفاءة النظام ، بل وتهدد وجوده اصلا .

اهداف نظام الاعلام الاسلامى :

يمكننا النظر الى اهــداف النظام الاعلامى الاســلامى على انه تركيب أو بناء يتكون من اهداف عامة يتفرع منها أهداف فرعية أو stucture تفصيلية اما الأهداف العامة فنقترح ان تكون كالآتى :

(أ) توعية المسلمين فى جميع مراحل العمر ، وعلى اختلاف ثقــافاتهم بتعاليم دينهم طبقا لما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تعارف عليه العلماء ، وتنمية ثقافاتهم الدينية . ويلاحظ هنا ان « التوعية » بمثابة زرع تعاليم الدين الحنيف ، و « التنمية » بمثابة تعهد هذا الزرع بالرى وتوفير الجو الصحى له للنماء والزيادة حتى يؤتى ثماره الفكرية والعملية .

(ب) نشر الدعوة الاسلامية بين غير المسلمين ، وترغيبهم فى الاســلام بالأدلة والبراهين ، والرد على من يجترىء منهم على الدين بالحجة المفحمة .

وتتفرع من هذين الهدفين العامين عدة اهداف فرعية نلخصها فيما يلى مشيرين بقدر الامكان الى الوسائل الرئيسـية لتحقيق كل هدف .

١ ــ **تربية النشء المسلم على قواعد دينية صلبة** . وذلك باستخدام وسائل مبسطة تساعد على ترغيب الطفل فى الاسلام . ولا بأس من أن تكون المعلومات الدينية المقدمة اليه مغلفة بوسائل ترفيهية (كالأناشــيد والمسابقات والتمثيليات والقصص) ، وأهم ما يتم التركيز عليه فى هذا المضمار هو القدوة الصالحة .

٢ ــ **ترشــيد برامج التعليم الدينيــة وغير الدينيــة فى جميع المراحل** . العلماء والمتخصصين فى شئون التربية لهذا الغرض . ولا يكفى أن **وتوجيهها فى الاتجاه السليم** . ويحتاج ذلك الى تكوين لجنة من كبار تصدر اللجنة توصياتها ، بل تتكفل بالاشراف على تنفيذ التوصيات بالمدارس ، واعداد تقارير دورية عن تقدم البرامج فى الاتجاه المطلوب . بل يجب ان تعقد اللجنــــة دورات تدريبية للمدرسين تشتمل على نواح نظرية ونواح عملية (بالتدريب العملى على الطبيعة تحت اشراف اللجنة) .

٣ ـ **تحفيز النشء والشباب على الاقبال على العلوم الدينيـة وممارسة العبادات الاسـلامية** . ويمـكن أن يكون ذلك عن طريق المسـابقات العلمية والثقافية الدينية التى ترصـد لها الجوائز القيمـة ، وفتح المجال أمام الشباب للتعمق والتخصص فى العلوم الدينية ، وانشـاء المعسكرات الصيفية والشتوية ، وتدريب الشباب على ممارسـة العادات الاسلامية وعلى العلاقات الاجتماعية النظيفة .

٤ ـ **تشجيع البحوث والدراسات الاسلامية بصفة عامة بالداخل والخارج :** ويراعى عنصر التكامل والتنسيق بين هذه البحوث حتى تغطى جميع المجالات النظرية والتطبيقية . ويتم التركيز فى النواحى التطبيقيـة على ربط الاسلام بمتغيرات العصر . ولا يقتصر تشجيع البحوث على البلاد العربية فقط ، وانما يمتد الى غيرها من الدول الاسـلامية . كما أنه يمكن الاستعانة بالبحوث العلمية الجادة ذات الصلة بالبحوث الاسلامية فى الدول الأجنبية (مثل بحوث علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع ، والعلوم الاقتصادية والسياسية) مع تطويرها من وجهة النظر الاسلامية .

٥ ـ **تشجيع البحوث والابتكارات فى وسائل الدعوة** . فترصـد الأموال لتمويل البحوث التى يقوم بها المتخصصون ، ولتكريم الدعاة الذين يتفكرون فى وسائل الدعوة أثناء ممارساتهم اليومية ، والعمل على تعريف الدعاة الآخرين بهذه الابتكارات وبنتائج البحوث (عن طريق المؤتمرات والنشرات وما الى ذلك) . وهذا الهدف يرمى بصفة عامة الى ابتكار وسائل للاعلام والدعوة أكثر كفاءة وأقل تكلفة .

٦ ـ **توجيه البرامج فى أجهزة الاعلام بما يخدم الاسلام** . وهذا الهـدف ذو شقين :

الأول : تنقية البرامج الاعلامية التى تبث للجمهور مما ينافى المبادىء والتعاليم الدينية .

والثانى : تصميم وتشجيع البرامج التى تعرف المواطنين بدينهم وتعمق العادات الاسلامية عندهم . ولا بأس من البرامج الترفيهية النظيفة ، بل ويجب أن توجه التعاليم الدينية للعامة فى قالب مشوق من خلال بعض البرامج الترفيهية .

٧ ـ **توجيه اجهزة الحكم لتطبيق شريعة الله ورسوله .** ويتطلب ذلك أن تكون اجهزة الاعلام الاسلامى مستقلة عن الدولة، ولها كيانها الادارى والمالى المستقل . وعليها أن تراجع القوانين السارية وتقرر منهـا ما يتمشى مع الشريعة ، وتوجيه الحكام الى الغاء مالا يتمشى معها ، بل وتنادى بذلك على أوسع نطاق بما يقنع الجماهير بضرورة التعديل هذا بالاضافة الى مراجعة القوانين التى تصدر تباعا بنفس الطريقة ، بل واقتراح تشريعات جديدة لاقامة جوانب مهملة من الشريعة ، أو استجابة الى متطلبات العصر .

٨ ـ **نشرالدعوة بينالوثنيين واللادينيين والملحدين وأهل الكتاب:** ويتضمن ذلك انشاء مراكز للدعوة فى عدة دول سواء كانت متقدمة أو متخلفة اقتصاديا ، وتطوير المراكز الحالية الموجودة فى الدول الأجنبيـة ، وتدعيمها بالعناصر البشرية والكتب والأبحاث والوسائل الاعلاميـة الحديثة .

٩ ـ **تدريب الدعاة للعمل بالداخل والخارج :** ولا يكون التدريب بالبرامج التعليمية النظرية فقط وانما يكون كذلك بالوسـائل العملية ، حتى يكون الداعية ملمـا بوسائل الاعلام الحديثة وقادرا على استخدامها . كما يجب ان تستفيد برامج التدريب من نتائج البحوث والدراسات فى علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعى فيما يختص بمخاطبة الأفراد والجماعات ووسائل اقنـاعهم . وفيما يتعلق بالدعاة الذين يدربون للدعوة فى خارج الدول العربية ، فانه من البديهى : ضرورة تدريبهم على اجادة لغة البلد التى سيعملون بها ، بالاضافة الى اتصالهم بمن سبقوهم فى التجربة والاستفادة من خبراتهم .

١٠ـ **توعية المسلمين المغتربين وتهيئة وسـائل اقامة مجتمع مسلم لهم فى المهجر :** فالمسلمون المغتربون يحتاجون الى تثبيتهم على الدين الحنفى اولا ، ومساعدتهم على مواجهة التيارات المضادة فى المجتمع غير المسلم الذى يعيشون فيه ثانيا ، ومساعدتهم على تكوين مجتمع مسلم داخل المجتمع الأجنبى ثالثـا ، وتدريب بعضهم ليكونوا دعاة للاسـلام فى المجتمع الأجنبى رابعا . فالهدف اذن ذو شقين :

الأول : تثبيت وتوعية المجتمع المسلم المغترب .

والثاني : توسيع دائرة هذا المجتمع بالنسبة للمجتمع الأجنبى .
كل ذلك مع مراعاة وسائل التعايش السلمى مع المجتمع الأجنبى .

أ١- **رفع مستوى تعليم اللغة العربية فى الداخل ، وتشجيع البحوث والدراسات فيها ، ونشرها بين المسلمين وغير المسلمين فى الخارج ،** حيث انها لغة القرآن ، ولا يتصور تقدم فى العلوم الدينية بدونها . ويتضمن ذلك اجراء المسابقات بين النشء والشباب فى قواعد اللغة .

خلاصة وتوصيات :

الاسلام نظام شامل متكامل ، وهو يقيم نظامين فرعيين رئيسيين : نظاما فكريا ونظاما تطبيقيا .والنظام الفكرى يستند الى القرآن والحديث، والفقه بنوعيه : الدينى والكونى ، ويمثل القرآن النظام الأكبر للحديث ، وكلاهما يمثلان النظام الأكبر للفقه بمعنى أن الفقه يلتزم بما جاء فى القرآن والحديث ولا يتعارض معهما أو يحيد عنهما .

والنظام التطبيقى يدور فى فلك النظام الفكرى ويتخذه قاعدة له . وهو يتكون من السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتفق عليه العلماء والمتخصصون من تشريعات ولوائح واجراءات للتنفيذ العملى تسترشد بالنظام الفكرى ولا تحيد عنه .

والاعلام الاسلامي بشقيه : النظرى والتطبيقى ، يجب أن ينظر اليه على انه نظام متكامل ، وهو جزء لا يتجزأ من النظام الاسلامى نظريا وتطبيقيا، عقيدة وتشريعا . ولنظام الاعلام الاسلامى مقومات خمسة :

١ - أهداف تحدد سير النظام وتوجهه وترتكز على نشر الدعوة بين المسلمين وغير المسلمين فى الداخل والخارج ، موجهة الى جميع الأعمار والثقافات والبيئات بما يتفق مع ظروف كل منها وطاقاته ، بالاضافة الى ترشيد التعليم وتوجيه الحكام الى اقامة شريعة الله ، وتشجيع البحوث فى العلوم الدينية وفى وسائل الدعوة وفى اللغة العربية ، وتدريب الدعاة على كل ذلك باستخدام وسائل الاعلام الحديثة .

٢ - أجهزة تحدد اختصاصات كل منها بناء على تنظيم معين يضمن تحقيق الأهداف على خير وجه .

٣ ــ نظام اتصال بين الأجهزة ، يحدد العلاقات بينها ويضمن كفاءة عملها .
٤ ــ قواعد واجراءات التنفيذ ، ينتج عن تطبيقها برامج محددة مقدما تغطى عمليات الاعلام المختلفة بما يضمن تحقيق الأهداف .

٥ ــ نظام للرقابة على التنفيذ ، يسجل ما تحقق فعلا ، ويقارنه بالبرامج الموضوعة ، ويوجه نظر الأجهزة المختلفة لأى انحرافات ذات الأهمية حتى يقوموا لتصحيحها فى الاتجاه الذى يحقق الأهداف .

ولقد استخدمنا نظرية النظم كاطار نظرى للبحث ساعدنا فى تحديد مفهوم النظام وعلاقة النظم الرئيسية (الأكبر) بالنظم الفرعية (الأصغر) كما ساعدنا فى تحديد مقومات نظام الاعلام الاسلامى ، وفى الربط بين النواحى النظرية والتطبيقية له ، وفى ربطه بالنظام الاسلامى ككل .

وامتدادا لاستخدام نظرية النظم كاطار للتحليل يمكن استخلاص التوصيات الآتية :

١ ــ عند حل المشاكل الاعلامية ، لا يجوز النظر الى المشكلة مستقلة عن بقية النظام ، وانما لابد من أن يجرى تحليل شامل ، يربط المشكلة بمقومات النظام المختلفة (بالأهداف والأجهزة ونظام الاتصال واجراءات التطبيق ونظام الرقابة) لتحديد جذور المشكلة واسبابها الحقيقية ، وبالتالى تستأصل من جذورها ، ويكون العلاج ذا أثر طويل الأجل ، والا كان محدود الأثر ، وقد يخلق مشاكل أخرى أكبر فى احد جوانب النظام .

٢ ــ بما أن نظام الاعلام الاسلامى جزء من النظام الاسلامى العام ، فانه من غير المنتظر ان يحقق الاعلام الاسلامى أهدافه بالكامل الا اذا كان النظام الاسلامى العام مطبقا تطبيقا شاملا على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع . وليس معنى ذلك التوقف عن اصلاح أجهزة الاعلام الى ان يتم تطبيق النظام الاسلامى العام ، وانما من الضرورى أن يسعى كل فرد مسلم غيور على دينه نحو تحقيق الهدفين جنبا الى جنب . فالاعلام الاسلامى سيكون وسيلة لتطبيق النظام الاسلامى الشامل ، وعندما يكتمل تطبيق النظام الاسلامى يتطور الاعلام بحيث يأخذ شكله المتكامل الذى يحقق جميع اهدافه .

٣ ـ ان واقع الاعلام الحالى فى الدول العربية وفى الدول الاسلامية بصفة عامة واقع مؤلم منهزم وللنهوض به قد لا يكون من المستطاع تنفيذ نظام الاعلام الاسلامى المقترح مرة واحدة (بسبب عدم تطبيق النظام الاسلامى الشامل كما قدمنا) فلا بأس من أن يكون التنفيذ مرحليا ، ولكن لابد أن يعمم النظام الشامل أولا بحيث يمثل خطة للتنفيذ . وتراجع نتائج التنفيذ عنـد كل مرحلة من ارتبـاطها بالنظام ككل . ويتطلب ذلك اعطاء أولويات للتنفيذ تتفق مع الأهداف العامة للنظام .

والله نسأل أن يوفقنا ويوفق الأمة الاسلامية جمعاء الى ما يحقق لها سعادة الدنيا والآخرة . « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ، ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » .

« ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهـار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

القرآن الكريم والمسألة الاجتماعية
(خطوط عريضة) *

د . عماد الدين خليل

ان الاسلام ، فى قرآنه وسنة نبيه ، يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يريد بها أن يشكل الأرضية الصلبة التى تتحرك عليها العلاقات الاجتماعية ، والتى يمد جذورها فى أعماق النفس وبنية العالم وفى صميم النظرة الى الكون .. وصحيح انه يطرح فى الوقت نفسه تفاصيل وجزئيات عن قضايا يومية ومسائل اجتماعية بالذات ، ويلامسها ملامسة تامة الا أن الاطار الكبير ، والرؤية الشمولية التى يرسمها الاسلام لموقف الانسان فى العالم ، وطبيعة دوره فيه ، والغاية التى خلق لها والمصير الذى يسعى للتحقق به من خلال ممارساته الواقعية ، هى التى تهمنا ونحن نرسم بعض آفاق

---

* انظر بحث (البعد الاجتماعى فى مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم) ، مجلة المسلم المعاصر العدد الرابع ١٩٧٥ وبحث (مفهوم العدل بين الماركسية والاسلام) ، مجلة المسلم المعاصر العدد السابع ١٩٧٦

العدل الاجتماعى كما جاء بها هذا (الدين القيم) . ولنبدأ بمسألة (الترف) و (الغنى الفاحش) كظاهرتين نقيضتين لفكرة العدل الاجتماعى .

ذلك انه اذا اختفى العدل وانعدم التوازن ظهر الغنى الفاحش والترف . واذا كان القرآن الكريم قد عالج (الترف) - والغنى الفاحش بطبيعة الحال - كمسألة هدامة فى كيان اى مجتمع ، تنبثق عنها دوما مواقف سالبة رجعية ، واجرامية كافرة ، فمعنى هذا انه يريد مجتمعا متوازيا كبديل لحتمية ظهور الترف فى (حالة اجتماعية غير متوازنة) .. ولقد مد القرآن تحليله للظاهرة الى اعماق النفس واملاء العلاقات الاجتماعية مادية وروحية وفكرية وأخلاقية ، وتقدم بها صعدا صوب الآفاق البعيدة والتحليلات الشاملة لكى ما يلبث أن يلقى اضواءه ويقول كلمته فى حجم الدور الذى يلعبه الترف ازاء مسيرة الحضارات ونموها وعوامل سقوطها ودمارها .

ان (الترف) ممارسة (مدمرة) سواء للجماعة كلها التى تسكت عليها وتغض عنها الطرف ، أو تغلو فى انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن ، أو للمترفين انفسهم الذين يحمى الثراء الفاحش ، وما ينبثق عنه من ممارسة **مرضية** متضخمة مبالغ فيها ، بصائرهم ، ويطمس على ارواحهم ، ويسحق كل احساس أخلاقى أصيل فى نفوسهم ، ويحجب عنهم - وهذا هو الأهم والأخطر - كل **رؤية** حقيقية لدور الانسان فى الدنيا (موقفه فى الكون) وطبيعة العلاقات المتبادلة بين عالمى الحضور والغياب ، والمادة والروح ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والأرض والسماء . فيما اكسب الترف نفوسهم وحسهم من خشونة وثقل وغلاظة، ثقلوا فهبطوا فانقطعوا عن كل **رؤية** بعيدة أو ايمان جاد يتجاوز بهم عالم الحضور الى الغياب ، والمادة الى الروح ، والطبيعية الى ما وراءها والأرض الى السماء ، والعلاقات المنفعية الى **المواقع** الأخلاقية التى يتميز بها بنو آدم عن عالم النمل والنحل والحيوان . وهذا التحليل القرآنى يقف فى تضاد كامل مع الفرضية الماركسية التى تقول ان الدين لا يعدوا أن يكون جزءا من الأخلاقيات والممارسات البورجوازية .

(وقال الملأ من قومه - الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم

فى الحياة الدنيا ــ ما هذا الا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) (١) . فهاهى كلمات الله تبين لنا البعد المتبقى والأهم لما يؤول اليه الترف : انكار النبوات والقيم الغيبية ، وكفر بها وتكذيب بلقاء الآخرة ، وعدم مقدرة على استخدام مقاييس دقيقة فى وزن الحوادث والدعوات والأشياء ، غير مقاييس الطعام والشراب .. ثم حكم وقتى خاطىء سريع ، بعد هذا ، يرى فى ان الالتزام بأى نداء يخرج الانسان عن دائرة علاقاته المنفعية المباشرة ، ويصده عن الانغمار فى الطعام والشراب ، انما هى صفقة خاسرة ، تماما وفق المنطق الذى يعتمده التجار !!

وما كان للمترفين ، حماية لمواقعهم تلك ، الا أن يحزنوا ، ويتمنوا على حركة التاريخ المحتمة أن تحرن معهم وتسكن . وهم فى مواجهة اية دعوة جديدة ، تدعو الانسان للتقدم خطوات الى الأمام يرفضون شعارات (السكون) و (الرجوع) الى الوراء خوفا من أن تجرفهم الدعوة بعيدا عن أماكنهم .. وفى اكثر من موضع يحدثنا القرآن عن (رجعية) هؤلاء المؤمنين : (بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قل : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون)(٢) . وتكون الغلبة دوما لكلمة الله (فانتقمنا منهم ، فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ؟) (٣) .

وفى آيات اخرى ينقلنا القرآن الكريم ، بسرعة ، كشأنه فى كثير من الأحيان ، الى يوم الحساب ليبين لنا المصير الذى سيؤول اليه المؤمنون ، وليدينهم بالجرم الكبير الذى كانوا يمارسونه دوما فى مسيرة الحياة الدنيا
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ؛ وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين : قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون . وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) (٤) . فكأن كلمة الكفر معلقة

(١) المؤمنون ٣٣ ــ ٣٤ .
(٢) الزخرف ٢٢ ــ ٢٤ .
(٣) الزخرف ٢٥ .
(٤) سبأ ٣٣ ــ ٣٧ .

ـ وقد اخلدوا بالترف الى الأرض ـ على السنتهم !! ليس هذا فحسب ، بل انهم ـ وقد حملهم الترف الى مواقع السلطة ـ (والعلاقة الجدلية قائمة أبدا ـ عدا التجربة الاسلامية الأصيلة ـ بين الترف والسلطة ، فاما أن يقود الترف الى السلطة او ان تقود السلطة الى الترف) ، اعتمدوا مواقعهم تلك فأصدروا أوامرهم المشددة الى الجماهير والاتباع ، ليلا ونهارا ، أن يكفروا بالله وان يجعلوا له اندادا ، ولن يكون هؤلاء الأنداد المعبودون من دون الله سوى أولئك الذين نقلهم الترف الى مواقع الشرك والطغيان . كما انهم ـ وقد جوبهوا بالنداء الجديد ـ راحوا يحتمون بالأموال والأولاد معتقدين انهم بمنأى عن العذاب ، قريبا كان أم بعيدا . وهو احساس نفسي مؤكد لمن تخدعه (الكثرة) فتسوقه الى الاعتقاد بقدرته على البقاء في موقعه بمواجهة اية دعوة جديدة . ولكن هذه المقاييس النسبية الخاطئة ، تتهافت عبر حركة التاريخ الشاملة التى يسوقها الله بارادة الانسان . وتتبدى هذه الحماية الكاذبة ـ التى هى ليست سوى امتحان الهى موقوت ـ على حقيقتها !!

ومرة اخرى يعرض علينا القرآن صورا حية شاخصة لهؤلاء وهم يتخبطون فى العذاب وينالون جزاء لا يعدو أن يكون من جنس عملهم نفسه (وأصحاب الشمال ما اصحاب الشمال (١) . فى سموم وحميم ، وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ؟ أو آباؤنا الأولون ؟ قل : ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم . ثم انكم أيها الضالون المكذبون . لآكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) (٢) .

وما اعدل الجزاء الالهى ، ان المؤمنين الذين كانوا يتنعمون فى حياتهم

---

(١) لاحظ أن الشمال ـ اى اليسار ـ هنا ، وفى مواقع اخرى ـ يجيىء ـ كرمز مقترنا بالترف ، لا العكس ، كما هو معروف !! وهكذا فان لنا ، اذا اردنا الحفاظ على اصالتنا أن نميز ، حتى على مستوى تقسيمات عرضية كهذه ما دام القرآن نفسه لا يبخل علينا بها .

(٢) الواقعة ٤١ ـ ٥٥ .

الدنيا بألوان الطعام والشراب ، والناس يتضورون جوعا وعطشا ، والذين كانوا يقضون ساعات الحر اللاهب فى الظلال الباردة الطيبة ، والمعدمون يسحون عرقا . هاهم اولاء الآن ينزلون المكان الذى اعد لهم سلفا ، والذى توحى كل كلمة من كلماته البارعة المصورة بجو الحر والاختناق (فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم) .. ويأكلون كما تأكل الأنعام ، لأنهم فى حياتهم الدنيا ما كانوا ليغايروا الأنعام فى تهافتهم على الطعام والشراب . ولكنهم اذا كانوا هناك (يلتهمون) اطيب ما تمنحه الأرض ، فانهم هنا يملئون بطونهم بأسوا ما تطلعه الجحيم (شجر الزقوم) او (شراب الحميم) . وتختم هذه الآيات المروعة حديثها عن مصير هؤلاء وهى تشير بكلتا يديها : (هذا نزلهم يوم الدين) (١) .

وهـذا لا يعنى ابدا (تعليق الجزاء على جريمة الترف الى يوم الحساب وتجميد الارادة البشرية عن العمل لوقف الجريمة واعادة حالة التوازن) وما جاء القرآن الكريم لينفخ روح القعود والكسل فى نفوس الناس ، ومن السذاجة البالغة أن يمر هذا فى البال كمجرد خاطر ، وهو الذى تنزلت آياته تباعا لتؤكد مسؤولية الانسان الكاملة عن كل (فعل) يمارسه هو او تمارسه (الجماعة) التى ينتمى اليها ويندمج فيها وتشتبك مصائره بمصائرها .. على العكس تماما ، ان القرآن لا يكتفى بعرض المسألة من جانب واحد ، ويبين ما فى تجربة (الترف) من قبح وكفر وظلم وانكار .. وما سيؤول اليه اصحابها من مصير يوازيه بشاعة ممارستهم تلك ، يوم الحساب ، وانما ينتقل الى الجانب الآخر ، ويندد بالجماعة التى لا (تتحرك) لوقف الجريمة عند حدها ، وبالجماهير التى تنظر الى قلة من طغاتها تمارس المنكر فلا ترفع يدا ولا تنطق بكلمة . وبالناس الذين يرون راى العين الدمار الذى يقودهم صوب النهاية المحتومة ، بسبب ما يمارس بين ظهرانيهم من فساد ، فلا يتجمعون للمجابهة والاصلاح قبل فوات الأوان .. (فلولا كان من القرون — من قبلكم — اولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ، الا قليلا ممن انجينا منهم ،

---

(١) الواقعة ٥٦ .

واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) (١) .

وبلهجة السخرية يتحدث عن اولئك (الخاضعين) الذين يرتضون موقف الذل والتبعية لطغاتهم ومترفيهم (وقالوا : ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (٢) .

ويخطو القرآن الكريم خطوة اخيرة فى تحليله لمسألة الترف ، لكى يبين لنا على مستوى حركة التاريخ ، وقيام الدول والحضارات وسقوطها ـ المسؤولية الثنائية المشتركة التى يمارسها طرفا المسألة : المترفون والمعدمون ، فى السير بالجماعة او الأمة او الدولة أو الحضارة ، او القبيلة ـ التى ترد دائما كوحدة اجتماعية معينة ـ نحو الدمار .. المترفون الذين يزدادون ترفا وظلما وطغيانا وفسوقا ، والمعدمون الذين يقف بعضهم (ساكنا) ازاء الجريمة ، بينما يسعى بعضهم الآخر الى الاسهام بالجرم وتعزيزه بتملقهم وتذللهم ومعاونتهم على الشر فى شتى مساحاته النفسية والأخلاقية والاجتماعية . ولن يكون بعد ذلك الا ان تتخذ الارادة الالهية ـ وفق سننها الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل ـ طبقة المؤمنين انفسهم ، وهم فى قمة السلطة ، وسيلة لاحلال الدمار بأمة او جماعة فقدت كل مبررات وجودها واستمرارها (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ، وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) (٣) .

ثم ما يلبث القرآن أن يبين أن (عطاء الله) مفتوح للجميع وانه ليس مقصورا على فئة دون فئة ، وليست الملكية او عدمها حتمية مقفلة ليتنعم بها ناس ويحرم آخرون . ثم أن المسألة المادية أو العطاء ، ليس فى نهاية الأمر المقياس الموضوعى الصارم لتقسيم الناس الى درجات ، انما هو

---

(١) هود ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) الأحزاب ٦٧ ـ ٦٨ .

(٣) الاسراء ١٦ ـ ١٧ .

الايمان الذى يناط به التفضيل الحقيقى وتنال بواسطته الدرجات الحقيقية الكبيرة عند الله . وتبقى الارزاق والأموال ، يبقى عطاء الله ، متـــاح الأسباب للناس جميعا ، مؤمنين وغير مؤمنين (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد : هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات واكبر تفضيلا) (١) .

وفى مكان آخر يعرض علينا القرآن صورة لمجموعتين من الناس تقف موقفا متناقضا ازاء (عطاء الله) . المجموعة الأولى تقدر هـذا العطـاء المتقلب المتغير الذى لا يدوم ، حق قدره ، فتاخذ بدورها مراكز العطـاء بالمقابل ، وتمنح بعض او جل ما وهبها الله اياه قبل ان يزول هو أو تزول هى . وتتخذ من هذا العطاء سلما تسارع فى الصعود على درجاته الى الخير والحق والعدل . والمجموعة الثانية تتنكر لصاحب هذا العطاء ، وتستأثر وتعطى وتتخذه سلما الى مراكز السلطة والقوة والفجور ، وحرمان الألوف ممن لا يجـدون رزقهم فى مواطن الظلم والاثراء والترف والطغيـان .. لكن هذه الفئة المترفة ما تلبث ان تتلقى الصفعة عاجلا ام آجلا (والذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون . اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ... حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون . لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون. قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون) (٢) .

وتبقى سنة الله التى لا تتبدل ولا تتغير تعمل عملها فى حركة التاريخ ، وتتخذ من المؤمنين اداة تسوق بها القرى والدول والجمـاعات والأمم نحو مصائرها المفجعة (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين . فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون . لا تركضوا !! وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسـألون قالوا : يا ويلنا انا كنـا ظالمين) (٣) .

---

(١) الاسراء ١٨ – ٢١ .

(٢) المؤمنون ٦٠ – ٦٧ .

(٣) الانبياء ١١ – ١٤ .

و (الغنى الفاحش) الذى يقترب من الترف بدرجة او أخرى ، يتعرض هو الآخر لحملات القرآن الصارمة فى اكثر من موضع ، ويتلقى ضرباتها فى اكثر من زاوية . ان القرآن يحدثنا فى احدى آياته عن العلاقة المتبادلة بين الغنى والطغيان ، وكيف انه لا مفر من هذا المصير السيىء الذى يؤول اليه اصحاب الألوف والملايين ، يحدثنا بلهجة الزجر والتصنيف (كلا !! ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) (١) . وفى آية اخرى يندد بأصحاب الغنى والجاه ، وكيف ان الله سيسوقهم بممارساتهم الخاطئة الظالمة الأنانية الطاغية التى تنبثق بالضرورة عن الغنى الفاحش ، الى الطريق المسدود حيث السقوط الذى لن تجدى أموال صاحبه وأكداسه فى انقاذه منه (واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى) (٢) .

وفى آية ثالثة ينقلنا نقلته السريعة المعهودة الى يوم الحساب لنلتقى بأصحاب الملايين وذوى السلطان الذين كان الناس — يومها — يتضورون جوعا وهم متخمون ، فلم يتحركوا لاشباع جوعتهم . نلتقى بهم لكى نرى ما الذى حل بهم ، وما هو الطعام الذى سيملؤون به بطونهم الفارهة ... هناك (واما من اوتى كتابه بشماله (٣) فيقول : يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم ادر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضيه . ما اغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانية . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون) (٤) .

وآية اخرى تحملنا الى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يتلقى عتاب الله سبحانه ، اذ تصدى لأحد اغنياء مكة وطمح ان يجلبه الى حظيرة الايمان ، واعرض عن فقير أعمى ، هرع اليه لكى ينتمى الى ندائه .

---

(١) العلق ٦ — ٧ .

(٢) الليل ٨ — ١١ .

(٣) انظر الهامش رقم ٥ .

(٤) الحاقة ٢٥ — ٣٧ .

ويبين له كيف أن (الذكرى) أجدى مع هؤلاء منها مع أولئك وفى أغلب الأحيان : (عبس وتولى . ان جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى ؟ أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى ؟) (١) وخامسة تجتاز بنا المسافات الى أواخر العصر المدنى حيث النفير العام الذى أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم (عام ٩ هـ) فى المعركة المعروفة بتبوك فتلقى مسؤولية التخلف على (الأغنياء) الذين رفضوا أن يستجيبوا للنداء (انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) (٢) . وآية سادسة تعرض علينا ــ بسخرية واستهجان ــ أحدى مقولات اليهود المادية ، أرباب الذهب والفضة ، وهى مقولة مضحكة حقا ، لكن بريق الذهب ورنين الفضة يعميان ويصمان (لقد سمع الله قول الذين قالوا : ان الله فقير ونحن اغنياء !! سنكتب ما قالوا ــ وقتلهم الأنبياء بغير حق ــ ونقول : ذوقوا عذاب الحريق) (٣) .

وفى مواضع اخرى عديدة من كتاب الله تتدفق الآيات متحدثة هذه المرة عن ارباب المال ، مترفين وأغنياء ، فاضحة اياهم ، منددة بهم ، ملقية قوارعها على مواقفهم الرجعية والمنفعية ازاء الدعوات الجديدة ، صافعة صلفهم وغرورهم ، ممزقة الأستار عن حماية المال والبنين التى يحتمون بها دائما ويتوهمون انها تخلصهم من عقاب الله ، واضعة اياهم ــ هذه الآيات ــ وجها لوجه امام مصائرهم ، مبينة لهم ان اعتدامة المال عليهم ليس من مصلحتهم فى معظم الأحيان (يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ، بل لا يشعرون) (٤) . (ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله اخلده . كلا لينبذن فى الحطمة) (٥) (تبت يدا أبى لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب .

---

(١) عبس ١ ــ ٧ .

(٢) التوبة ٩٣ .

(٣) آل عمران ١٨١ .

(٤) المؤمنون ٥٥ .

(٥) الهمزة ١ ــ ٤ .

سيصلى نارا ذات لهب) (١) (فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) (٢) .

ويدعو نوح فى قلب المحنة (رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) (٣) .

ويدعو موسى عليه السلام بعد قرون طويلة (ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ولن تغنى عنهم اكداسهم من المال واتباعهم من الأبناء والمواشى اذا دمدم عليهم فى الدنيا او جاء دورهم يوم الحساب (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) (وقالوا : نحن أكثر اموالا وأولادا وما نحن بمعذبين . قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون . وما اموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال : لأوتين مالا وولدا . اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) (ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا) (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) .

هنالك الحوار الشيق الذى ورد فى سورة الكهف بين صاحب المزارع الواسعة وبين صديق له لا يكاد يملك شيئا ولقد انتهى الأمر بأولهما الى

---

(١) المسد ١ ــ ٣ .

(٢) التوبة ٥٥ .

(٣) نوح ٢١ .

البوار فليس الغنى والثروة فى منطق الاسلام ــ بالشىء الأبدى الدائم كما يتصور كثير من الرأسماليين ولا بالحتمية التى تفرضها (ظروف الانتاج) كما يتصور كثير من الماديين انما هى مسألة وقتية معرضة للزوال فى أية لحظة قد يساء فيها التصرف ، ويمارس الطغيان ازاء جماهير الناس ، والصلف والغرور ازاء ارادة الله السريعة الحاسمة التى لا تبقى ولا تذر . ومن منا لم يقرأ ــ كذلك ــ قصة (قارون) اليهودى الثرى الذى كاد الذهب يخرج من انفه واذنيه !! (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين ، قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) .

وسوء التصرف هذا ، والطغيان ازاء (حقوق) الفقراء والمعدمين هو الذى قاد الأخوة الثلاث اصحاب المزرعة الذين سموا ــ لا تساعها وامدادها واكتظاظها ــ بأصحاب الجنة !! الى البوار (اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ١٧ ــ ٢٤ من سورة القلم لكن ارادة الله سبقتهم فحصدتها قبل أن تحصدها الأثرة والجشع والطغيان .

وبينما تنصب الأوصاف القاسية السيئة على الفقراء والمعدمين فى المجتمعات التى يسودها الترف والطغيان فيسمون بالأوباش والأراذل والسوقة والادنياء والمتطفلين الى آخره ، ينعكس الموقف فى القرآن الكريم حيث توجه اخس الكلمات الى (اصحاب المال) المارقين ويرمون بأقسى النعوت .

هاهي احدى الآيات تتحدث عن احدهم مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم ، ان كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آيتنا قال أساطير الأولين ، سنسمه على الخرطوم) (١) ولا نجد فى القرآن فى مقابل هذا اى نعت او صفة قاسية تلحق بالفقراء والمعدمين ، وكل ماورد عنهم انما جاء على لسان الكفار والمترفين أنفسهم من تسمية هؤلاء بأراذل القوم، وانهم طليعة من يتبع الأنبياء وهم يدعون اقوامهم الى الايمان (قالوا : انؤمن لك واتبعك الأرذلون) (٢) (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الراى) (٣) وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه .

وكان ارباب المال هؤلاء كانوا يدركون ما وراء الدعوات الجديدة التى ينادى الأنبياء للانتماء اليها من تغيير فى العلاقات الاجتماعية واسلوب جديد فى التعامل مع (المال) فكانوا يطرحون دوما ـ سؤالهم الاستنكارى هذا (اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء) (٤) .

ونجيىء اخيرا الى الآية التى يحسم القرآن فيها الموقف ازاء المترفين والأغنياء وارباب المال الذين يقفون بمواجهة (العدل) الذى جاءت الأديان لتحققه فى هذا العالم . الآية التى سنعود اليها مرة اخرى والتى تقودنا الى اكثر من افق (يايها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٥) .

***

---

(١) القلم ١٠ ــ ١٦ .

(٢) الشعراء ١١١ .

(٣) هود ٢٧ .

(٤) هود ٨٧ .

(٥) التوبة ٣٤ ــ ٣٥ .

وفى مقابل هذه الحملـة الشاملة الحاسمة الرهيبـة على ظاهرتى (الترف) والغنى الفاحش فى التجربة الاجتماعيـة ، ما الذى يقدمـه القرآن الكريم عن الفقـر والفقراء والمساكين والمعدمين ؟ هل هى دعـوة للتبرع لهم والاحسان اليهم فحسب ؟ فأين اذن السلطة الاسلامية ؟ وهل يمنع هذا الاسلوب (الأدبى) دونما ضمانات تشريعيـة ، ظهور وتضخم طبقة المترفين وتحول المال الى دولة للأغنياء ؟ ما الذى دفع القرآن الكريم الى أن يعرض فى عشرات المواضع مسالة (الانفاق) على الفقراء و (الحض) على اطعامهم بكل ما يتضمنه فعل (الحض) من قوة وفاعلية لتحقيق هذا الهدف ، وهو اشباع الجائعين وسد حاجاتهم الأساسية ومن أولى من السلطة المشرعة والمنفذة بالتخطيط لهذا المطلب الحيـوى الخطير وتنفيذه فى عالم الواقع بما تمتلكه من قوة وفاعلية .

صحيح أن (الانفاق) الفردى و (الصدقة) الاختيارية و (التكافل) الاجتماعى وغيرها من فاعليات العطاء التى يمارسها المسلم ازاء اخوانه تمثل جزءا أساسيا من برنامج العدل الاجتماعى فى الاسلام وتغطية مساحة واسـعة من نداءات القرآن فى هذا المجال وتلعب دورا كبيرا فى احـداث التوازن والانسجام والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع المسلم وفئاته وتجتث ادران الحقد والكراهية والشر لكى تزرع بدلا منها علائق التكافل والمحبـة والخير لا سيما فى الفترات التى تغيب فيها السـلطة فيتعرض الفقراء والمعـدمون للموت جوعـا فتمتد اليهم اليـد التى لا (تتبرع) و (تمن) ولكن تعطى وتواسى وتنـدمج وتتعاون لكى تنقذهم من هـذا المصـير المفجع . وأى منا لم يمارس بنفسه أو يشـاهد اخوانه ورفاقه المؤمنين يحصون أموالهم سنة بسنة لكى يقتطعوا منها حق السائل والمحروم ويقدموها وزيادة دونما جلبة ولا ضوضاء . ومع ذلك فلا يعدو أن يكون هذا (العطاء) على اهميته مساحة محدودة فحسب من المساحات الشاسعة لبرنامج العدل الاجتماعى الذى رسم القرآن والسنة خطوطه العريضـة ونفذ الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدون رضوان الله عليهم مخططاته الفذة وبنى الفقهاء والمجتهدون على هذا وذاك مقولاتهم ونظرياتهم العجيبة المنفردة .

في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن الكريم ترد الدعوة لاطعام الفقراء

والمساكين وسد حاجاتهم الأساسية ، وفى أكثر من اربعين موضعا يرد التأكيد على فريضة الزكاة والصدقات وتقييم رافعيها والتنديد بمـا نعيها . وفى أكثر من سبعين موضـعا يتردد ذكر الانفاق وتسـلط عليه الأضـواء من كافة زواياه ، وفى أكثر من موضع يجيء التأكيد على أن هذا العطاء ليس تبرعا ولا منة ولكنه حق للسائلين والمحرومين (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السـبيل) (١) (والذين فى أموالهم حق معلوم للسـائل والمحروم (٢) (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (٣) (كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (٤) . وفى آيات أخرى يرد الحض على اشباع الجائعين وسد حاجاتهم الأساسية كجزء اصيل من متطلبات الايمان كممارسة الصلاة سواء بسواء ، وان التوقف عن هذا (الحض) يخرج أصحـابه من حظيرة الدين ويدمغهم بالكـذب (أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعـام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون) (٥) (انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون)(٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين) (٧) .

ولن يكون (الحض) ما دام قد اقترن بالايمـان واصبح وقفة وقفا لحركة الدين نفسه لن يكون بكلمات متثائبة تقال وبين دفع بقايا الطعـام الى المساكين الذين يقفون وراء الأبواب خائفين متوسلين . انما بالفعل الدائم والحـركة المستمرة وبالثورة ـ اذا اقتضى الأمر ـ لتحقيق هـذا

---

(١) الإسراء ٢٦ .

(٢) المعارج ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) الذاريات ١٩ .

(٤) الانعام ١٤١ .

(٥) الماعون ١ ـ ٧ .

(٦) الحاقة ٣٣ ـ ٣٧ .

(٧) الفجر ١٧ ـ ١٨ .

المطلب الأساسي .. تماما كما ان الصلاة فعل دائم وحركة مستمرة وانها بمجرد تحولها الى الظل والى ان تعد وممارسة جانبية تدمغ صاحبها بالنفاق .. وهذا هو الذى دفع ابا بكر الصديق رضى الله عنه الى ان يشهر السيف بوجه مانعى الزكاة ويعلن (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) . ولا يتصورن احد ان كثرة ورود الفقراء والمساكين وابناء السبيل فى القرآن الكريم يجىء بمثابة تأكيد لأبدية ظاهرة (الفقر والحرمان) التى هى كما هو معروف اجتماعيا ـ مسألة (نسبية) لأن كثرة ورود الكفر والشرك واللات وهبل والعزى ، ووأد البنات وأكل مال اليتيم ، وممارسة الربا اضعافا مضاعفة ، وشرب الخمر ولعب الميسر وعبادة الناس ، لا تحمل اية دلالة على ابديتها !! ثم أن القرآن الكريم لا يمكن ان يناقض نفسه فيدعو الى (تأبيد) ظاهرة يشن هو نفسه الحملة عليها ، ويصل بها فى احدى آياته الى أن يربطها بالشيطان وبما يأمر به ويدعو اليه من الفحشاء (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء) (١) .

وثمة آيات اخرى تصل بنا الى آفاق ابعد فى مسألة التوازن الاجتماعى : الآية التى تطلب من المسلمين دولة وجماعة ان (يتحركوا) مقاتلين مجاهدين لانقاذ المستضعفين من أيدى ظالمين وجلادين وتعطى الاشارة الى ان (السيف) هو الحكم الأخير عندما تعجز كل الأساليب الأخرى عن وقف الظلم وتخليص البائسين . وأن الجهاد ـ تلك الثورة المسلحة ـ هى الحركة التى تنقل المقاتل المسلم الى كل ميدان يمارس فيه الظلم ضد الانسان أيا كان شكل هذا الظلم وأيا كانت دوافعه (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (٢) .

وهذه الآية التى يطرحها القرآن ليتحرك المسلمون على ضوئها على المستوى الجماعى تقابلها آية اخرى تدعوهم الى أن يتحركوا على المستوى

---

(١) البقرة ٢٦٨ .

(٢) النساء ٧٥ .

الفردى كذلك وان يقتحموا العقبة هكذا ، بكل ما يتضمنه (فعل) الاقتحام من قوة وعنف وارادة لابد منها جميعا لاجتياز الحاجز (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)(١) تحرير المستعبدين واطعام الجائعين ذلك هو الهدف الذى يقتحم المؤمن من أجله الحواجز بقوة وعنف وحزم وارادة !!.

والآية التى تطرح نفسها كسؤال خطير أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وامام اى مشرع مسلم يجيىء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم (ويسألونك ماذا ينفقون) ويجىء الجواب الدائم غير الموقوت بينا صريحا (قل العفو) والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة ونتذكر هذا المبدأ الخطير فى التسوية الاجتماعية عندما نستمع الى احدى كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بأس من أن نورد هاهنا (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويقول شهود العيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لأحد منا فى فضل .

وهنالك الآية التى تأمر المسلمين دولة ومشرعا وجماعة الا يسمحوا لأموالهم التى لكل فئة منهم حق معلوم فيها والتى جعلها الله لهم سببا من أسباب البقاء والنماء أن تذهب الى (السفهاء) بهذا التعبير الصريح فى تنديده (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) والآيات التى تقطع الطريق على اية محاولة لطمس حقوق الناس فى أموالهم لكى يزداد أصحاب السلطة والواجدون غنى والفقراء والمعدمون فقرا وتسمى هذه المحاولة التى يمكن أن تتم بألف أسلوب ــ بالاثم والعدوان والظلم والاجرام اكثر من ذلك نسمها بقتل النفس . وليس كفقدان العدل الاجتماعى معولا ينزل على بنية المجتمعات فيفتتها ويدمرها ويمحوها (ولا تأكلوا أموالكم بينكم وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) .

---

(١) البلد : ١٢ ــ ١٦ .

والآية التى تصبب حمما من نار على طبقة (رجال الدين) من الأحبار (والرهبان) الذين اشتروا بعقيدتهم ثمنا قليلا وراحوا يدجلون على الناس باسم الدين ليأكلوا بأموالهم ويضخموا بها حجم كنوزهم من الذهب والفضة .وكأن القرآن الكريم يفتح اعين المسلمين جيدا ويستغز وعيهم الدائم كى لا يتيحوا لظاهرة هدامة كهذه أن تبرز فى مجتمعهم وبين ظهرانيهم مهما كانت على درجة من الضآلة .والخفاء ، ويندد بكل من تحدثه نفسه بممارسة الأسلوب الذى مارسه الأحبار والرهبان طويلا . وهذا — وغيره من الأسباب — يفسر لنا انعدام ظهور المرتزقة بالدين فى تاريخنا وظهور نقيض هذا تماما : رجال الفكر الاسلامى وهم أشد الناس فقرا وتواضعا واندماجا فى حياة الناس العاديين ورفضا لمواقع السلطة وانكارا لاغراء الذهب والفضة ليس هذا فحسب بل ان القرآن يوجه تحذيره الرهيب الى المسلمين أنفسهم الا يكتنزوا الذهب والفضة وان ينفقوها فى سبيل الله ، وانه بدون هذا وذلك فسوف تنقلب عليهم وبالا يوم الحساب . واى مترف او غنى تستحيل حياته الى تكديس للمال ، والناس يتضورون جوعا دون أن يتحرك بأمواله لوقف ظاهرة الجوع والحرمان فان له أن يتصور هذا الخطاب موجه اليه .وانه غريب عن المجتمع الاسلامى الذى ينتمى اليه بل انه مارق عن حكمه واهدافه ، (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (١) (وترى كثيرا منهم — اى اليهود — يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) (٢) .

---

(١) التوبة ٣٤ — ٣٥ .

(٢) المائدة ٦٢ — ٦٣ .

وفى آيات اخـرى من سورة الفجر يتكرر هذا التنديد بجمع المـال واكل التراث ، ويرتبط عفويا بعـدم اكرام اليتامى والحض على اطعـام الفقراء ، مبتدا بكلمة الزجر القرآنية العنيفة كلا (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبـا جما) (١) ونحن لا نستطيع الا ان نلحظ السمة الجماعية المشتركة فى فعل (تحاضون) والمفهوم الحركى الكامل فى صيغته المبالغة .

والآيات الكثيرة التى تأمر بربط (الاشباع) (الاعتدال) والتقـوى والعمل الايجابى الصالح وتنهى عن الاسراف والطغيان والفساد فى الأرض ، واتباع خطوات الشيطان تعمق فى اذهان المسلم العارف والمشرع وتحذرهما فى الوقت نفسه من حتمية هذه العلاقة المتقابلة بين عدم تنظيم الاشـباع وبين كل ما يتمخض عنه ظلم (اجتمـاعى) يتمثل بالاسراف والطغيـان والفساد فى الأرض . وليس ثمة مجتمع تتحكم فيه قلة من الذين يملكون بكثرة من الذين لا يملكون وتتخم فيه بطون معدودة وتتضور الملايين يخلوا من سمات الاسراف والطغيان والفساد فى الأرض ، ذلك (الافساد) الذى يتلبس وسط هذا التناقض الاجتمـاعى الغريب ويتخذ ـ وقـد اختفى التوازن ـ الف وسيلة لدعم المجتمع وعرقلة الحركة الحضارية ووضع العراقيل فى طريقها (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطـوات الشـيطان انه لكم عدو مبين)(٢) (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسـدين) (٣) (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان)(٤) (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله)(٥) و (يايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)(٦) و (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) (٧) .

---

(١) الفجر ١٧ ـ ٢٠ .

(٢) البقرة ١٦٨ .

(٣) البقرة ٦٠ .

(٤) الأنعام ١٤٢ .

(٥) الأنفـال ٦٩ .

(٦) المؤمنون ٥١ .

(٧) طـه ٨١ .

والآية التى تبين للناس جميعـا أن الأرض قد ذللت لهم بارادة الله سبحـانه وتدعوهم الى أن يتحركوا فى امدائها (ويأكلوا) من رزقهـا ولا معذر بعدها لجائع قاعد لا يجهد ومسحوق لا يتحرك (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)(١) .والآية التى تقرن مأساة الجوع بكارثة الخوف وتبين لهم كم هى عظيمة المنة التى يمنحها الله على الناس عندما ييسر لهم سبل الشبع والأمن (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)(٢) .

والآيـات التى تأمر المسلمين بأن يتجاوزوا اخطاءهم ويكفروا عنها باعتبـارها اعمالا سالبة وذلك بتقديم ما يقابلها ويعوض عنهـا من عطاء باعتباره عملا ايجابيا يمنح المجتمع ما خسره بممارسة الأخطاء . واى فعل اولى بهذا العطاء من اطعام الجائعين .وتحرير المستعبدين (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقـدتم الايمان فكفارته اطعـام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون به اهليكم أو كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصـيام ثلاثة ايام) (٣) (أو كفارة طعام مسـاكين أو عدل ذلك صياما) (٤) .

.والآية التى تبين ان طبيعة الحياة الدنيا وفلسفتها العمليـة تقوم على (التفاضل) بين الناس فى الرزق وان حـكمة الله سبحانه هى التى قادت الى هذا انسجاما مع طاقات الناس وقدراتهم واهتماماتهم وحرصهم ومدى تحملهم للمسئولية ومقدار يقظة ضميرهم ، وتمشـيا مع متطلبات التطوير والتنوع والتغاير فى مسيرة الحضارات البشرية فى كل زمان ومكان ورفضا للمنطق المثالى الذى يتخيل الناس وقد تساووا فى ارزاقهم (مطلق) التسـاوى ذلك المنطق اللاواقعى الذى قدمت لنا التجـربة المادية ارتطامه الصريح فى ميدان التنفيذ وفى مدى العلاقات الفعلية فى المجتمع الا ان آية كهذه وهى لبنة من لبنات كتاب الله المعجز لا تقف عند حد تسليط الضوء على هذا الجانب الواقعى من الصورة الاجتماعيـة فهى فى شقها القريب

---

(١) الملك ١٥ .
(٢) قريش ٤ .
(٣) المائدة ٨٩ .
(٤) المائدة ٩٥ .

الثاقب سرعان ما تبين أن المال الذى هو فى أساسه ملك للناس جميعا يلغى اى تصور قد يدور فى أذهان الذين يملكون كثيرا من انهم وحدهم اصحاب الحق فى هذا المال ، لأن الطرفين فيه سواء ، هكذا بهذه الصراحة القرآنية المعهودة ، وان اى غبن قد يعترى هذه الحقيقة انما هو جحود بنعمة الله (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)(١) .

ويعود القرآن الكريم ليطرح مرة اخرى وهو يتكلم عن تهيئة الأرض لاستقبال الحياة البشرية فى فجر التاريخ الجيولوجى البعيد مسالة التساوى بين الناس فى (القوت) الذى منحه الله لهم جميعا (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى اربعة أيام سواء للسائلين)(٢) . ليس هذا فحسب بل ان القرآن الكريم ينعى على الكفار تصورهم الساذج ان الله سبحانه ما دام قد كتب (الجوع) على طائفة من الناس فانه ليس بمقدور واحد من خلقه ان يطعمها !! بهذه السذاجة التى كثيرا ما دارت فى أذهان القانعين والزاهدين ، وتمنح فى المقابل مبررا مضحكا ولكن ذو فوائد جمة للمالكين الذين لا يبذلون اى جهد فى انقاذ الذين لا يملكون فما دام الله هو الذى أجاعهم فليس بمقدور واحد من خلقه ان يشبعهم (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين) (٣) .

وهذا ينقلنا الى مسألة ذات اهمية بالغة فى قضية (العدل الاجتماعى) ان لم تكن محورها الأساسى وعمودها الفقرى ، تلك هى قضية اشباع حاجة الانسان الأساسية الا وهى (الطعام) ونحن نستطيع ان نميز بين المذاهب التى أعارت هذا الجانب الحيوى اهتماما بدرجة او باخرى ، وتلك التى لم تكترث له البتة ، وظلت معلقة فى سماواتها واخيلتها ومثالياتها بمجرد ان تلقى نظرة سريعة على عدد المرات التى وردت فيها المفردات ذات العلاقة المباشرة او غير المباشرة بالموضوع من أكل ورزق وطعام وشراب والمناخ الذى وردت فيه وليس لباحث جاد يقرا كتب عدد

---

(١) النحل ٧١ .

(٢) فصلت ١٠ .

(٣) س ٤٧ .

من الفلاسفة والمفكرين كجمهورية افلاطون ويوتوبيا توماس مور ومدينة اوغسطين المقدسة ومدينة الفارابى الفاضلة ولا يرى فيها الا اهتماما عابرا بمسألة الأكل والطعام والرزق والشراب ، ثم لا يحكم عليها بأنها لا تولى اهتماما مصيريا حاسما لاشباع احدى اهم حاجات الانسان الاساسية .
وليس لباحث جاد كذلك ان يقرأ كتاب الله ويلتقى بعشرات بل مئات المواضع التى وردت فيها مفردات هذه المسألة الا أن يستنتج أن الاسلام جاء لكى يضع هذه المسألة الحيوية فى مقدمة برامجه التغييرية ، ويوليها اهتماما مصيريا حاسما .!!

فى حوالى مائة موضع فى القرآن ترد كلمة (الأكل) بتصريفاتها المختلفة ، وفى حوالى خمسين موضعا ترد كلمة (طعام) بتصريفاتها المختلفة ، وفى حوالى ثلاثين موضعا ترد كلمة (شراب) بتصريفاتها المختلفة وفى حوالى مائة وعشرين موضعا ترد كلمة (الرزق) بتصريفاتها المختلفة ليس هذا فحسب ، بل أن (المناخ) الذى كانت هذه الكلمات ترد فيه فى كثير من الأحيان ، والأرضية التى تحركت عليها عبر الآيات والسور تبين لنا بوضوح كامل ووفق أساليب القرآن اللغوية والبلاغية ، مدى الأهمية المولاة لهذه المسألة الحيوية التى هى من أشد المسائل اهمية فى تاريخ الانسان . هذا فى الوقت الذى نجد فيه (مناخات) و (أرضيات) كلمات ، الطعام والشراب والأكل فى عدد من المذاهب والأديان الأخرى المحرفة تفيح بروائح الاحتقار والرفض والدنس والاشمئزاز . ولكن أنى لهؤلاء أن يهربوا من صيحات اجوافهم الجائعة التى لو القمت حصى وأحجارا لطحنتها .

ومن ثم كان التناقض المحزن الذى عرفه التاريخ مرارا : أن يأكل هؤلاء ويشبعوا ويتجاوزوا الشبع الى التخمة ويتجاوزوا التخمة الى التكديس بينما أتباعهم وعبدتهم يتضورون جوعا وهذه الفرضية المحزنة بالنسبة لأصحاب المذاهب (المتطهرة) والأديان الروحية (والمحرفة) وبعض الحركات الصحفية المتطرفة والتى استهجنت الحديث عن الطعام والشراب انعكست تماما فى القرنين الأخيرين وبشكل اشد إيلاما ، فى المذاهب المادية التى رات فى المعدة بدء حياة بنى آدم ومنتهاها ورفعت

مسألة الطعام والشراب الى مصاف القداسة فاذا بعدد من الناس يأكلون فيشبعون فيتخمون فيترفون فيكدسون ، واذا بالجماهير الساحقة من الناس تكدح وتتصبب عرقا وتموت مسغبة جوعا ، لكى تقدم لسدنة (الحرم المقدس) الجدد الأضحيات والقرابين !! .

المهم أن الاسلام هذا الدين (الوسط) أولى هذه الحاجة الحيوية كما أولى الحاجة الجنسية تماما ، اهتمامه الجاد الكبير ، وهذا أمر طبيعى تماما لأن الله سبحانه الذى خلق الانسان وصاغ وظائفه العضوية وقدر حاجاته الأساسية أدرى بمتطلبات هذه الحاجات وضرورة تلبية نداءاتها الأبدية المستمرة وأعلم بطبائع الانسان التى ان لم تنسق وتنظم وترتب ضماناتها فانها سوف تدمر نفسها بالاثرة والاسراف بينما يموت الآخرون جوعا أو تقتلها بالحجب والكبت والحرمان ، فتشذ بهذا عن منطق التكوين البيولوجى للانسان .

واهتمام القرآن الكريم بالمسألة التى تحت أيدينا يبتدىء اول ما يبتدىء — كما قلنا — فى هذا العدد الكبير من المواضع التى وردت فيها مفردات المسألة وعباراتها ، وفى المناخ والأرضية التى تحركت عليها هذه العبارات والمفردات وتنفست !! واليكم — بعد ذلك — نماذج محدودة فحسب من هذا العرض القرآنى لمسألة الأكل والطعام والشراب .

الأكل : (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعلمون) (١)(أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم أفلا يبصرون) (٢) . (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا مما فى بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا

---

(١) المائدة ٦٥ — ٦٦ .
(٢) السجدة ٢٧ .

أو أشتاتا (١) والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) (٢) (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (٣) (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) (٤) (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) (٥) (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ؛ (٦) (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (٧) (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (٨) .

(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ؟ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) (٩) (اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا) (١٠) (وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) (١١) (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم) (١٢) (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض) (١٣) (يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (١٤) (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) (١٥) (يابنى آدم خذوا زينتكم

(١) النور ٦١ .

(٢) النحل ٥ .

(٣) المؤمنون ١٩ .

(٤) المؤمنون ٢١ .

(٥) فاطر ١٢ .

(٦) غافر ٧٨ .

(٧) يس ٣٥ .

(٨) يس ٣٣ .

(٩) يس ٧١ — ٧٣ .

(١٠) البقرة ٣٥ .

(١١) البقرة ٥٧ .

(١٢) البقرة ٥٨ .

(١٣) البقرة ٦٠ .

(١٤) البقرة ١٦٨ .

(١٥) البقرة ١٧٢ .

عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينــة الله التى اخرج لعباده والطيبــات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (١) (كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) (٢) (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) (٣) (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (٤) .

الطعام : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) (٥) (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ..) (٦) (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء .. (٧) (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشـــاء الله أطعمــه ان انتم الا فى ضلال مبين) (٨) .

(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) (٩) (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (١٠) .

(الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين) (١١) (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه) (١٢) ، وطعام

---

(١) الأعراف ٣١ ــ ٣٢ .

(٢) طـه ٥٤ .

(٣) الحج ٢٨ .

(٤) الملك ١٥ .

(٥) المائدة ٩٣ .

(٦) الانعام ١٤٥ .

(٧) الأنعام ١٣٨ .

(٨) يس ٤٧ .

(٩) الانسان ٨ ــ ٩ .

(١٠) قريش ٤ .

(١١) الشعراء ٧٧ ــ ٧٨ .

(١٢) آل عمران ٩٣ .

الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) (١) (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام) (٢) (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) (٣) (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم) (٤) .

الشراب :

(افرأيتم الماء الذى تشربون . أانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) (٥) (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (٦) (فكلى واشربى وقرى عينا) (٧) (نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) (٨) (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (٩) .

(يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (١٠) (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) (١١) (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج (١٢) (ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) (١٣) .

---

(١) المائدة ٥ .

(٢) الفرقان ٢٠ .

(٣) المائدة ٩٦ .

(٤) عبس ٢٤ — ٣٢ .

(٥) الواقعة ٦٨ — ٧٠ .

(٦) البقرة ١٨٧ .

(٧) مريم ٢٦ .

(٨) النحل ٦٦ .

(٩) النحل ١٠ .

(١٠) النحل ٦٩ .

(١١) ص ٤٢ .

(١٢) فاطر ١٢ .

(١٣) يس ٧٣ .

يتقدم بنا القرآن الكريم خطوات واسعة اخرى فى ميـدان (العدل الاجتماعى) واضعا فى كل خطوة يخطوها وآية يطرحها معلما من معـالم هذا الميدان ومبدأ من مبادئه الأساسية التى تقوم عليها جزئيات التنفيـذ ويومياته المتغيرة المتحولة الا أن القاعدة تبقى دوما هى القاعدة .. يتقدم بنا صوب حقيقة أخرى لا تقل عن سابقاتها ان لم تفقها على الاطلاق تلك هى أن الناس خلفاء الله فى أرضـه وان اموالهم ليسـت فى (ملكيتهم) ابتداء انما هى (مال الله) استخلفهم فيه لينظر ماذا يصنعون به وفى اى الوجوه يسخرون قيمته ويعتمدون (منفعته) بارادتهم الخاصة وحريتهم التى منحهم الله اياها تمييزا لهم عن كثير من خلائقه ومعنى هـذا أن بنى آدم جميعا يملكون حقهم المشروع فى هذا المال وان (وكالته) أو (تفويضه الاجتماعى) الموقت ليس أبديا لأية فئة من الناس لا تمس شروط توظيفها عليه ، ولا تعدل فى تصريف قيمه ومنافعه (آمنوا بالله ورسـوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (١) (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (٢) .

والقرآن الكريم يربط هذا (الموقف) الاجتماعى بنظريته الشاملة عن دور الانسان فى الأرض ، ذلك الدور الذى يقوم فى أساسه على (خلافته) عن الله فى هذا العالم (واذ قال ربك للملائكة انى جاعـل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها ..) (٣) (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) (٤) (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) (٥) (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره) (٦) .

ومسألة استخلاف الناس فى الأموال وفى ملكيتهم له ابتداء ، تزداد وضوحا وتاكيدا بمجرد ان نلقى نظرة سريعة على المواضع التى وردت فيها كلمة (رزق) فى القرآن بتصريفاتها المختلفة ففى جل تلك المواضع البالغة

---

(١) الحديد ٧ .
(٢) النور ٣٣ .
(٣) البقرة ٣٠ .
(٤) الانعام ١٦٤ .
(٥) يونس ١٤ .
(٦) فاطر ٣٩ .

حوالى المـــائة والعشرين موضـــعا يرد فصل (الرزق) مرتبطا بمصـــدره الحقيقى ومالكه الأول والأخير : الله سبحانه وفى معظمها ترد الدعوة الموجهة للانسان بأن ينفق ويعطى من رزق الله هذا وان عليه أن يتذكر دوما ان هذا المال ليس ماله وانمـــا هو مال الله وبدون هذا الانفاق والعنـــاء فانه سوف يقدم الاشارة على أنه ــ فردا أم جماعة ــ غير مستحق هذا المال : (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه) (١) (انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) (٢) (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت) (٣) (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (٤) (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) (٥) (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (٦) (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) (٧) (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض) (٨) (أمن هذا الذى يرزقكم أن أمســـك رزقه) (٩) (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) (١٠) (له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (١١) (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) (١٢) .

---

(١) يس ٤٧ .

(٢) البقرة ٢٥٤ .

(٣) المنافقون ١٠ .

(٤) البقرة ٣ .

(٥) ابراهيم ٣١ .

(٦) الشورى ٣٧ .

(٧) الأنعام ١٥١ .

(٨) النمل ٦٤ .

(٩) الملك ٢١ .

(١٠) الشورى ٢٧ .

(١١) الشورى ١٢ .

(١٢) العنكبوت ١٧ .

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) (١) (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) (٢) وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم) (٣) .

***

وما كان لنا أن نغادر كتاب الله قبل أن نقف قليلا عند آيات (الحشر) الحاسمة في هذا المجال ، الآيات التي تحمل دعوة الله الصريحة الى رسول الله والمؤمنين أن (ينظموا) مسألة (توزيع المال) بشكل لا يقود الى حصره في يد القلة وحجبه عن الكثرة الساحقة وهذا امـــر طبيعي تماما ما دام القرآن قد حدثنا ــ كما رأينا ــ عن الصورة الكالحة القاتمة للمجتمع الذي تكون كلمته الأولى والأخيرة للمترفين (ما أفاء الله على رســوله من أهل القرى فلله وللرســول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن الســبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنــا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمــان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) (٤) .

ان كلمات الله سبحانه في هذه الآيات من سورة الحشر وهي تأمــر بتوزيع الفيء على كافة الفئات (المحتاجة) في المجتمع الاسلامي الوليد ، تقدم برنامج (عدل اجتماعي) ســار على هديه الرســول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم وان عبارة (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) هي غاية ما يمكن ان يطــرح ــ في مجال كهذا ــ أمام المشرع الاسلامي .

---

(١) الذاريات ٢٢ .

(٢) ص ٥٤ .

(٣) العنكبوت ٦٠ .

(٤) الحشر ٧ ــ ١٠ .



الفكــرة الأخلاقيــة
بين القــانون والشريعة الإسلامية

د . مصطفى كمال وصفى

ان منشأ التساؤلات التى اكتنفت مقال : القانون والأخلاق للصديق العزيز الدكتور جمال عطية ، ومقارنة منهج القانون فى ذلك بمنهج الشريعة الاسلامية ، انما يعود الى اختلاف الفكرة الأخلاقية فى النظامين ..

فالأخلاق فى القانون هى أخلاق وضعية .. أما فى الاسلام فهى أخلاق سماوية وهنا نقرر ـ وربما لأول مرة ـ أن الوضعية ليست فى التشريعات فقط ، ولكن كذا فى النظم الحضارية : اى فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغير ذلك ..

هذه الفكرة اعتقد انها طريفة .. لأنى لم اقراها من قبل ولكنهـا حقيقية فيما ارى .

فهناك نظام وضعى أخلاقى ونظام وضعى ثقافى ونظام وضعى تربوى ونظام وضعى اجتماعى (يعنى على مستوى مختلف العلاقات الاجتماعية) ونظام وضعى اقتصادى أو سياسى أو غير ذلك وهذه النظم تختلف تماما عن النظام السماوى لكل أمر من هذه الأمور ..

* نائب رئيس مجلس الدولة المصرى .

ولذلك فهناك نظام وضعى قانونى ونظام وضعى اخلاقى .
وأما الشريعة فليس فيها الا نظام سماوى واحد : نظام قانونى اخلاقى ثقافى تربوى اجتماعى اقتصادى سياسى ... واحـد فقط كما أن الله سبحانه وتعالى واحد والحق واحد .

وقد اعجبنى تصوير دوفرجيه للنظم .

ودوفرجيه هذا هو رائد دراسات النظم الدستورية فى هـذا العصر وسلطانه الأوحد الجالس على أعلى مقعد لهذا الفن بالسوربون بباريس ..

فهو يصور الحياة القانونية على ان القـائمين بهـا كالممثلين الذين يلبسون الشخصيات الروائية ..

يعنى مثلا من يلبس شخصية من تلك الشخصيات الثـابتة التى تراها فى روايات عديدة باسمه .. مثلا كأرسين لوبين .. عشرات الروايات بل مئات بطلها هذا اللص الظريف ، حتى صار نمطا عاما من الشخصيات .. كشن كش بك زمان ... بلياتشو ... سكاراموش ... شارلى شابلن .. هكذا .. يجده بطلا واحدا لمـا لا يحصى من القصص ! ...

وهكذا ، فان « المدير » أو « الوزير » أو « الصراف » أو « الخفير » فى كل مكان وكل زمان هو هو .. شخصية ــ نقول هنا قانونية ــ او مركز قانونى رسم له المؤلف جملة واجبات وجملة امتيازات وهو يضـع السيناريو العام فى التشريع الذى يسـمح لهـذه الشخصيات ان تقوم بدورها .

هذا التصوير الفكاهى حقيقى ..

فانك وانت جالس فى منزلك فى حالة طبيعية تماما . ولـكنك اذا تأهبت للذهاب للعمل فانك تلبس عدة الشغل ، وهى عبارة عن مكياج من التكلف فى نظراتك وخطواتك والفاظك وتصير فجأة ممثلا تقمص شخصية يؤديها على مسرح الحياة العامة القانونية ..

كل شخصية من هذه الشخصيات التمثيلية لها مطالب .

المدير يريد من العامل ان يشتغل والعامل يريد أن يتهرب ..

فالمدير يقتضى المتطلبات التى يسـتلزمها دوره بطريقـة تنـاسب شخصيته الحقيقية وظروفه ..

وكذا العامل .. يقتضى ما يريده من عدم ارهاق نفسه وعدم تحمل المسئولية بطريقة تناسبه أيضا ..

بعض الناس يقتضى احتياجاته عادة بالحيلة أو بالتسول أو بالعنف او بالاحراج . بعضهم يعيش حياته كلاعب الشطرنج الذى يضع خصمه فى المواقف الحتمية ، التى لا مفر منها .. وهكذا يؤدى المدير والعامل دورهما على خشبة مسرح الحياة القانونية بوسائل الاقتضاء التى تناسبهم .

هذه زاوية هامة للمسألة : وهى زاوية عندما تحكم الأخلاق على القانون : فهنا ليس القانون وحده هو الذى يحكم على الأفراد ويصرف علاقاتهم ، بل اخلاق الشخصية التمثيلية التى تتولى التصرف وتمارس الولاية هى التى تحكم على المساكين من عباد الله باسم القانون .

فانه اذا كان المدير ممن يقتضى أموره بالتسول عادة ، وكان العامل ممن يقتضى اموره بطريقة لاعب الشطرنج الذى يحدد المواقف ، فان التمثيلية تكون مضحكة للغاية ومسلية جدا للمتفرجين .. ولو انها — من الناحية الخلقية — تكون مأساة مثيرة للأحزان ومدرة للدموع .

وهناك زاوية أخرى للمسألة ..

فكما أن هناك « ممثلون » بطبيعتهم فى حياتهم الخاصة .. يمارسون حياتهم مع الناس تمثيل فى تمثيل .. هناك ايضا هذه الفرقة التمثيلية التى يشكلها الهواة والمحترفون وتتخذ التمثيل فى صورة رسمية مخصصة ..

ونحن ايضا فى القانون عندنا هذه الجوقات التى تقوم بتقديم الحفلات واحياء الليالى ونحو ذلك .

وهذا التمثيل الجماعى يتم فيما نسميه بالتنظيمات institutions والتشكيلات organisations ويقول دوفرجيه ان التنظيمات تطلق غالبا على الجماعات الرسمية ، وأما التشكيلات فتطلق على الجماعات الشعبية .. لجماعات الضغط والخلايا ونحو ذلك .

وهذه الفرق كلها تعمل تحت نمط حضارى عام هو المنهج أو الطريقة systeme التى تقتضى بها الجماعة كلها (كمجموع) احتياجاتها بالطريقة التى تكونت بها مقوماتها الثقافية ..

والجماعة فى ذلك تقوم كلها بدور مسرحى عام ايضا تؤديه جميعها

على مسرح الحياة .. ثم توجد التنظيمات والتشكيلات كمناهج فرعيــة sosus-systeme تؤدى مقطوعات من ذات الدور العام الذى تؤديه البلاد

كلها . وبطريقة الاقتضاء العام وكيفية الحصول على المطالب والاحتياجات التى تعتبر الطابع الاجتماعى العام . وهناك أيضا بلاد متسولة وبلاد تمارس البلطجة boy-cott وبلاد تتصف بالحيلة والدهاء والمراوغة والتهرب .

وهكذا ، ففى هذه البلاد نجد أن جوقات التنظيمات . institutions والتشـــكيلات organisations تؤدى مقطوعاتها التمثيلية والغنــائية وادوار الرقص التوقيعى والطبل ونحوه ممـا يلزم لأداء المنهج العــام للنظـــام el systeme كله بذات الطريقـــة وعـــلى ذات الأصـــول والمبادىء التى تحكم البلاد كلها . ولضبط فهم هذا التصوير الرائع نحيل الى كتابه المذكور : الجزء الأول صفحة ٨ وما بعدها .

Maurice Duverger : Jnstitutions politiques et droit constitutionnel (collection themis - paris 1975)

والزاوية الأخيرة لهذا الموضوع هى عندما يحكم القانون على الأخلاق ..

ويذكرنا ذلك بمثل قديم : وهو أن رجلا سأل مفتيا فقال له ان حائطنا بال عليه الكلب . فقال له المفتى تهدم وتقام سبع مرات . فقال الرجل : انها الحائط الذى بيننا وبينك ؟ فقال له : قليل من الماء يطهرها .

وهذا القول يتضمن استهجانا واحتجاجا على القاضى الذى يحكم فى القضية بضميره الخاص ومقاييسه الشخصية على وجه يخالف الضمير العام والمقاييس الاجتماعية .

بمعنى انه يتطلب من القاضى أن يضع نفسه موضع المحكوم عليـه ، وأن يصدر الحكم وكأنما يصدره ضد نفسه .

ومن هنا نشعر أن العلاقة بين القانون والأخلاق يجب أن تـكون موضوعية واجتماعية وعامة وشاملة .

وهذا الأمر لا يتأتى فيما سميناه من قبل بالأخلاق الوضعية . اى المعايير الخلقية التى هى من صنع البشر .

فالنظرة غير الخلقية لأمر من الأمور : هى النظرة التى تحط من قدر الانسان فى نظر الناس ، وتنسبه فى نظرهم الى الدناءة وتوجب احتقارهم له . وذلك كالأفعال الماسة بالنزاهة والشرف .

والأصل أن الأمور التى توجب هذه النظرة : هى التى تجعل الانسان يضع المادة فوق المعنى .

فالمصطلح عليه أن الانسان الذى يضع المادة فوق المعنى هو انسان حقير . وذلك كالذى يضحى بالوطنية او الأخوة او الشرف فى سبيل المال أو فى سبيل المتعة أو نحو ذلك وعلى العكس فان الانسان يوصف بالنبل اذا وضع المعنى فوق المادة وهنا يوجد تقديره وتشريعه .

وبذلك فالأصل أن النظرة الخلقية تقوم على المقارنة بين المادة والمعنى .

ولكن هذه المقارنة تتغير عناصرها على مر الأيام . وذلك لأن بعض المعنويات قابلة للمبادلة للمال ، وذلك كحقوق التأليف مثلا ، وعلاقات العمل ، وهو فى الأصل اغلى من التقويم المادى بل والعلاقات العاطفية ايضا ، اذ يمكن تقويمها بطريقة مشروعة بتكاليف الزواج . وهكذا ، فان المعايير الخلقية قد تختلف من وقت لآخر لهذا السبب .

وكذلك فان **ارتفاع الطلب على المادة** فى وقت من الأوقات قد يؤدى الى التأثير فى التناسب بينها وبين المعنويات ، اى فى المعايير الخلقية . وهذا كله الى جانب **الأمراض الاجتماعية** التى قد يصاب بها المجتمع فينحرف بسببها وراء المادة ، أو وراء الهوى وبذلك تختلف المعايير الخلقية من وقت لآخر بسبب هذا الاختلال .

والأصل بطبيعة الحال ان القانون لا يقنن شيئا يراه المجتمع غير خلقى ، بل هو يضفى الصحة والاباحة على ما يراه مطابقا للأخلاق فى وقته . ولا يمكن فى الأصل أن يضفيهما على امر لا يراه المجتمع خلقيا . فان تقنين الرذيلة امر مستحيل .

ولكن يحدث ان **يقع المشرع فى خطأ تشريعى كاقتباس نظام اجنبى كما هو وتطبيقه فى مجتمع لايعترف بالأوضاع التى استوردها المشرع**.وذلك كما هو الحال عندنا فى امور كثيرة اقتبست من مجتمعات ذات تقاليد مغايرة تماما لأصولنا . ومن هنا كانت الأخلاق الوضعية عرضة لعدم المشروعية الواقعية، بمعنى : ان الشىء يكون مباحا فى القانون ولكنه دنىء فى انظار الناس . وذلك

مثلا : كزنا المراة المكلفة الرشيدة غير المتزوجة برضاها فهو أمر لا يعاقب عليه القانون فى فرنسا ، لأنه حرية مطلقة عندنا . ولكنه لو اقتبس فى بعض البلاد الاسلامية صار وصمة اجتماعية ، وصارت حماية السلطات العامة لهذا الوضع عارا قوميا بلا أدنى شك .

وأخيرا فان الأخلاق الوضعية — فى الواقع — هى **من صنع الطبقة القادرة المتحكمة فى وقت من الأوقات** . وهذه الطبقة هى التى تملك زمام المصالح الاجتماعية وايجاد فرص التكسب امام الناس . وعلى الذين يرغبون فى الحصول على (فرص الكسب) أن يكونوا محل رضا هذه الطبقة القادرة والا فانهم يعجزون اقتصاديا عن الحياة الكافية وسياسيا عن الحياة الآمنة واجتماعيا عن اجتناء الاحترام والتقدير الواجب واللازم لعلاقات المصاهرة وعضويات المحافل الشعبية ونحو ذلك .

ولقد قال الماركسيون : ان الأداة الرأسمالية صاغت معايير للخلق توافق الاستغلال ، انتصارا لهذه الطبقة فى صراعها مع الكادحين . ولذلك فقد اعلنوا سقوط الأخلاق بمعاييرها التى كانت سائدة قبل الثورة البلشفية ، والتى كانت تحكم على الشخص بحسن الخلق متى كان طيعا مواليا متفانيا فى اتاحة فرص استغلاله . ووضعوا دستورا خلقيا جديدا — احسب عام ١٩٦٢ — يقوم على معايير الغيرة على المذهبية الماركسية ، وعلى الانتاج ، على المال العام ، بحيث صار من المشروع مثلا ان يشى الانسان باخيه أو أبيه اذا لمس فيه عدم الولاء لهذه المذهبية .. وهكذا فان النظرة الى الوشاية والتجسس والايقاع تغيرت تماما بسبب هذا التغير الاجتماعى .

وفى بعض البلاد عمد القانون الى حماية الشذوذ الجنسى لأنه تبين أن ناسا فى الطبقة القوية اغرموا بهذا النوع من التمتع وصار من غير الملائم ان تثار الفضائح كل يوم عن هذا الأمر ، وبدعوى أن الانسان حر فى نفسه ، فرفع القانون الحظر الذى كان مقررا فى هذا الشأن ، وصار التعرض له هو الذى يؤدى الى العقاب والمؤاخذة والتعويض .

وكذا كثر غرام الأخوة باخواتهم فى بعض البلاد الاخرى واستبد الهوى بهذه الظاهرة لدرجة غلبت على النظرة غير الخلقية لهذا الفعل ، اذ لا يصح أن ترتفع القيمة المادية للهوى لدرجة تعلو على القيمة المعنوية لهذه القرابة الوثيقة ... ولكن ازاء هذا المرض الاجتماعى العام وسوء تصوير معنى الحب وانه لا فارق علميا بين الحب الملون بلون القرابة والحب الملون بلون الجنس ،

عمد القانون الى رفع هذا الحظر ، وبذلك ـ وبسبب حرية المشرع الوضعى ـ اعترفت الأخلاق الوضعية بما تنكره الأخلاق السماوية .

وهكذا فان الاخلاق الوضعية توجد بصورة متميزة عن القانون وتؤثر عليه كما قد قدمنا ، لأن الممثل الذى يقوم بالشخصية القانونية لا يبرأ من اخلاقه الشخصية فى طريقة الأداء وفى طريقة اقتضائه لاحتياجاته .

وهى تكون أشد تأثيرا فى التنظيمات والتشكيلات على الوجه السابق بيانه .

وكذلك فان الأخلاق الوضعية عرضة لآثار المتغيرات الاجتماعية الضارة بسبب اختلال ظروف التبادل بين المعنويات والماديات على مر الأيام وبسبب الأمراض الاجتماعية واستيلاء الطبقة القوية وضغطها العام على النظام الاجتماعى ونحو ذلك . وهى لذلك لا تصلح مصدرا للقانون ، ولاتصلح أساسا لنظام اجتماعى سليم .

***

فاذا انتقلنا الى الأخلاق السماوية تبين لنا الفرق بينها وبين الأخلاق الوضعية .

فالحقيقة ان السبب الأساسى فى عدم اعتبار الأخلاق الوضعية كمصدر للقانون هو : ان مصدر الالتزام كذا والأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى والقانونى ويوجب خضوع الفرد : يجب أن يكون اعلى من ارادة الفرد الخاصة ، والا صار الانسان مستبدا يتحكم فى المجتمع بارادته وحدته كيف يشاء .

وهذه فوضى لا يرتضيها القانون الوضعى ذاته بصفة عامة . فاذا نظرنا الى مصادر الالتزام المدنى مثلا ، نجد أن القانون تردد فى أن يعترف للانسان بأن يلتزم بارادته المنفردة الى حد كبير .. وبعد طول جدل ونقاش اجاز القانون استثناء : أن يلتزم الانسان (أى يلزم نفسه فقط) بارادته وحده فى احوال ضيقة كالسند الاذنى والايجاب الملزم والوعد بالجائزة (الجعالة) وفى غير هذه الأحوال الضيقة المحصورة أبت الأفكار القانونية أن تعترف بالارادة الخاصة مصدرا للالتزام الا اذا اقترنت بارادة اخرى حرة رشيدة مثلها وتجاوبا سويا ـ فى صورة عقد ـ على الالتزام نتيجة لهذا المصدر المشترك ..

وكذا فى تحديد الأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى والقانونى ، انقسمت الأفكار الى تيارين كبيرين ، أحدهما يقرر : أنه يجوز الاعتراف بالارادة البشرية كأساس للدولة والنظام والقانون متى كانت ارادة عامة ، اخذا بالمبدأ القائل بأن الشعب مصدر السلطات . والآخر يقرر : أن هذا الأساس لابد من أن يعلوا على ارادة البشر وأن يستمد من قوة فوق هذه الارادة ، وهى بالنسبة لنا ـ أيها المؤمنون ـ قوة الله سبحانه وتعالى . كما أنها بالنسبة لبعض النظم الأخرى قوى حتمية أخرى ، كالحتمية الاشتراكية ، أو حتمية الطبيعة ، أو نحو ذلك مما تخرجت عليه النظريات العديدة المعروفة فى هذا الشأن .

ومن هنا يتبين المأخذ الأساسى فى اعتماد الأخلاق الوضعية كمصدر للقانون .

ففى الحياة الفردية الخاصة اذا عمد الانسان الى مايرتضيه بأخلاقه الخاصةومعاييره الذاتية وضميره الفردى، فانه يكون ديكتاتورا مستبدا اذا قدر على التحكم فى غيره بينما يجب أن يكون مصدر الالتزام أعلى من الارادة الخاصة ، نجد هنا : أن الارادة فى صورتها الفردية قد استشرت وتغولت على ما حولها من المصالح ، وهو أمر غير مشروع كما قدمنا .

وفى الحياة العامة نجد أن المعايير الخلقية هى من صنع اصحاب القوة فى الوقف . والماركسيون صادقون فى ملاحظتهم السابقة . فانه متى ارتضى الأغنياء والقادرون أمرا وأسبغوا عليه ثوب الاباحة صار قانونا اجتماعيا معتبرا كما قدمنا ، وصارت معارضته هى الموجبة للجزاء .

فالأخلاق الوضعية العامة ما هى الا نتيجة عمل الفئة القوية الظاهرة فى الوقت . وليس من المشروع أن تتحكم هذه الارادة الخاصة فى الارادة الاجتماعية كلها .

وبذلك فان الأخلاق الوضعية لا تصلح ايضا كأساس للقانون ، أو كمصدر له فى هذه الصورة العامة ايضا .

ان المجتمع الراسمالى يعترف ـ بسبب ضغط أصحاب الأعمال ـ بالرشوة وبالوساطة القائمة على استخدام النفوذ ويسمى المتحصل من ذلك « أتعابا » أو « عمولة » أو نحو ذلك من الأسماء تجعلها تشبه الأعمال المشروعة . ووجه الدناءة هنا أن الأتعاب والعمولة تكون فى الأعمال التجارية .

والأعمال التجارية لا يصح أبدا أن يكون محلها القيام بالواجب أو الشرف الذى يسبغه المجتمع على من يوليه ولاية عامة أو نحو ذلك كالاتجار فى الأعراض والعواطف ، أو الكرامة أو الاعتبار ، أو غيره ، مما لا يصح أبدا أن تعقد فيه الصفقات التجارية . هذا عار .

ولكن الذى لا يعترف بالرشوة فى ذلك المجتمع تنغلق أمامه فرص الكسب ، وينظر اليه كقفل كبير أو مقطف اى كغر أبله ومغفل لا يفهم الحياة . وبذلك يسقط ادبيا من عيون الناس فى هذا المجتمع المادى ويحاربه المرتشون لخروجه على طريقتهم وذلك كله بسبب ما تواضع عليه المجتمع من الانحراف الخلقى والارتفاع بالمادة فوق المعانى .

وهكذا فان القلة القليلة المتحكمة فى المصالح المادية ـ بسبب ارتضائها لهذا السلوك ـ حكمت على المجتمع كله بمشروعية الرشوة وعلى تأثيم من يكرهها ..

ونكرر : ان هذا غير مشروع ، لأن هذه ارادة خاصة بالنسبة للارادة الاجتماعية الشاملة التى لا تزال ولن تزال وستظل للأبد تنظر الى الحق كحق والى الباطل كباطل وتضطر فى الوقت الى أن تخضع لهذه الارادة الخاصة الاستبدادية فى الأخلاق الوضعية التى فرضتها ..

وعند ذلك يجد المجتمع نفسه أمام نوعين من الخلقيات ، تفسد احواله فى التردد بينهما .

لا يمكن أن يقول الانسان السوى العقل : أن الرشوة ليست عملا غير خلقى ..

ولا يمكن ان يقول : ان الزنا ليس كذلك .

والسرقة .

والخيانة .

والغدر .

والوقيعة .

والدسيسة .

والتجسس .

مهما اسبغت الأخلاق الوضعية والقانون الوضعى على ذلك كله ثوب المشروعية ... فانه يظل غير مشروع فى ذاته .. لماذا ؟

يقول دوفرجيه السالف الذكر : لأن ذلك بسبب المبادىء الرشيدة التى أودعتها الطبيعة التى خلقها الله فى عقول البشر ...

أو لأنها ((**فطرة الله التى فطر الناس عليها**)) . أو لأنه استحسان او تحسين وتقبيح عقليان ..

أو على الأقل ــ كما أقول ــ لأن هذه الأفعال تؤدى الى نتائج ضارة بلا أدنى شك .

فالرشوة تؤدى الى ارهاق صاحب المصلحة المشروعة وحرمانه احيانا من الفرصة ، بسبب ضيق اليد ، بينما يكتسب بها المرتشى كسبا بلا سبب. والكسب الذى بلا سبب ربا .. لماذا تأخذ منى شيئا بدون رضاى بدون مقابل ؟ ! ... هذا ربا . وقال البخارى : الناجش آكل ربا ! ... ولأن الرشوة تؤدى الى اختلال موازين تكافؤ الفرص المشروعة ولأنها تؤدى الى تحريف المصلحة العامة ولأنها ... مئات الأسباب . وكل سبب يؤدى بدوره الى مئات الأسباب ، وهكذا تتراكم جبال من الاعتراض على هذا الفعل الذى يصفونه بأنه عمولة أو أتعاب ... ((سيجزيهم وصفهم)) ..

هذا هو السبب فى ان الأخلاق الوضعية ــ خاصة او عامة ــ لا تصلح سببا للتقنين ..

هى مرفوضة ما لم تطابق الأخلاق العليا التى تاتت بسبب قوى أعلى من قوى الارادة البشرية : (أى الارادة الوضعية) وهى قوة ارادة الله فى زعمنا ..

***

قلت انها ارادة سماوية او ارادة الاهلية ..

دع الذين يلحدون والذين يؤمنون ، وتعال معى نناقش فى صفات هذه الارادة العليا ، والتى سنجدها فى النهاية لابد أن تطابق الصفات الالهية ...

ان الانسان فى هذه الحياة يحتاج لأن يخضع لقوى مطلقة ظاهرة باطنة لا اول لها ولا آخر ..

فى كنف هذه القوى فقط تستقر نفسه . وهى وحدها التى يرتضى ان يعترف بسيطرتها عليه .

فبالضرورة لا يقبل الانسان الخضوع فى حتميات الحياة الا لقوى قادر ..

اما الخضوع لعاجز فانه يؤدى الى الغرق معه .. وكأنه كقولنا : جبتك يا عبد المعين تعيننى لقيتك يا عبد المعين تنعان .. فهو لا ينفع . لا يأتى بخير وكل ـ بتشديد اللام مضمومة ومنونة ، وفتح الكاف ـ على من يتولاه .

ويجب ان تكون قوته مطلقة ، اى لا يكون قادرا فى أمر وعاجزا فى آخر ، والا لم يكن صمدا .. والصمد هو الذى يصمد لكل ما تطلبه منه ، ثم لا يحتاجك فى شىء .. فلا يثقلك بطلبه الرزق او الاكل أو نحو ذلك ..

فان لم يكن كذلك لم يكن صالحا للعبادة ـ اى للخضوع له والامتثال لارادته ـ لأنه يكون جزئيا فقط .. فهو لا ينفع فى بقية ما يراد من الاتكال عليه .

وكذا يجب ان يكون ظاهرا باطنا لأنه اذا كان ظاهرا فقط ، فان الانسان يحتاج فى كل مرة ان يثبت له سلامة باطنه ، وقد يفشل فينقلب عليه مع قدرته الهائلة فتكون مصيبة لا تحملها ارض ولا سماء .. وان كان باطنا فقط ، فانه لا ينفع فى اعمال الحياة وسعيها فلا فائدة فيه ..

ونظرا لأن أهداف الانسان مستمرة ممتدة ، ولأن آماله ليست محصورة فى المحسوس الملموس ، بل تتعدى الى عقب هذه الحياة ، فان ذلك يورث الانسان التفانى فى اغراضه ، ومن ثم لا يجيبه فيها الا من لا أول له ولا آخر .

وهكذا فان هذه الارادة العليا بهذه الصفات هى التى تصلح وحدها أن تكون أساسا للالتزام لانشاء النظم والقواعد التشريعية ..

والأخلاقيات السماوية التى تقوم على الاخلاص لهذا القوى المطلق القوة ، ظاهرا باطنا على وجه الدوام هى التى تصلح وحدها أساسا لما تقدم ..

لأن المعنويات التى تتصف بهذه الصفات تعلو على التقويم المادى ولا مساومة فى مقابلتهما ..

ونحن فى الاسلام ليس عندنا اخلاق ودين .. عندنا دين فقط .

والدين لا يتجزأ . ولذلك فنحن اذا قلنا « اخلاقيات الاسلام » فانما

ذلك فقط لنقرب الى الأذهان الوضعية المعنى الذى يفهمونه بعقولهم الوضعية : أى عملية الموازنة والمساومة بين المعنويات والماديات ...

فالدين لا يعرف شيئا من ذلك لما قدمناه من اتصاف أوامره الاستسلام على وجه الاطلاق فى الظاهر والباطن بلا أول ولا آخر .

لذلك فالقول بتقنين أخلاقيات الاسلام هو قول غير ذى موضوع ، هو مستحيل لأنه تقسيم للدين فيصير بعضه مقننا وبعضه بلا تقنين .. فيكون كقوله تعالى « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب .. » . ؟

والأضرار الناشئة عن تجزئة الدين افحش من ان تتسع لها السطور القليلة الباقية من هذا المقال وهى على اية حال تنافى ما بيناه من صفات الارادة العليا الحاكمة ، من اطلاق القدرة واحتكامها على الظاهر والباطن بلا أول ولا آخر ، ومن لم يصدق فلينظر الى الكون من خلال ما فوق راسه من سماء ، فان علم له أول أو آخر ، فليقل شيئا ..

والفضيلة اجبارية ... لأن الرذيلة تفقد الانسان حريته .

فالمرتشى مثلا يظن انه يرتشى فى الخفاء .. بينما الواقع انه تتحدد له قيمة معينة فى السوق بسبب تداول اخبار ما تقبله .

واذا قبلها مرة بسعر فانه يلتزم كل مرة أن يتقبلها وبذات السعر — مع التعرض للنقصان بسبب المساومة على الافشاء والفضيحة — وبذلك يفقد حريته على أن يعود شريفا .

وكذا الزانية ، تضطر الى ان تتقبل كل من يفرض نفسه عليها مخافة الفضيحة ..

ومن سار سيرا معوجا او كانت له زلة يصعب عليه جدا ان يعود الى سواء السبيل ..

وقد استغلت بعض النظم الارهابية وبيوت الابتزاز هذه الظاهرة فدونت لديها أرشيفات موسعة لسقطات بعض ذوى النفوذ واستغلتها أسوأ استغلال .. وللأسف الشديد المرير أن هذه الوسيلة غير الانسانية

اكثر اتساعا مما لا يتصوره الناس ..

اما الذى لا يرغب ولا يخاف ..

Celui qui ne desire ni crainte فهذا ليس لأحد سلطان عليه . . وهو كقوله تعالى : « الا عبادك منهم المخلصين » استثناء ممن يكون للشيطان سبيل عليهم .

والفضيلة اجبارية أيضا على العاقل ، لأن الأخطاء تؤدى الى الصراع والمنازعة وأوجاع الدماغ ..

فلكى يكون الانسان حرا قويا يعيش فى عدل وسلام يجب ان يكون فاضلا فضيلة حقيقية . ومن هنا فلابد أن تقوم العلاقات القانونية على الفضيلة . وانه لا فضيلة الا فضيلة السماء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثمن العدد فى الوطن العربى :

لبنان ٤٠٠ ق.ل.	اليمن ٥ ريال	قطر ٧ ريال
سوريا ٥٠٠ ق.س	السعودية ٦ ريال	ليبيا ٣٠٠ مليم
العراق ٥٠٠ فلس	مصر ٢٥٠ مليما	تونس ٨٠٠ مليم
الأردن ٤٠٠ فلس	السودان ٥٠ قرشا	الجزائر ١٠ دينار
الكويت ٥٠٠ فلس	البحرين ٦٠٠ فلس	المغرب ١٠ درهم

الامارات العربية ٧ دراهم

***

الاشتراكات فى الكويت :

للأفراد ديناران كويتيان .

للهيئات الحكومية والأهلية ثمانية دنانير كويتية .

***

كافة الاشتراكات يتفق عليها راسا مع

دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٨٥٧ كويت

هاتف ٤٣١٩٨٢ ــ برقيا : دار بحوث



« فى النظام السياسى للدولة الإسلامية »

تاليف : د. محمد سليم العوا

د. محمود أبو السعود

اهدى الى الأخ الكريم الدكتور محمد سليم كتابه الأخير « فى النظام السياسى للدولة الاسلامية » . وطلب الى أن أعلق عليه ، وهأنذا باذن الله فاعل ، راجيا أن يجد الزميل فى بعض هذه الملاحظات حداء يأنس اليه فى سرى جهاده ، ووميضا يضيفه الى سنى نوره الهادى الى ما فتح الله به عليه ، ولست فى كلمتى هذه أداجيه حين امدحه لحق أبان عنه ، ولا الاحيه لراى اخالفه فيه ، انما هو النصح امحضه ، فان وجد فيه صوابا اخذ به ، وان جانب الحق طرحه واعرض عنه .

الكتاب فى اجماله نبراس لمن يريد طرق هذا الموضوع الشائك . وقد تميز بالدراسة المنهجية والتحليل العلمى الرصين ، زانه من الكاتب اسلوب بليغ فى سلاسة بيان وجزيل لفظ ، وعمق فى التفكير مع التأصيل ، وادب فى مناقشة الآراء وشاه تواضع عزيز كريم ، وأيده منطق الأريب الحصيف .

وفى الكتاب حذر اللبيب ...

عنوانه « فى النظام السياسى للدولة الاسلامية » . ولعمرى لقد وفق المؤلف التوفيق كله فى تصديره بهذا العنوان ، فليس للقارىء بعده

ان يطلب من المضمون غير ما تضمن ، وهو مع غناه ودسمه لا يشبع نهمة جائع مثلى الى مثل هذا الغذاء الفكرى ، ولا يروى الصادى الى صورة مستكملة للهيكل السياسى فى ظل ما أسميه « المذهبية الاسلامية » «ne او ما أشار الكاتبُ اليه حين تحدث عن « مجموع القيم الاسلامية » .

وهكذا أعفى « حرف الجر » الكاتب من استكمال البحث ، واسأل الله مخلصا أن يهبه القوة ليكمل ما بدأ ، ويرتب نتائج ابعد على ما قرر من مقدمات ، فلست أجد موضوعا أهمل بحثه على مر العصور بمثل ما اهمل « الفكر السياسى » الاسلامى ، واعتقد أن قد حان الوقت لتجلية اصول هذا النظام ومحاولة بناء هيكل سياسى للدولة الاسلامية يناسب أوضاع هذا العصر ويحل مشاكل الجيل .

اما ما اريد التعليق عليه فينحصر فى النقاط التالية :

١ - بين المجتمع السياسى والدولة :

نفى المؤلف ان يكون المسلمون فى مكة قبل بيعة العقبة الثانية « مجتمعا سياسيا » (ص ١٤) واستند فى ذلك الى أن المجتمع السياسى يحتاج الى مسلمتين : التقيد الاقليمى ، والسلطان السياسى .

والراى عندى وجوب التفرقة بين « المجتمع السياسى » وبين « الدولة »، اذ لو اجتمع نفر من الناس داخل مجتمع معين على راى سياسى معين متميز عن رأى سائر الناس فى مجتمعهم ذلك ، فليس هناك ما يمنع من تسميتهم « مجتمعا سياسيا » وان لم يكن لهم سلطان يحتكر « القوة الفعلية والشرعية (القانونية) فى هذا المجتمع » (ص ١٤) ، وليست الأحزاب السياسية كما نعرفها فى العصر الحاضر الا « مجتمعات » سياسية وان انكرتها السلطة المحتكرة للحكم .

ربما كان الأوفق أن ينفى الكاتب وجود « دولة اسلامية » فى العهد المكى ، ولست احسب أن يخالفه احد فى ذلك ، اما ان ينفى وجود اى تنظيم سياسى فى الجاهلية على وجه الاطلاق استنادا على عدم توافر ركنى الاقليم والسيادة،او السلطة،ففى ذلك نوع من التجاوز ، حتى لو قلنا بان اهل مكة فى تلك الحقبة لم يكونوا سوى قبائل مجتمعة فى مكان واحد ، وان الفرد كان يدين بالولاء لقبيلته ، اذ مامن شك فى ان الفرد كان يعيش فى

جماعة يخضع فيها لأعراف مستقرة « تربطه بنظامها العام » ، يدفع عنها وتدفع عنه ، ويكفلها وتكفله ، ثم هى تعاقبه ان ند على العرف وتلزمه العمل بما تقره من احكام .

وكانت هناك ايضا اعراف تراعيها العشائر والقبائل فيما بينها وتنظم معاملاتها ، ولست أتصور قيام مجتمع انسانى ــ بصرف النظر عن مدى تقدمه الحضارى دون ان يكون له نوع من التنظيم السياسى ، واعنى بذلك وجود قواعد تنظم علاقة الفرد بمجتمعه فيما يختص بالصالح المشترك للجماعة كما تنظم علاقة هذا المجتمع بغيره من المجتمعات . ومعلوم ان المقصود بالعلاقة فى هذا المجال هو ما يحدد ارتباط الفرد بالمجتمع ارتباطا يخضعه لنوع من السلطان يرد على حريته ويقيد من تصرفاته .

هذا المعنى يدعونى الى الاستطراد معقبا على ما جاء فى صفحة (٢٠) من أن المسلمين فى الفترة المكية كانوا « أفرادا قبلوا الدين الجديد ، ولكنهم لم يكونوا (امة) منفصلة عن بقية الناس فى المجتمع المكى فى مجموعه » .

يبدو ان الكاتب اورد لفظ « أمة » بمعناها المصطلح عليه فى علم السياسة الحديث ، وهى بهذا الوصف عنصر من عناصر « الدولة » ، وذلك صحيح ، ولكن السياق يدعونى الى القول بأنهم كانوا امة . بمعناها اللغوى ــ منفصلة عن بقية الناس فى المجتمع المكى ومعلوم حتى فى المصطلح السياسى أن الأمة وحدها لا تكون الدولة ، وبذا يجوز أن نقول أن المسلمين كانوا امة تجمعهم فكرة واحدة وعقيدة واحدة وان لم يكن لهم سلطان .

وعل الزميل الفاضل يوافقنى على أن عدم « الاذن » بالحرب وطلب النصرة من القبائل وبيعة العقبة الثانية لا تقطع فى ذاتها بأن المجتمع الاسلامى قبل الهجرة لم يكن مجتمعا سياسيا بالمعنى الذى أوردته ، وان كانت قاطعة بعدم وجود « دولة » اسلامية بالمفهوم العصرى لهذا اللفظ ، اذ مع توافر عنصر « الضمير الاجتماعى » فقد كان ينقصهم الاقليم الذى يفرضون فيه سلطتهم السياسية (ص ٢٦) .

٢ ــ بين النظريات السياسية والفكر السياسى :

جاء فى صفحة (٣٦) : « من المسلم به أن العهد النبوى للدولة الاسلامية لم يشهد ظهور النظريات السياسية الإسلامية فى اى صورة من صورها » .

ثم جاء فى الصفحة التالية (٣٧) : « ومن ثم فأنه يمكن القول بأن هذه المرحلة قد تميزت بتوحيد الفكر السياسى وتمثله فى النهاية فى القرارات السياسية التى يتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام » .

هنا فارق المؤلف بين « النظريات » السياسية والفكر السياسى ، اذ بعد أن ذكر فى صفحة (٣٦) ان « طبيعة العهد النبوى لا تسمح بظهور نظريات سياسية فيه » وذلك فيما يبدو راجع الى عدم جواز اجتهاد الرأى مع نزول الوحى ، عاد فقرر وجود فكر سياسى واحد .

الصياغة بهذه الصورة تثير فى نفس القارىء نوعا من البلبلة ، اذ يطلق لفظا « النظرية » السياسية « والفكر » السياسى على مدلول واحد فى الأغلب ، اللهم الا اذا عنى الكاتب بهما أمرين مختلفين ، وفى هذه الحالة كان الأقمن به أن يعرف كلا المدلولين .

ولعله من المفيد أيضا أن أشير الى ما جاء فى هذه الصفحة من أن الآراء التى كان يدين بها الصحابة حين يستشيرهم الرسول عليه الصلاة والسلام « لم تكن قيمتها لتعدو الوقت الذى تتم فيه الشورى ، ويبقى بعد ذلك الرأى الذى يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ به » حبذا لو قد أشار الكاتب فى هذا المقام الى ما قرره بعد ذلك من كون الشورى ملزمة فيما لا نص فيه ، اذ سوق العبارة بهذا الأسلوب يوحى الى القارىء أن الشورى لم تكن ملزمة فى اطلاقها ، وهذا خلاف ما قرره المؤلف فى باب الشورى اللاحق .

٣ ـ قريش والخلافة :

ورد فى صفحة (٤٢) وما بعدها نقلا عن تاريخ الطبرى قول أبى بكر : « ان العرب لن تعرف هذا الأمر الا لهذا الحى من قريش » .. وما جاء عن أبى بكر مخاطبا به سعد بن عبادة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « قريش ولاة هذا الأمر » . ثم جاء فى صفحة (٥٤) وما بعدها اعتراض المعتزلة على قصر الخلافة على قريش .

ولست أدرى على وجه اليقين صحة هاتين الروايتين وكنت أتمنى أن يحقق المؤلف الحديث كما رواه الطبرى ، اذ ظاهر الأمر ـ أن صح الحديث . ان تصبح قريش « الأسرة الحاكمة » وهذا يصطدم مع أساس المساواة الذى تقوم عليه الدولة الاسلامية حيث يفضل القرشى غيره لمجرد

الانتساب الى قبيلة معينة ، كما أن فيه تقييد الحق اختيار الحاكم كما قد تستقر عليه الشورى حين تختار حاكم الدولة .

ان مناقشة سعيد بن العاص ـ وان تميزت بالحدة وعنف اللفظ ـ تمثل عندى حرص المسلم المؤمن على حقه الذى قرره الاسلام له ، وفيها دلالتان :

الأولى : كفالة حرية الرأى بحيث سمحت الأوضاع بأن يجادل المحكومون حاكميهم ما دامت بأيديهم حجة من الشرع الحنيف .

والثانية : ان لو كان الحديث الذى اورده الطبرى صحيحا لا شبهة فيه لما احتاج الأمر الى مناقشة بين المتشيعين لقريش ومن عداهم وقد كان الناس جميعا فى ذلك العهد القريب من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنون بوجوب تطبيق ما أمر به المصطفى عليه السلام،ولما احتاج الأمر الى ذلك الجدل بين سعيد ومعاوية .

ثم أن المؤلف خرج من مناقشة الموضوع بنتيجة حاسمة هى أن اختيار الحاكم لا يكون الا عن مشورة من المسلمين (ص ٤٨) ، وبهذا يكون قد قطع بأن الحديث السابق ـ ان صح فيجب أن يؤول او الا يؤخذ على ظاهر اللفظ فيه ، وعندى ان ذلك كله يستحق من الزميل الأديب المحقق بعض العناء فى البحث ، وقد بذل ما بذل من جهد كبير فيما هو أقل أهمية من ذلك .

٤ ــ بين على ومعاوية :

اورد الكاتب فى صفحة (٦٢) أنه من المتفق عليه « ان الخلاف بين على ومعاوية .. كان سببه مقتل عثمان رضى الله عنه . ذلك أنه بعد قتل عثمان ومبايعة على ، رأى جماعة من الصحابة : ان عليا قصر فى المطالبة بدم عثمان » .

وثنى على ذلك فى صفحة (٦٣) بقوله « .. ولم يكن الخلاف بين على ومعاوية حول الخلافة ومن أحق بها منهما ، وانما كان الخلاف حول مدى وجوب البيعة لعلى قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان ، وليس هذا من أمر الخلافة فى شىء .. » .

أول ما يتبادر الى الذهن سؤال صريح : هل كان يجوز لعلى بن

ابى طالب أن يقتص من قتلة عثمان مالم يكن خليفة وأميرا على المسلمين؟ »
وبعبارة أخرى : لماذا طالب معاوية عليا بالذات بتوقيع القصاص ؟

أليس ذلك لأن عليا كان قد بويع فعلا بالخلافة من جمهرة المسلمين ، واذ تبوأ على هذا المنصب فقد جاز لأحد أفراد رعيته أن يطالبه بأمر يراه حقا واجب الاتباع فان أنكر فرد خلافة على، فهل يجوز له أن يطالبه بالقيام بعمل هو من صميم اختصاص الحاكم ؟

يبدو لى أن رد النزاع الى وجوب البيعة بعد القصاص أو قبله وليس لسبب آخر أمر يصعب تقبله منطقيا ، وربما صعب اثباته تاريخيا أيضا . اذ الأصل أن يبايع الناس أولا ، فان بايع الجمهور وامتنع الأقلون، وجب على الغالبية أن تجبر الأقلية على البيعة ولو بقوة السيف والقهر ، اذ بدون ذلك لا يستقيم حكم ، ولا يتحقق ركن الشورى ، ولا تطرد الطاعة الواجبة للأمير .

ولست أحسب أن هذه القاعدة الشرعية غابت عن علي ومعاوية، أو عن عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى ، فان كانت تلك حجة الذين امتنعوا عن البيعة بعد فترة ، فماذا كانت حجتهم فى أول يوم منها ؟ أفهم أن ينزع معاوية يده من البيعة لعلى لأنه بمثابة « ولى الدم » فى قضية عثمان، وعلى راى صعوبة القصاص أو استحالته أو خطأه فتراخى فيه ، ولكن التاريخ لم يرو لنا نقض بيعة ، ولكنه روى الامتناع عنها وتمرد والى معزول على أمير مبايع .

ربما كان موضوع القصاص هو الشكل الظاهر للخلاف ، ولكنى لا أكاد أجيز اعتباره الجوهر فيه ، أو السبب الوحيد للانتقاص على الخليفة والثورة عليه ، بل انى أرى فيما ذكره المؤلف الفاضل فى صفحة (٦٧) من أن قرار الحكمين « يرد أمر الخلاف بين على ومعاوية الى النفر من الصحابة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم كى يقرروا فيه رأيهم » ـ أرى فى ذلك تعزيزا لما احتج به من أن جوهر الخلاف لم يكن قاصرا على ما ذهب الدكتور محمد سليم اليه من راى . اذ أية غضاضة فى احالة القضية على صحابة رسول الله المقربين ؟ بل ما الذى يدعو الى الفرقة حول قرار هو فى ذاته ليس « بقرار » نهائى ، وانما هو احالة الموضوع الى هيئة لا تلبسها شبهة من دخل أو ظلم ؟

وما أحسب عمرو بن العاص بالخب الذى يخفى عليه أن احالة هذه القضية كما يصورها المؤلف على خيار الصحابة سيكسب لمعاوية حقا أو أعوانا مؤيدين . ولئن قيل انه أراد أن يكسب وقتا لمعاوية بهذه الاحالة ، فالرأى عندى أن لو قد نفذ قرار التحكيم لاستحال على معاوية الاستمرار فى معارضة على ، دع عنك قبض يده عن بيعته .

٥ ـ الحكومة وغايتها فى الاسلام :

(أ) **الفكرة :** لقد وفق المؤلف بحمد الله التوفيق كله فى تصوير نشأة الدولة الاسلامية بحيث ألقى أضواء ساطعة على أركان تلك الدولة ، وكان جميلا حقا ما أثبته من أن « الفكرة » هى الغاية التى تحميها الوسائل التى تملكها الدولة تنظيمية كانت هذه الوسائل أو قانونية أو عسكرية (ص ٧٧) .

« والفكرة » هنا ليست مجرد خاطرة تسنح للذهن ، ولا هى مجرد تصور أو خيال شارد غير ملتصق بواقع ، ولكن المقصود بهذا اللفظ هو ما يعبر عنه بالمثالية الاسلامية أو المذهبية الاسلامية (ص ٧٨) .. والذى يعنينى فى هذا المقام هو أن يتضح هذا المعنى فى عقول المسلمين خاصتهم وعامتهم ، اذ بدون هذه المثالية او الفكرة تصبح الدولة خواء من لبها ، وتفقد السبب الذى يبرر وجودها ، ولا تستطيع بحال أن تحتفظ بحضارتها ، بل لا مناص من انحطاطها وانحلالها مهما بلغت وسائلها من التقدم والتمكين والأحكام . لقد أجمل المؤلف هذا المعنى ، وكم تمنيت أن يفيض فيه ، وأن يحلل المثالية بأسلوبه العلمى الرصين وبما يتفق مع منطق العصر الذى نعيش فيه ، حتى يفهم قومنا أن قضية « الشكل » ـ وهى التى تتفق بالوسائل القانونية أو الاقتصادية أو العسكرية .. الخ ـ ليست هى التى تحتل الصدارة عند المنادين بقيام الدولة الاسلامية، وحتى يفهم الناس أن مسألة تطبيق الحدود أو قضايا الزواج والطلاق أو المعاملات الربوية .. الخ انما هى أدخل فى صميم باب « الوسائل » التى لم تكن الا لتحقق « الفكرة » أو المثالية الاسلامية التى هى لباب الدولة والغاية الأولى والأخيرة من قيامها .

(ب) **الخلافة :** أحسن المؤلف الاحسان كله حين أوضح معنى الخلافة بما لم يبق معه ظل لشك أو حجة لمخالف ، وان قوله « ان لفظ الخلافة

أو الأمامة ... لا يعنى فى مدلوله السياسى أو الدستورى أكثر من تنظيم رئاسة الدولة الاسلامية تنظيما يشمل اختيـار الرئيس وتقرير حقوقه وواجباته على نحو يشير الى محاولة اتباع المثل الأعلى الذى كان قائما فى بداية نشوء الدولة الاسلامية حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولى رئاستها » .. ان هذا قول (قطعت به جهيزة قول كل خطيب) .

ثم أن المؤلف المفكر جعل للخلافة مدلولين دستوريين :

أولا : « ان ترشيح من يصلح لتولى الخلافة يتم بناء على ما تنتهى اليه شورى المسلمين » .

ثانيا : « ان تولية هذا المرشح تتم بناء على بيعة المسلمين له » .

فالرأى عنده ان لابد من « ترشيح » من يصلح للخلافة ، وان هذا الترشيح يجب أن يتم بنـاء على ما تتمخض عنه « الشـورى » بين المسلمين . وهذا كلام يحتاج الى مزيد بيان .

هل يا ترى يوافق المؤلف من يقول بجواز أن يرشح الفرد نفسه ، وأن يدعو الناس الى تقبله فى منصب الخلافة أو الرئاسة ؟ أم انه يعارض هذا الرأى وينحاز الى من ينهى عن ذلك بحجة تأويل قوله تعالى « ولا تزكوا انفسكم » ؟

ثم ماذا يعنى « بالشورى » وما تفسيرها عمليا فى القرن العشرين وفى المجتمعات الصناعية المتراكبة ؟ اسـأل عن ذلك لأن الكاتب استطرد (صفحة ٧٩) فى تبيان معنى الخلافة وجعله مغايرا لسـائر النظم التى عرفت قديما وحـديثا ، فهو ليس وراثيـا ولا جماهيريا « يستحق فيـه الخلافة اكثر المرشحين حظا من اصوات الناخبين ، ولا دينيا يستقل فيه رجال الدين بتعيين شخص رئيس الدولة .. » .

لقد تناول الأستاذ الدكتور محمد سليم بتفصيل محمود باب « هل الشورى ملزمة أو معلمة » (صفحة ١٠٥ وما بعدها) ولكن لم يتضح لى رأيه فى كيف تكون الشورى اللازمة لاختيار الخليفة أو الامام أو رئيس الدولة سمه ما شئت . وقصارى ما جاء به هو أن التشريع الاسـلامى قد الزمنا بالشورى ولم يحدد لنا الشكل الواجب أن نتخذه ، بل ترك ذلك للناس يوائمون بينه وبين الأوضـاع المختلفة فى الأزمنة والأمكنة المختلفة ،

وخارج نطاق الأمور السياسية التى سبق بيانها فان بقية المسائل التى تتصل بهذا الموضوع متروكة لما يقرره أولو الأمر فى الدولة الاسلامية ... الخ (ص ١١٧) .

ثم أن المؤلف استرشد بقولين : أحدهما لعبد القادر عودة ، والآخر لمحمد عبده (ص ١١٦ و ١١٧) والقولان يشيران الى وجوب الالتزام برأى الأكثرية ، وواضح من السياق أن المؤلف يؤازرهما فيما ذهبا اليه ، فان كان الأمر كذلك ، فهل هناك من اعتراض شرعى على أن ينتخب الخليفة « جماهيريا » ويستحق الخلافة « أكثر المرشحين حظا من أصوات الناخبين » ؟؟

أحسب أن هذه القضية تحتاج الى مزيد من عناية الكاتب وايضاحه ، فهى فى الحق دقيقة ، وقد أصبحت محل جدل كثير بين من يعالجون السياسة فى الاسلام ، خصوصا بين « العلماء » ـ او ان شئت المشايخ ـ الذين لا المام لهم بعلم السياسة .

٦ ـ الشورى :

تحدث المؤلف الجليل عن الشورى « كقيمة » من القيم السياسية او المبادىء الدستورية التى جاء بها الاسلام (ص ١٠٣) وقد سوى بين « القيم السياسية » وبين « المبادىء الدستورية » وذلك فيما يغلب على ظنى تهاون فى دقة التعبير وددت لو استدركه .

ذلك أن «القيمة السياسية» ـ كغيرها من القيم ـ معنى يعز تحديده لأنه مطلق فى مدلوله ، وبالتالى يكاد يستحيل تعريفه لذاته . والقيم السياسية تتعلق أصلا بما سبق أن أطلق المؤلف عليه لفظ « الفكرة » وهى المثالية السياسية ، ولا ضير أن تتضمن المثالية قيما تصف نواحى العلاقات بين الحاكم والرعية ، كالحرية والعدالة والمساواة مما أورده الكاتب ، وكالاخاء الذى نادت به الثورة الفرنسية وتنادى به الماركسية العالمية .

أما المبادىء الدستورية فهى بالضرورة محددة ومحدودة وليست مطلقة ، فالدستور حين يقرر مساواة الأفراد يقرن ذلك بلفظ « أمام القانون » مثلا ، وحينما يقرر الحريات انما يحدد هاتيك الحريات بوضعها

فى اطار ملموس كحرية الاجتماع والنشر والنقد والاقتراع .. الى غير ذلك .

الشورى ليست قيمة فيما أرى ، اذ ليست معنى مطلقا فى ذاته لا يحصر العقل مداه ولا يدرك كنهه ، اذ هى لا تعدو استجلاء رأى الغير بصرف النظر عما اذا كانت ملزمة أم معلمة .

قد تكون الشورى اذن مبدأ دستوريا ، وحينئذ يجب أن يتحدد نطاقها ، وقد تكون قانونا يخاطب فئة من الناس ، أما أن تكون قيمة سياسية بالمصطلح العلمى فذلك مالا أرى وجها له .

واذ أنا فى معرض الشورى أجدنى مدينا للكاتب بما دلل عليه من وجوب الشورى واعتبارها قاعدة شرعية يلتزم الحاكم بها ويلتزم بنتيجتها ، وعسى أن يدرس الذين يتحدثون عن النظام الاسلامى هذا الفصل بما هو أهل له ، وأن يجدوا فيه الغناء الذى وجدت ، وعل خير ما سطر فى هذا الكتاب كان هذا الفصل الحق الكريم .

٧ ــ العدل :

للعدل مدلولات كثيرة ، وقد أورد الكاتب السياسية منها وان غلب أن « نطاق العدالة فى الشريعة الاسلامية ــ ومن ثم فى الفقه الاسلامى ــ يتسع ليشمل كافة مجالات الحياة الانسانية » (صفحة ١٢٠) .

وهذا حق ، اذ العدالة فى الشريعة تقتضى أن يعدل الفرد فى معاملاته مع نفسه وأسرته وسائر الناس ، فهى صفة مطلقة لا تدخل مؤتزرة هذا الثوب من باب السياسة .

ثم أن العدل بمضمونه العام ومعناه الشامل الذى ذكرناه يصعب أن يصاغ فى قالب قانونى دستورى ، ولئن اعتبره المسلم قاعدة شرعية يجب عليه أن يراعيها ، أو كما يقول ابن تيمية : « يجب أن يقوم الناس بالقسط فى حقوق الله وحقوق خلقه » (ص ١١٩) فأنما ينصب ذلك على ما يمكن أن يقنن بدليل قوله « .. فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد » .

ولئن كان حقا ــ كل الحق ــ أن مامن شريعة غير الاسلام جعلت للعدل فى حياة الفرد الخاصة والعامة المكانة العليا والصفة التى يجب أن تغلب عليه حين يخلو بنفسه أو حين يعامل البشر قاطبة ، الا أنه ليس حقا خالصا ما ذكره المؤلف من أنه « اذا تركنا ميدان القضاء الى ميدان النظم السياسية

والدستورية فلا نجد ذكرا للعدالة ولا اشارة اليها ، ولا يذكرها رجال الفقه الدستورى ولا الباحثون فى النظم السياسية بين خصائص النظام الديمقراطى أو غيره من الأنظمة » ـ نقلا عن مؤلف الدكتور عبد الحميد متولى (ص ١٢١) . وليس حقا خالصا ما أضافه الدكتور محمد سليم من أن هؤلاء « لا يشترطونها فى سياسة الحكم ولا يعنون بدارستها عندما يدرسون موجهات هذه السياسة والعوامل المؤثرة فيها » .

والواقع انى لم أكن أتوقع من باحث له ما للمؤلف من واسع اطلاع أن يذهب الى هذا المدى من نفى اعتبار العدالة ضمن النظم السياسية غير الاسلامية ، بل لن يجد المنصف مذهبا سياسيا ـ ابتداء من الليبرالية الآثينية فالديموقراطية الحديثة الى الماركسية والاشتراكية على اختلاف درجاتها ـ الا وتعرض للعدالة واعتبرها قيمة تتوخاها الجماعة فى نظام حكمها وان عز تحقيقها . ولو استعرض المؤلف أبسط الكتب فى علم السياسة لوجد ذلك واضحا لا لبس فيه .. وعلى سبيل المثال له أن يراجع كتابا مدرسيا شائعا لمؤلفيه بنوك وسميث : Political Science J. R. Pennock &D. G. Smith (Collier-Mac millan Ltd London' 947 P. 152). فسيجد أنه يعتبر العدالة قيمة أساسية فى نظام الحكم الديموقراطى وأنه يقسم العدالة الى أقسام ثلاثة :

(أ) عدالة أمام القانون .

(ب) عدالة موضوعية أى عدالة القانون ذاته .

(جـ) عدالة رادعة أو جزائية .

والعدالة عند إفلاطون فى كتاب الجمهورية أحد أركان أربعة لفلسفته هى الحكمة والشجاعة والاعتدال والعدل ـ وظلت العدالة أبدا فى ذهن كل فيلسوف سياسى وداخل اطار كل نظام تقوم عليه أية دولة حتى أن الفوضويين المحدثين Modern Anarchism يعتبرونها رديف اشتراكيتهم ، وفى هذا يقول عميدهم مايكل باكونين Michael Bakunin « ان الاشتراكية هى العدالة المطردة » (Fédarilisme, Socialisme et Antithéologisme. Vol I. 54). والعدالة عنده هى انبعاث شعورى من لب الوجدان البشرى .

ويرى وليـــــام جـــودوين william Godwin انه فى الدولة الديمقراطية الاشتراكية تأتى العدالة قبل كل شىء وقبل أن تبذل أية محاولة للنهوض بالانسان من أية ناحية كانت [The Socialist Tradition) Moses To Lenin, By Alexander Gray, Harper, N,Y 1968)

ويرى جراى هــذا أن جوهر فلسفة جودين هو أن الواجب أن يتخذ مبدأ العدالة مرشدا وهاديا لكل عمل أو نشاط يقوم به الفرد ، وان عقولنا هى التى تفسر لنا ما هى العدالة أى ما يجب فعله دون سواه » . (المرجع السابق) فما أقرب هذا القول من الفكرة الاسلامية التى تجعل من العدل فطرة مستسرة فى ضمير الفرد المسلم تحمله على القسط فى الأفعــال مع النفس ومع العباد .

ثم هناك برودون Pierre - Joseph الذى يعتبر أن العدالة قوام الحياة كلها ، وهو يعبر عن ذلك بطريقته المتطرفة فيقول :

La Justice est le Dieu suprem:,elle est le Dieu Vivaut.. (D: la Justice Vol. . I. 224)

« العدالة هى الرب الأعلى ، انها الاله الحى » . وهو يعتبر « أنها مظهر لاحترام كرامة ابن آدم كائنا من كان ومهما كانت الظروف المحيطة به ، وان الواجب أن نذب عنها مهما بلغت مخاطر هذا الدفاع » (المرجع السابق) .

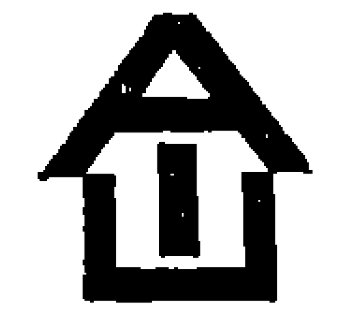
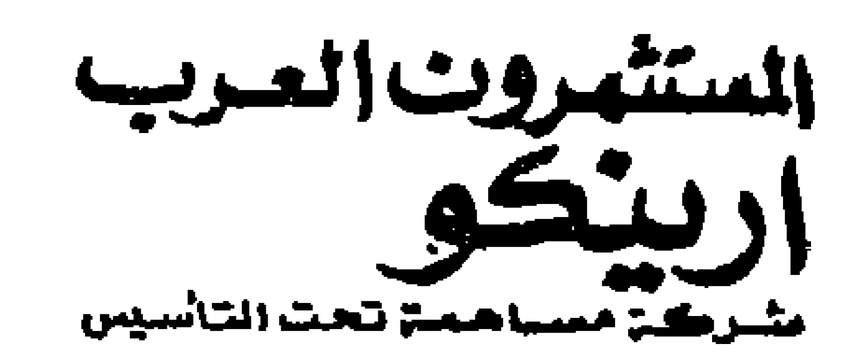
واجمال القول : لن يجد المرء كتابا واحدا من كتب علم السياســة ولا فيلسوفا واحدا أهمل ركن العدالة ، ثم أن الدساتير جميعا تحــاول أن تعبر عن معنى العدالة منسوبا الى ما تقيمه من نظم ، وما كان يمـكن لها أن تقضى بغير هــذا ، اذ أن المعــانى المطلقة ، اما ما يسميه الفيلسوف اللورد رســـل The Univers alities لا يتعـــلق بها الـــذهن الا حين تضاف الى وصف حسى ، وهى كذلك فى علم السياسة بصرف النظر عن الفلسفة السياسية التى تجعل منها غاية من غايات الحكم ، اذ تحاول الدساتير أن تشيع بين المواطنين ذلك الشعور الايمانى بالفكرة أو المثاليــة وبعدالة النظم المستمدة من هذه المثالية .

يقينى ان لو تتبع الزميل الكريم هذا الأمر بمثل تلك العناية التى بذلها فى البحث والتدقيق لعدل من حكمه على النظم غير الاسلامية فيمــا يتعلق بمكان العدالة ومفهومها فيها .

أما ختام هذا التعليق فهو تهنئة حارة على ذاك المجهود الفذ الذى بذله الدكتور محمد سليم ، ولعله من حسن المقابلة أن أقرن هذا الختام بما ختم به كتابه حين تحدث عن الحرية والمساواة ، فهما حق فطر الانسان عليه وليس لمخلوق أن يعتدى عليهما ، وأعز من هذا ما أكده المؤلف من نتائج تطبيق أمر المولى جل شأنه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حيث يجب على الفرد أن يبدى الرأى ، وشتان بين الوجوب والحق الاختيارى الذى تقرره التشريعات الوضعية .

جزى الله الكاتب الخير كله ، وبارك له فى جهده وجهاده وعسى أن يعينه على المضى فيما فرغ نفسه له من دراسة الاسلام وتجلية غوامضه ، وعلى الله قصد السبيل .



الفكرة الباعثة الى تأسيس الشركة

تمس حاجة المسلمين الى ممارسة عملية لمبادىء الاسلام فى مجالات المعاملات والحياة الاقتصادية ، لتصحيح الانحرافات الخطيرة التى احدثتها الأنظمة المادية الداخلية على حياة المسلمين ، ولوضع المال فى مساره الطبيعى كخادم للانسان لا كسيد له وكأمانة فى يد الانسان يسأل عنه من أين اكتسبه وفيم انفقه ، وكوظيفة اجتماعية لا كحق مطلق ..

وتمر كثير من الدول المنتجة للنفط بمرحلة تتميز بفائض مالى عن حاجات التنمية المحلية وينقص فى الأطراف الفنية الاستثمارية والمالية ..

وينعكس هذا الواقع على الأجهزة الحكومية والشركات والمؤسسات ، كما ينعكس على الأفراد العاملين بهذه الدول من أبنائها ومن غيرهم ممن لا يتسع وقتهم أو تسمح خبرتهم باستثمارهم لمدخراتهم ..

كما تمر كثير من الدول العربية والاسلامية ـ شأن الدول النامية عموما ـ بمرحلة تفتقر فيها الى رؤوس الأموال والخبرات الفنية اللازمة للتنمية ..

كما تهتم بعض الدول الصناعية المتقدمة بتقديم خبراتها الفنية سواء للدول النامية أو لفوائض رؤوس الأموال ، هذا الى جانب توافر عدد لا بأس به من الكفاءات الممتازة من ابناء الدول الاسلامية الذين اكتسبوا خلال هجرتهم من بلادهم الأصلية أعلى مستويات العلم والخبرة فى شتى المجالات .

لذلك كان التفكير فى اقامة شركة استثمارات عامة لتحقيق هذه الاهداف على مستوى التعاون الفنى بين مختلف الاطراف فى صورة انشاء مشروعات جديدة أو تطوير ودعم مشروعات قائمة ..

وقد اختير للشركة الأم المزمع اقامتها صورة الشركة القابضة لمناسبتها لهذا النوع من النشاط ، وأن يكون فى شكل شركة مساهمة تيسيرا لتداول اسهمها وحتى تكون مسئولية المساهم محدودة بقيمة اسهمه فقط .

كما اتجه التفكير الى تأسيس الشركة فى احدى البلدان الأوربية (لكتنشتاين) التى يمارس فيها هذا النوع من النشاط بصورة مستقرة من فترة طويلة ، وتمنحه التيسيرات القانونية والضريبية المشجعة ، على ان تمارس الشركة نشاطها فى مختلف البلدان الأخرى وفقا لمخططات اعمالها وحاجاتها ...

مؤتمرات

المؤتمر العالمى الأول

للتعليم الإسلامى

تقـــدمة :

ان المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاســلامى المنعقد فى مــكة المــكرمة فى الفترة من ١٢ الى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣٩٧ هـ الموافق ٣١ مارس الى ٨ أبريل ١٩٧٧ م ، بناء على دعوة جامعة الملك عبد العزيز ، تحت رعاية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وبتوجيهات من صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود ولى عهده ، وتقديرا من المؤتمر لما للتربية والتعليم من أهمية بالغة فى حياة الأمم ، واحساسا منه بعظم المسئولية الملقـــاة على كاهل علماء المسلمين وقادة الفكر والعاملين فى حقل التربية والتعليم فى دعم التضامن الاسلامى وخدمة قضايا العالم الاسلامى ، ودعوته الى الالتزام الكامل بالاســلام والتطبيق الصحيح لشريعته فى كافة مجــالات الحيــاة ، وادراكا منه بأن الأوضاع القائمة فى المؤسسات التربوية والتعليميــة الحالية فى معظم بلاد العالم الاسلامى لا تمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورهــا الواجب فى تنشئة الأجيال على هدى الاسلام عقيدة وتصورا وســلوكا .

بالاضافة الى مادخل فى التعليم من أفكار وتصورات مناقضة للدين ومعادية له ، قد عقد عدة اجتماعات فى الفترة المذكورة حضرها ٣١٣ عضوا يمثلون ٤٠ بلدا ، وقدم له ١٥٠ بحثا الى جانب الدراسات المسحية التى أجريت عن حالة التعليم فى البلدان الاسلامية المختلفة ، وقد انتهى المؤتمر الى تحديد المفاهيم والتصورات واصدار التوصيات التالية :

اولا : المفاهيم والتصورات والأهداف :

ان هدف التعليم الاسلامى هو تنشئة « الانسان الصالح الذى يعبد الله حق عبادته ، ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه .

ومفهوم العبادة فى الاسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على أداء الشعائر التعبدية فحسب بل يشمل نشاط الانسان كله : من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل مادام الانسان يتوجه بهذا النشاط الى الله ويلتزم فيه شرعه ، ويسير على منهجه تحقيقا لقوله سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، وقوله سبحانه : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له » .

وعلى ذلك فان عمارة الأرض وتسخير ما أودع الله فيها من ثروات وطاقات وابتغاء ما بثه على ظهرها من ارزاق ، وما يلزم لذلك من التعرف على سنن الله فى الكون ، والعلم بخواص المادة ، وطرق الاستفادة منها فى خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام ، وتحقيق الخير والفلاح للناس ، كل ذلك يعد عبادة يتقرب بها العلماء والباحثون الى الله ، وطاعة يثاب عليها الناظرون فى الكون والمكتشفون للقوانين التى تربط بين أجزائه ، والمستنبطون لوسائل تسخيرها لخير الناس ومنفعتهم . واذا كان الأمر على هذه الصورة فى المفهوم الاسلامى للعبادة وكان هدف التعليم فى نظر الاسلام هو تنشئة ذلك الانسان العابد لله على المعنى الشامل للعبادة ، فيجب أن يحقق التعليم أمرين : أحدهما يعرف الانسان بربه ليعبده اعتقادا بوحدانيته ،وأداء لشعائر عبادته ، وتطبيقا لشريعته والتزاما لمنهجه ، والثانى بسنن الله فى الكون ليعبده بعمارة الأرض والمشى فى مناكبها وتسخير كل ما خلق الله فيها لحماية العقيدة . والتمكين لدينه فى الأرض امتثالا لقوله تعالى : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع الخ .. فى انها كلها علوم اسلامية مادامت داخل الاطار الاسلامى ومتفقة مع تصوره ومفهومه ، ملتزمة بأحكامه وتعاليمه ، وكلها مطلوب بقدر للمسلم العادى ، ومطلوب على مستوى التخصص لفقهاء الأمة ومجتهديها وعلمائها . ولا حد ولا قيود على العلم فى التصور الاسلامى، سواء النظرى منه او التجريبى والتطبيقى الا قيدا واحدا يتصل بالغايات والمقاصد من ناحية ، وبالنتائج الواقعية من ناحية أخرى . فالعلم فى الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله وأداة اصلاح فى الأرض . فلا ينبغى أن يستخدم فى افساد العقيدة والأخلاق ، كما لا يجوز أن يكون أداة ضرر و فساد وبغى وعدوان . ومن ثم فكل ما يصادم العقيدة الاسلامية أو لا يخدم أهدافها ومقتضياتها ، فهو مرفوض فى المنهج الاسلامى .

وان كل نظام تعليمى يحمل فى طياته فلسفة معينة منبثقة من تصور معين ولا يمكن فصل أى نظام تعليمى عن فلسفته المصاحبة له ، ومن ثم فانه لا يجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية وتربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الاسلامى ، وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الاسلامية لأنها فى النهاية تصادم التصور الاسلامى وتناقضه ، وفى الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها .

لذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز . أما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه .

ومصادر المعرفة فى التصور الاسلامى نوعان :

اولهما : الوحى فى الجوانب التى يعلم الله سبحانه وتعالى أن الانسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفسه ، والتى لا تستقيم فيها الحياة على وجهها السليم الا بمقررات ثابتة من عند الله المحيط بكل شىء علما .

ثانيهما : العقل البشرى وادواته فى تفاعله مع الكون المادى نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الأمور التى تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاربه بشرط واحد هو الالتزام التام فيها بالأصول العامة الواردة

فى شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ، ولا تؤدى الى الشر والضرر والفساد فى الأرض .

ثانيا : انطلاقا من هذه التصورات وتلك المفاهيم فان المؤتمر يوصى بما يأتى :

١ ــ يرى المؤتمر أن التربية هى رعاية نمو الانسان فى جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال وغاية التربية الإسلامية هى تحقيق العبودية الخالصة لله فى حياة الانسان على مستوى الفرد والجماعة والانسانية وقيام الانسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الالهية .

٢ ــ الاهتمام عند وضع المناهج الدينية وتاليف كتبها بالعقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومراعاة اشتمال هذه الكتب على ابراز آيات الله فى مخلوقاته ، ومعجزات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رد الشبهات التى يروجها أعداء الاسلام .

٣ ــ من أجل أن تحقق التربية غايتها واهدافها يوصى المؤتمر تصنيف العلوم الى نوعين :

(أ) العلوم القائمة على الوحى المتمثلة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها ، مع ملاحظة اللغة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة .

(ب) العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب ، وعلوم الآداب والاجتماع والتربية وما الى ذلك من المعارف المكتسبة .

٤ ــ العناية التامة بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما ، باعتبار ذلك اللبنة الأولى فى تكوين عقيدة المسلم واخلاقه وأفكاره وتصوراته ، وبالنظر الى ضآلة ما يحفظ الطلاب المعاصرون من كتاب الله الكريم فى جميع مراحل الدراسة ، حتى انهم ليتخرجون فى المرحلة الجامعية ــ وخاصة فى الكليات العملية والعلمية ــ وهم لا يكادون يحسنون تلاوة سورة من القرآن أو حفظها أو قراءتها .

ويوصى المؤتمر فى هذا الشأن بضرورة التوسع فى قراءة القرآن وحفظه

ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجى فى التفسير والفهم فى المراحل المتأخرة بحيث يخرج الطالب من دراسته الثانوية وقد حفظ بضعة أجزاء من القرآن على الأقل وفهم معانيها العامة ، كما يوصى بالاكثار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبية والفتيات فى العالم الاسلامى كما ينبغى توجيه العناية بالحديث الشريف فى جميع مراحل التعليم حفظا وفهما .

٥ ـ الاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها والعنـــاية بكيفية تدريبها بما يضفى عليها طابع التشويق والترغيب .

٦ ـ ان دراسة الفقه الاسلامى يجب أن تكون موصولة بالواقع الحـاضر ومشكلاته وقضاياه ، مع التوكيد على حقيقة هامة هى أن الحلول الاسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل فى المجتمع الاسلامى .

كما يوصى بأن تكون دراسة الشريعة الاســلامية بـكل فروعها هى الدراسة الأساسية فى كليات الحقوق ، مع عقـد دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة ، وعلى أيدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز مافى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقـدرة على تحقيق مصالح الأمة وتلبيـة حاجات الجمـاعة دون الوقوع فى الانحرافات والنتائج الضارة التى نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة الرأسمالية والشيوعية على السواء .

٧ ـ العناية بتدريس الثقافة الاسلامية فى جميع مـراحل الدراســة والمرحلة الجامعية بصفة خاصة ، وكذلك الكليات العسكرية وكل كلية ومعهد بما يواجه حاجات الطلاب ويحل مشكلاتهم العلمية والفـكرية والدينية ويجيب عن تساؤلاتهم وبما يبين عظمة الاسلام وشـموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه ، واصلاحه لأحوال البشر فى كل زمان ومكان . وعرض أمجاد التاريخ الاسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الأمة الاسلامية من انجازات انسانية ومادية وسياسية وعســكرية وحضارية استحقت بها أن تكون « خير أمة أخرجت للناس » وبيان فضل النظم الاسلامية على الأنظمة البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، مع

العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالى والشيوعى ، مع ما يقابلها من نظم قويمة فى الاسلام .

٨ ـ أن المؤتمر ، وقد لاحظ ضعف مستوى الطلاب فى اللغة العربية فى البلاد العربية والاسلامية على السواء يوصى بالعناية البالغة بجميع فروع اللغة العربية واعتبارها مادة اجبارية فى كل أقطار العالم الاسلامى .

كما يوصى المؤتمر باتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم فى كل المراحل وخاصة فى البلاد العربية مع الاستفادة من التجارب والدراسات التى تمت بالفعل فى هذا الصدد .

٩ ـ يحث المؤتمر الأدباء فى العالم الاسلامى على تكوين مدرسة اسلامية أصيلة فى النقد الأدبى وعلم الجدل مبنية على أصول اسلامية لها معايير خاصة بها حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على الفكر الاسلامى .

كما يوجه المؤتمر عناية المسلمين الى دراسة الفنون والصناعات الاسلامية وتنمية الذوق الفنى الاسلامى .

١٠ ـ يوصى المؤتمر بدعم الدراسات الشرعية والعربية فى جميع مراحل التعليم فى البلاد الاسلامية باعتبارها التعليم الأساسى الذى تعتمد عليه حضارة الاسلام ويحفظ للأمة شخصيتها الاسلامية المتميزة .
كما يوصى باتاحة الفرص المشجعة للمتخرجين فى هذا النوع من التعليم للعمل فى مجالات الحياة المختلفة وفق تخصصاتهم .

١١ ـ الاهتمام بتحقيق نوادر المخطوطات لتكون ـ بجانب ما حقق بالفعل من كتب التراث الاسلامى ـ مادة للدراسة فى الأقسام الشرعية بالجامعات الاسلامية لرفع المستوى العلمى لدارسى الشريعة الاسلامية ، وأن توضع مناهج الدراسات العليا الشرعية وخططها بحيث تؤدى الى تخريج العلماء القادرين على النظر والاجتهاد فى مصادر الشريعة واستنباط الحلول الاسلامية لكل ما يواجه العالم من مشكلات .

١٢ ـ أن المؤتمر اذ يرفض فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة والأفكار الاسلامية .

يوصى بضرورة العمل على استنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية تتفق مناهجها والاسلام لاحلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية . كما يوصى بتوفير المساعدات للعلماء المسلمين الملتزمين وترشيح أفضل العناصر لتأهيل أعلى ولتنمية الأبحاث اللازمة وتشجيع انشاء المعاهد والجمعيات والدراسات المتخصصة والبحوث الجماعية . والبدء فى طبع وتحقيق ونشر كتب التراث الاسلامى فى هذه الفروع وحصر مؤلفاتها بيليوجرافيا مع الدراسات المقارنة والتأليف المبسط المختار والموسوعى معا .

١٣ـ يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها فى تنشئة الأجيال على الأسس الاسلامية السليمة هى تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا فى شتى مجالات الحياة . وأن وسائل الاعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التى يمكن أن تعاون المدرسة فى مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامى والتى فى امكانها كذلك أن تهدم كل أثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

كما يشير الى اهمية البيئة الصالحة خارج المدرسة وضرورة تنقية المحيط الاجتماعى من الشوائب الدخيلة كأساليب الغزو الفكرى والأمراض الاجتماعية والاهتمام بالمحافظة على البيئة الاسلامية فى العمارة وتخطيط المدن وغيرها حتى تكون منطلقة من المفاهيم الاسلامية وخاصة فى المدن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وحث جامعة الملك عبد العزيز على القيام بالأبحاث اللازمة فى هذا المجال .

لذلك يوصى المؤتمر جميع الدول الاسلامية بضرورة تحكيم شريعة الله فى بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذى يضمن توكيد هذه القيم المبادىء ولا يعمل على اضعافها .

١٤ـ يرى المؤتمر أن تضم مناهج التعليم فى العالم الاسلامى فى كافة مراحلها تدريس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم فى تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها العلمية فى كل منها واهمية ماقدموه للفكر البشرى فى المجال العلمى وتوكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبى فى البحث العلمى

وان النهضة العلمية الأوربية المعاصرة قد قامت على أســــاس منهج المسلمين فى البحث وعلى العلوم الاسلامية وخاصة فى الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضات مع التركيز بصفة خاصة على أسباب نمو العلوم فى عصر النهضة الاسلامية وأسباب تخلفها فيما بعد وحث الطلاب على استعادة الروح العلميــة التى كانت لأجـدادهم وقت الازدهار .

١٥- يوصى المؤتمر باعادة صياغة العلوم التجريبية صـياغة اســـلامية تربطها بالعقيدة ، وتعمق الوجدان الدينى عند الدارسين ، وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرته المعجزة بما يحقق قوله تعالى : « انمـا يخشى الله من عباده العلماء » ، ويزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية ، والعلوم البحتة من ناحية أخرى . تلك الفرقة التى سرت الينا من اتخاذ المناهج الاسلامية فى تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين . كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقيـــة مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يندس فى ثناياها من أفـــكار واتجاهات تصادم العقيدة الاسلامية أو تخالف التصور الاســـلامى الصحيح،وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية ـ وليس فيها ما يخالف العقيدة ـ وبين الفروض والنظريات العلميـــة التى لم تثبت نهائيا والتى قد تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيـدة الاسلامية .

كما يوصى المؤتمر من جانب آخر بعدم الربط بين الاشارات الكونية فى القرآن وبين الفروض والنظريات العلمية الحـديثة ـ الا ما ثبت منها نهائيا على أنه حقيقة علمية ـ مما لا يخدم القــرآن فى الحقيقة ويثير بلبلة فكريــة وعقيدية حين يثبت خطأ بعض هــذه الفروض والنظريات .

وتحمل الجامعات ومراكز البحث العلمى أمانة تدوين العلوم عـــلى أساس النظرة الاسلامية . فى موسوعات يستقى منها مؤلفو الكتب المدرسية على اختلاف أنواعها ودرجاتهـا كما يوصى بتدريس قدر من العلوم الشرعية والانسانية لطلاب العلوم البحتة والتطبيقية .

١٦ ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة العمل على اعداد المدرس المســلم الذى ينطلق فى تصوره وتفكيره من المنطلق الاسلامى ، ويكون ســـلوكه

الفردى والاجتماعى سلوكا اسلاميا ممثلا لقيم الاسلام ومبادئه ليكون قدوة علمية لطلابه ، نظرا لأن القدوة الصالحة هى أفضل وسائل التربية ، كما أن القدوة السيئة من أقوى الوسائل لتدمير القيم الاسلامية أو تعويق نموها ولذلك يجب أن يتم اختيار المدرسين على أساس من عقيدتهم وسلوكهم وأن لا يقتصر على المؤهلات العلمية فقط .

١٧- يؤكد المؤتمر على ضرورة العناية التامة بأن تتوافر فى الكليات التى تخرج المعلمين جميع الوسائل والأدوات التى تلزم لاعداد المدرس الصالح ، ويوصى بتوجيه العناصر الصالحة من الطلاب للالتحاق بهذه الكليات وتقديم الحوافز الكافية لتشجيعهم .

ويطالب بأن ينال المعلم حظه الكامل من الرعاية ، وأن تكون للمعلمين ميزات مادية وأدبية تساعدهم على الاستمرار فى هذا العمل وتأدية الرسالة فيه .

١٨- بالنسبة لتعليم البنات فان المؤتمر يرى أن البلاد التى أقامت نظما مختلطة للتعليم ، وعلمت المراة على مناهج موضوعة فى الأصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المراة ووظيفتها الانسانية والاجتماعية،وقد بدات نتائج تلك النظم تظهر فى مجتمعاتها من فساد خلقى وتفسخ فى الأسرة ، ونقص فى رعاية النشء ، وتشرد الأجيال الناشئة وجنوحها الى الاجرام والشذوذ ، مما يأباه الاسلام وتنفر منه النظرة السوية .

لذلك يوصى المؤتمر بوضع نظام خاص مبنى على اسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة فى كل مراحل التعليم ، ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المراة وما يحتاج اليه المجتمع من خدمات نسوية ، ويحقق ما يهدف اليه الاسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمراة ، والمحافظة على الأسرة والأخلاق الفاضلة ، ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية ، فى ذات الوقت الذى يسعى فيه الى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق لأن طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالا ونساء .

١٩- ضرورة تطبيق الاسلام تطبيقا واقعيا داخل المدرسة بانشاء مساجد فى كل مدرسة أو مؤسسة تعليمية وأداء صلاة الجماعة فى وقتها وتشجيع السلوك الاسلامى بين التلاميذ من صدق وأمانة ومروءة وايثار ونظام ونظافة ... الخ ومقاومة كل سلوك غير اسلامى يبدر من الانسان أو التلاميذ على السواء .

٢٠- تشجيع قيام مؤسسات الشباب بالأنشطة المناسبة لهذه المرحلة والمتوافقة مع أهداف مجتمعنا الاسلامى وظروفه الراهنة مع تنقية برامجها من الشوائب الدخيلة على الاسلام وقيمه .

٢١- يرى المؤتمر ضرورة قيام الدول الاسلامية التى تتوفر لديها الامكانات المادية أو الخبرة البشرية بتقديم تجربة رائدة فى مجال التعليم الاسلامى تكون نموذجا تستعين به بقية الدول الاسلامية عند وضع مقررات هذا المؤتمر موضع التنفيذ .

٢٢- يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها فى تنشئة الأجيال على الأسس الاسلامية السليمة هى تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا فى شتى مجالات الحياة . وأن وسائل الاعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التى يمكن أن تعاون المدرسة فى مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامى والتى فى امكانها كذلك أن تدمر كل أثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

لذلك يوصى المؤتمر جميع الدول الاسلامية بتحكيم شريعة الله فى بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذى يضمن توكيد هذه القيم والمبادىء ولا يعمل على اضعافها .

٢٣- لما كان العلم فى الاسلام واجبا على كل مسلم فى حدود ما يرشده الى خالقه ويمكنه من أداء ما فرضه عليه من عبادة والتزام ما شرعه فى معاملاته وتصرفاته ، لذلك يحث المؤتمر الدول الاسلامية على توفير اسباب التعليم بجميع مراحله وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للمواطنين فى الوطن الاسلامى .

٢٤- يحث المؤتمر وزراء التربية والتعليم وكافة المشرفين على مؤسسات التعليم بالاهتمام بتصميم المنشآت التعليمية وفق الطراز المعمارى

الاسلامى وبما يحقق حاجات البيئة المحلية ومتطلبات العصر .

٢٥- العمل على ايقاف زحف العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامى وتقديم الحوافز المختلفة لاعادة الموجودين منهم بالخارج .

٢٦- يوصى المؤتمر بالاعتماد على الخبرات الاسلامية الأصيلة فى توجيه الدراسات الاسلامية فى الجامعات والمعاهد والمؤسسات فى البلاد الاسلامية ، وعدم الاستعانة فى ذلك بالأشخاص والهيئات والمؤسسات التى لا تنطلق من منطلق اسلامى ولا تعمل على اسس اسلامية صريحة .

٢٧- يطلب المؤتمر من جميع المسلمين فى بلاد العالم الاسلامى عدم ارسال أبنائهم وبناتهم الى المدارس التبشيرية والأجنبية ، مهما كانت المغريات التى تقدمها تلك المدارس ومن وراءها من الهيئات والمؤسسات ، نظرا للنتائج المدمرة التى تصيب الدارسين فى هذه المدارس من ناحية عقيدتهم وولائهم للاسلام والوطن الاسلامى ، واتخاذ أعداء الاسلام لهم جنودا يحاربون بهم الاسلام من داخل المجتمع الاسلامى ذاته .

كما يوصى المؤتمر بعدم السماح بانشاء مدارس تبشيرية فى الوطن الاسلامى والعمل على الغاء الموجود منها .

٢٨- قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة بعد مرحلة الليسانس نظرا لما يتعرض له الشباب المبتعث الى الخارج من فتنة جارفة فى عقيدته واخلاقه وتقاليده ونظرته الى حقيقة القيم فى حياة الانسان . كما يوصى بضرورة رعاية المبعوثين فى الخارج دينيا وخلقيا ، واختيار المبعوث على أساس دينه واخلاقه لا على أساس درجاته العلمية فحسب . مع العمل الدائب على ايجاد جميع التخصصات فى داخل العالم الاسلامى حتى يتم الاستغناء عن الابتعاث الى الخارج الا فى حالة الضرورة القصوى .

٢٩- يطلب المؤتمر من القائمين على وسائل الاعلام فى البلاد الاسلامية عرض برامج مبسطة عن العلوم معروضة من المنطلق الاسلامى الذى يربط بين الدين والعلم ، ويستخدم العلم فى تعميق الوجدان الدينى .

كما يوصى بايجاد محاولات جادة لانتاج فنون اسلامية تملأ الفراغ

الذى تملؤه فى الوقت الحاضر المسرحيات والأفلام الهابطة والصور الخليعة والتوجيهات المفسدة للأخلاق .

٣٠- يؤكد المؤتمر على أهمية دراسة أحوال الأقليات الاسلامية فى الدول غير الاسلامية ورسم السياسة التى تعصمهم من الذوبان وتربطهم بالاسلام والعالم الاسلامى .

ويوصى المؤتمر فى هذا الصدد بدعم قدراتهم على انشاء المدارس والمعاهد فى الدول المقيمين بها ، والسعى لاعتراف هذه الدول بحقهم فى ذلك والاعتراف بمؤهلاتها مع تزويدهم بالكتب والمناهج اللازمة ، والمدرسين المؤهلين ، والتوسع فى تعليم هذه الأقليات فى معاهد متخصصة بالبلاد الاسلامية وتوفير المنح لهم ، وتحقيقا لهذه الأهداف يوصى المؤتمر : باتخاذ الوسائل المناسبة ، ومن ذلك انشاء صندوق لدعم تعليم الأقليات تساهم فيه الدول الاسلامية .

وينبه المؤتمر الى خطورة ما يتم من تعليم الصهاينة وأعوانهم ابناء المسلمين فى داخل فلسطين المحتلة أو خارجها . ويستنهض همم المسلمين لكفالة تعليم سديد رشيد لأبناء هذا القطر العزيز المغتصب .

٣١- نظرا للوضع الخاص الذى تعانيه الأقليات الاسلامية ، والذى يحتاج الى رعاية خاصة ودعم مستمر من البلاد الاسلامية فان المؤتمر يوصى بما يأتى :

- انشاء صندوق لدعم تعليم الأقليات تشارك فيه الدول الاسلامية وذلك لتمكين تلك الأقليات من انشاء المدارس والمعاهد الاسلامية فى بلادها .
- دعم الأقليات بالمدرسين المؤهلين تأهيلا خاصا يناسب البلاد التى يبعثون اليها ، ليقوموا بتدريس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وامدادهم بالكتب الدراسية .
- التوسط لدى الدول التى بها أقليات اسلامية لمنحهم حق انشاء المدارس الاسلامية والاعتراف بمؤهلات خريجها .
- التوسع فى انشاء مراكز ومعاهد فى البلاد العربية بصفة خاصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين .
- التوسع فى توفير المنح الدراسية لهذه الأقليات بالمؤسسات التعليمية فى البلاد الاسلامية .

- اجراء بحوث عن وضع المسلمين فى الدول غير الاسلامية والتعرف على احوالهم الاجتماعية والثقافية والدينية والتعليمية تكون عونا فى رسم سياسة تعليمية تربطهم بالاسلام والعالم الاسلامى .

٣٢- يؤكد المؤتمر على ضرورة الحفاظ على الحروف العربية لكتابة لغات الشعوب الاسلامية حتى لا يباعد بين هذه الشعوب وبين القرآن الكريم . كما يوصى المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية باصدار مجلات ورسائل باللغات الأجنبية تقدم فيها أهم ما ينشر باللغة العربية عن الاسلام .

٣٣- انشاء منظمة عالمية للتربية والثقافة والعلوم يكون مقرها مكة المكرمة وذلك للتنسيق بين الجامعات والمؤسسات التعليمية والعلمية الاسلامية والاشراف على السياسة التعليمية الاسلامية .

٣٤- يوصى المؤتمر جامعة الملك عبد العزيز بانشاء مركز عالمى للتعليم يسمى المركز العالمى للتعليم الاسلامى بمكة المكرمة يضم كفايات من مختلف بلاد العالم الاسلامى من المشتغلين بأمور التربية والتعليم والفكر والثقافة ليقوم بتنفيذ توصيات هذا المؤتمر ويدخل ضمن ذلك :

اولا : رسم السياسة التعليمية على غرار الخطوة الرائدة التى قامت بها المملكة والتى تقوم على أساس التصور الاسلامى وتستمد أصولها من مصادره ، وتقديم مناهج تفصيلية فى مختلف مواد الدراسة ، وتأليف الكتب الدراسية الصالحة للمستويات الدراسية المختلفة من رياض الأطفال الى المرحلة الجامعية . وينشأ لهذا الغرض مكتبة مركزية للبحث يلحق بها مركز للوثائق .

ثانيا : يشتمل على شعبة للترجمة تقوم على ترجمة معانى القرآن ترجمة سليمة ميسرة خالية من الأخطاء التى تشتمل عليها معظم الترجمات الموجودة حاليا ، كما تقوم بترجمة الكتب العربية التى تتناول حقائق الاسلام ومفاهيمه الى اللغات التى يتكلم بها المسلمون من غير العرب وترجمة الكتب الاسلامية النافعة المكتوبة بغير العربية الى اللسان العربى .

ثالثا : رسم سياسة للتعاون بين العاملين فى حقل التعليم الاسلامى وتنسيق جهود الدول والمؤسسات العلمية الاسلامية فى مجالات التربية والتعليم ، وتيسير الحصول على الوثائق اللازمة وتبادلها .

ويتبع هذا المركز جهاز لترجمة أمهات كتب العلوم فى اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وترجمة ما يجد كل حين من العلم فى كل الأقطار الى اللغة العربية .

٣٥- يرى المؤتمر أن تأسيس الاتحاد العالمى للمدارس العربية الاسلامية بادرة طيبة تستحق التشجيع ، وأن المؤتمر ليشكر حكومة المملكة العربية السعودية على تأييدها للاتحاد ودعمها له .

٣٦- التوصيات التى أقرتها الحلقات الثلاث ستصدر عن المؤتمر بعد تنقيحها من قبل لجنة الصياغة ، وتعتبر جزءا من مقرراته ، على أن تكون منسجمة مع أهداف المؤتمر .

٣٧- نظرا للقيمة العلمية العظيمة للبحوث التى قدمت لهذا المؤتمر والمناقشات الجادة التى دارت فيه بين المتخصصين من علماء المسلمين فى مجال التربية والتعليم فى العالم يوصى المؤتمر بأن تقوم لجنة المتابعة فورا بطبع الأعمال الكاملة للمؤتمر ، لتكون مادة نافعة للدول والمؤسسات العلمية الاسلامية فى بناء نظام تعليمى يقوم على اساس الاسلام ويستمد أصوله من مصادره .

والى أن يتم قيام مركز التعليم الاسلامى الموصى به فان المؤتمر يوصى بأن تتحول اللجنة التنظيمية للمؤتمر الى لجنة متابعة تكون مهمتها متابعة تنفيذ القرارات .

٣٨- يعبر المؤتمر عن شكره العميق للمملكة العربية السعودية لاتاحتها الفرصة لاقامة هذا المؤتمر الأول من نوعه ، لدراسة الأسس التى يقوم عليها تعليم اسلامى متكامل ، يعيد للأمة الاسلامية ذاتيتها ، ويضعها على طريق التقدم الحقيقى والحضارة الأصيلة .

كما يشكر جامعة الملك عبد العزيز على هذه المبادرة الطيبة وتبنيها فيما يخدم الدعوة الاسلامية ورعاية مصالح المسلمين .

***



● تقرر انشاء معهد لدراسة شئون الأقليات المسلمة فى العـــالم تابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

ومن المعلوم أن حوالى ثلث عدد المسلمين فى العالم يعيشون كأقليات فى دول غير اسلامية .

وسيجرى العمل فى المعهد على أساس تقسيم العالم الى ست مناطق (جنوب آسيا ـ جنوب شرق آسيا ـ شرق آسيا ـ افريقيا ـ العـــالم الغربى ـ الدول الاشتراكية) .

وسيبدأ العمل بمشروع تجريبى فى بعض البلاد التى تختار لهـــذا الغرض . وسيعمل المعهد بالتعاون مع أمانة المؤتمر الاسلامى ورابطة العالم الاسلامى والندوة العالمية للشباب الاسلامى ومؤتمر العالم الاسلامى .

وقد قام المعهد ـ وهو مازال فى مرحلة التأسيس ـ باصـــدار نشرة شهرية ، كما يزمع اصدار مجلة دورية ربع سنوية ، خاصة بشئون الأقليات المسلمة .

وعنوان المعهد : ص.ب ١٥٤٠ جدة .

* * *

● ينعقد فى موسكو فى الفترة الواقعة بين ٦ – ١٠ يونيو ١٩٧٧ مؤتمر رجال الدين الاسلامى والمسيحى بمشاركة البوذيين والسنتوئيين واليهود المحليين تحت شعار « من أجل ترسيخ السلام ونزع السلاح واقامة العلاقات العادلة بين الشعوب فى العالم » برعاية الكنيسة الروسية الأرثوذكسية والادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان فى الاتحاد السوفيتى . وستدور أعمال المؤتمر فى جلسات عامة تبحث فيها اللجان المواضيع الآتية :

١ – أسس التعاون بين الأديان فى العمل من أجل السلام وتخفيف حدة التوتر الدولى والخلافات السياسية ودور الأمم المتحدة ومؤسساتها فى دعم السلام العالمى .

٢ – موقف الأديان وواجباتها من مشاكل التسليح ونزع السلاح والنزعة العسكرية وجهود الأمم المتحدة والهيئات غير الحكومية فى نزع السلاح .

٣ – موقف الأديان والتزاماتها من الشخصية الانسانية والعلاقات بين الشعوب والحكومات ومشاكل حقوق الانسان واللاجئين والتفرقة العنصرية والاستيطان والنمو السكانى والهجرة .

* * *

● انعقد فى مدينة قرطبة (أسبانيا) اللقاء الثانى للحوار الاسلامى المسيحى فى الفترة بين ٢١ –٢٧ مارس ١٩٧٧ والذى قامت بتنظيمه جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية فى مدريد (أسبانيا) . وقد اختير موضوع التقييم الايجابى لنبى الاسلام فى المسيحية كموضوع أساسى تنفيذا للتوصية الرابعة للمؤتمر الأول .

* * *

● انعقد فى « ورقلة » بالجزائر الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى الذى تنظمه وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية ، وكان جدول أعمال الملتقى يدور حول الموضوعات الآتية :

١ – مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره .
٢ – الاسلام فى أفريقيا اليوم .
٣ – المرأة بعد عام المرأة ؟
٤ – هل بطون الأرض نعمة أم نقمة ؟

وقد أوصى الملتقى ـ ضمن توصيات أخرى ـ بالاهتمام ببعث التراث الاباضى .

* * *

● عقدت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة « المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة » فى الفترة بين ٢٤ ـ ٢٩ صفر ١٣٩٧ ، وكان من بين قرارات وتوصيات المؤتمر .

ـ تشكيل أمانة تتولى مهمة متابعة التوصيات وتنفيذها .
ـ عقد المؤتمر كل ثلاثة أعوام .
ـ تأليف وفد من أعضاء المؤتمر يقوم بحمل توصياته وقراراته الى الملوك والرؤساء .
ـ انشاء بنك معلومات لتزويد الدعاة والهيئات الاسلامية بالمعلومات .
ـ انشاء صندوق لدعم الدعوة والدعاة .
ـ انشاء مزيد من المراكز الاسلامية فى العالم مع تدعيم المراكز القائمة .

* * *

● عقد مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ندوة عن « التغير الحضارى لمنطقة الشرق الأوسط فى العصر الحديث » فى الفترة من ١١ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٧٦ ، وكان من بين بحوث الندوة :

ـ التقاء الحضارات : د . احمد عزت عبد الكريم .
ـ التطور الثقافى للمرأة العربية : د . رمزية الغريب .
ـ اتجاهات التعليم فى الوطن العربى : د : عبد العزيز القوصى .
ـ تعدد الأحزاب والحزب الواحد : د . فاضل حسين .
ـ المدينة العربية المعاصرة : د . مراد وهبة جبران .
ـ الوهابية مذهب ومنهج : د . مصطفى الشكعة .
ـ أسس ومظاهر العلاقات الحضارية بين العالم العربى وأوربا ، د. نورمان دانيل .
ـ التحديث والقومية فى الوطن العربى : د . يوزو ايتاجاكى .

* * *

● تقوم وزارة الخزانة الليبية مع البنك المركزى الليبى بانشاء بنك جديد باسم : « البنك الاسلامى » لا يتعامل بالفائدة ويقوم على اشراك العملاء فى الربح والخسارة . وينتظر افتتاح البنك قريبا .

* * *

● وافقت حكومة السودان على انشاء بنك اسلامى باسم : « بنك فيصل الاسلامى السودانى » برأسمال قدره ستة ملايين جنيه سودانى يساهم الأمير محمد الفيصل ب ٣٠٪ منه . ومما هو جدير بالذكر أن بنك فيصل الاسلامى المصرى الذى أشرنا اليه فى عدد سابق مازال مشروع قانون انشائه متداولا بين السلطات المختصة فى مصر .

* * *

● صدر مرسوم كويتى بانشاء بيت التمويل الكويتى برأسمال قدره عشرة ملايين دينار كويتى، تساهم وزارة المالية ووزارة الأوقاف ووزارة العدل (ادارة شئون القصر) ب ٥٠٪ من رأس المال ويطرح الباقى للاكتتاب العام بين المواطنين الكويتيين والسعودية وأبناء الخليج فقط .

* * *

● تجرى حاليا اتصالات لانشاء بنك اسلامى فى الأردن وقد غطى نصف رأس المال ولما تصدر بعد التصاريح الرسمية بانشاء البنك .

● يجرى الآن تأسيس شركة « المستثمرون العرب ــ أرينكو » ومن بين أنشطتها تأسيس وادارة البنوك الاسلامية التى تمارس كافة العمليات المصرفية فى اطار الشريعة الاسلامية مع احلال البدائل الشرعية محل العمليات الربوية ، وكذلك تأسيس وادارة هيئات للتأمين الذاتى والتبادلى وهو النوع الوحيد من التأمين الذى أجمعت آراء الفقهاء المعاصرين على عدم تعارضه مع الشريعة الاسلامية مع الاستعانة فى ذلك بالخبرات العالمية فى هذا النوع من التأمين الذى يمارس فعلا بنجاح فى عدة دول « غربية » منذ مدة طويلة .

***

● يقوم المجلس الاسلامى الأوربى بتنظيم مؤتمر اقتصادى عالمى فى لندن فى الفترة من ٤ ــ ٩ يوليو ١٩٧٧ موضوعه : العالم الاسلامى والنظام العالمى الجديد .

***

● تقوم جامعة الملك عبد العزيز فى جدة بالتعاون مع المؤسسة الاسلامية (ليستر انجلترا) بتنظيم حلقة دراسية فى جدة (فبراير ١٩٧٨) موضوعها : الاقتصاديات النقدية والضريبية فى الاسلام .

***

● يعقد اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا اجتماعه العام السنوى فى الفترة من ٢٧ ــ ٣٠ مايو ١٩٧٧ بجامعة انديانا بالولايات المتحدة .
وتدور ابحاث الاجتماع حول « البعث الاسلامى » متطلباته وتحقيقه :
ــ الاطار النظرى للبعث الاسلامى .
ــ البعد التاريخى : الجمعيات الاسلامية .

السـاحة الأمريكية

ــ دراسات مقارنة وتحليلية للمناهج الاسلامية وغير الاسلامية فى التغيير الاجتماعى :

منهج أبو الأعلى المودودى .

منهج سيد قطب .

منهج مالك بن نبى .

منهج حسن البنا .

المناهج الغربية :

المنهج الراسمالى .

المنهج الاشتراكى .

المنهج الماركسى واللينينى والمادى .

المنهج اليسارى الجديد .

ــ البعد المستقبلى : تكوين نظرية عامة للبعث الاسـلامى ، ورسم برنامج يحدد خطوات تحقيق البعث الاسلامى .

***

بنك دبي الإسلامي

تقرير مجلس الادارة
للسنة المالية المنتهية فى ١٩٧٦/١٢/٣١
لبنك دبى الاسلامى

احمد الله تبارك وتعالى ، واصلى واسلم على خير خلقه محمد بن عبد الله ، رحمة الله للعالمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وتركنا على المحجة البيضاء والطريق الواضحة .

اخوانى المساهمين الكرام . سلام الله عليكم جميعا ورحمته وبركاته ، وبعد ...

أرحب بكم أيها الأخوة الفضلاء فى وطنكم الاسلامى ، وقد تجشمتم مشقة الحضور ، ومنكم من بعدت اقامته فتحمل أعباء السفر ليشهد هذا الاجتماع الذى ينعقد لأول موازنة لتجربة رائدة فى المعاملات الاسلامية المصرفية فى عصرنا هذا . فلتشهد الدنيا وليشهد العالم اجمع اننا ما قمنا بهذا العمل الا طاعة لأمر الله تعالى وابتغاء لمرضاته .

وانه من بشائر التوفيق أن ينعقد اجتماعكم هذا لاقرار أول موازنة لمصرف لم يمر على تأسيسه عامان، عادة تنقضى فى وضع لوائحه وأنظمته واقامة منشآته وتكوين أجهزته المتعددة .

وانه ليطيب لى أن أستعرض معكم الانجازات التى تمت خلال هذه الفترة الوجيزة آملا أن نكون بذلك قد وفينا لهذه المرحلة حقها من العمل

ووراجيا من كل منكم المساهمة الفعالة فى دفع عجلة التقدم لهذا المشروع الجليل فى مراحله القادمة ، والله معنا ، ولن يترنا أعمالنا .

مما لا شك فيه أنكم جميعا قد أطلعتم على النظام الأساسى للبنك وقرأتم بامعان المجالات الواسعة التى للبنك أن يمارسها على غير أساس الربا وما فى حكمه ، وكان لابد لهذه الأهداف البعيدة المدى والنشاطات المختلفة المتعددة من جهاز كفء . قادر على الوقوف بهذه المؤسسة الى المستوى المناسب الذى يليق باسمها .

ورغم قصر المدة ، فقد تم بحمد الله تعالى تكوين قواعد للادارات التالية :

أولا : الدائرة المصرفية :

وهى التى تتولى جميع الأعمال المصرفية كفتح الحسابات الجارية وتقبل الودائع والتحصيل وفتح الاعتمادات واصدار كتب الضمان وشراء وبيع العملات والتحويل من والى جميع بلدان العالم بواسطة مراسلين من اكبر المصارف العالمية المعروفة ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المصارف العالمية هى التى تسعى الينا لتمثيلنا ، وكل هذه المعاملات تتم ضمن اطار الشريعة الاسلامية .

ثانيا : الدائرة الصناعية :

وهى التى تتولى دراسة وتنفيذ جميع المشاريع الصناعية التى تدخل فى نطاق خطة الانماء العامة التى يضعها مجلس الادارة سواء من حيث اقامة شركات وصناعات مستقلة يملكها البنك بالكامل أو يشارك فيها بنسب معينة ، وقد تحقق لهذه الدائرة تنفيذ مصنع الألمونيوم واقامة شركة الجبس الوطنية ومصنع للرخام الصناعى والفايبر كلاس ، وهناك عدة مشاريع قيد الدراسة النهائية سيتم تنفيذها طبقا لأولويات حاجة السوق المحلى لمنتجاتها وسيعلن عنها خلال هذا العام بمشيئة الله .

ثالثا : الدائرة التجارية :

وهى التى تتولى النشاط الواسع فى التجارة العامة بغرض توسيع الحركة التجارية بين دبى وباقى الامارات وبعض البلدان الأجنبية وذلك فى مجال الاستيراد والتصدير ، وقد أحرزت هذه العمليات نجاحا طيبا .

رابعا : دائرة الزراعة والثروة المائية والمعدنية :

وهى التى تتولى دراسة الطرق المجدية لاستثمار الثروة السمكية والمعدنية المتوافرة فى المنطقة ، وكذلك دراسة المشاريع الزراعيــة والثروة الحيوانية التى ستعود بالنفع والخير على أبناء المنطقة .

ومن انجازات هــذه الدائرة شراء ثلاث قوارب حـديثة لدراســة الأسماك واللؤلؤ لاستغلال ثرواتنا المائية وتنويع مصادر الدخل القومى ، كما توصلت الدائرة الى تواجد بعض المواد الأولية التى سيمكن استغلالها فى الصناعات المحلية استغلالا اقتصاديا حسنا ان شاء الله .

خامسا : الدائرة الهندسية والانشاءات :

تمشيا مع النهضة والحركة العمرانية التى تقوم فى البلاد حاليــا ، فقد قرر البنك انشاء هذه الدائرة لتعنى بالمشاريع الانشائية التى يضطلع بها البنك نفسه ، ومنها مبنى المركز الرئيسى للبنك وقد تقدم العمل فيــه كثيرا وسيكون اجتماعكم القادم بمشيئة الله فى قاعته الرئيسية للاجتماعات، ومنها انشاء (مدينة بدر) السكنية التى ستسهم الى حد كبير فى حل أزمة السكن لذوى الدخل المحدود من المواطنين ويتملكونها بأسعار مناســبة ، ومنها العديد من المشاريع العمرانية التى يمولها البنك بالمشـــاركة مع أصحاب الأراضى حتى مرحلة اتمامها وتأجيرها ... وان هـــذه الادارة جارى تدعيمها لتقف على المستوى اللائق بالمشاريع الكبيرة الانشائية .

سادسا : دائرة البحوث والدراسات الاقتصادية :

وان حتمية العمل فى هذه النشاطات المختلفة ذات الحجم الاقتصادى الكبير تستوجب الكثير من الدراسات والبحوث لتباين جدواها الاقتصادية، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعرض للبنك اثناء ممارسته للأعمــال المصرفية بعض القضايا التى تتطلب القواعد الشرعية والاسناد ، لذلك قرر البنك تكوين هذه الدائرة للاضطلاع بهذه الأعباء الاقتصادية والفقهية .

ايها الأخوة الفضلاء .... هذه نبذة مختصرة عن نشاط البنك الذى تساهمون فيه ، ولعلكم تدركون اهمية هــذه المؤسسة المــالية فى دعم الصرح الاقتصادى ، ليس فى هذه المنطقة من العالم العربى فحسب بل فى

شتى أنحاء العالم ، اسلامى وغير اسلامى ، فالمسلمون يتطلعون بقلوبهم الى نجاح هذه التجربة الرائدة ليروا بديلا عن المعاملات التى يتورطون فيها ، وغير المسلمين يدرسون باهتمام بالغ مدى النجاح لهذه التجربة،علها تنقذهم من بلاء الربا وارتفاع سعر الفائدة بما لا تستقر معه الأحوال الاقتصادية

من أجل ذلك : كان لزاما على بنك دبى الاسلامى أن يوجه الأموال التى أوتمن عليها من مساهمين ومستثمرين ومودعين توجيها حسنا فى شتى المجالات ، يستثمرها فى أوعية نامية لا بالية ، مستخدما فى ذلك أحدث الأساليب العلمية لتعطى السيولة النقدية عند الحاجة اليها ، وتعطى القيمة العالية عند التصرف فيها ــ وقد استخدمت فى قنوات متعددة بما ينوع مصادر الدخل ، قابلة للنماء باذن ربها . فهناك الأراضى والمبانى والمنشآت والمصانع والسلع المختلفة والمعادن والثروة المائية والودائع والأرصدة الاحتياطية التى تملؤنا ثقة بتوفيق الله تعالى لنا وقد ابتغينا الرزق الحلال.

لقد كانت حصيلة اخلاصهم لفكرتكم السامية التى نعمل لتحقيقها ما استطعنا أن بارك الله تعالى فى أرباحنا فبلغت ــ بحمد الله ــ أرقاما فوق القياسية فى أولى مراحلها ولكم أن تعتزوا بمؤسستكم هذه التى مارست هذه الفعاليات من خلال مكاتبها المؤقتة المتواضعة ، وسوف يكون لها شأن آخر حينما يكتمل البناء وتدور عجلة المصانع وتفتح فروعا فى العواصم الاسلامية وفى بقاع العالم باذن الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

ايها الأخوة الكرام :

ان الموازنة المرفقة لهذا التقرير والايضاحات الخاصة بها وبيان توزيع الأرباح للفترة من ١٩٧٥/١٠/١ الى ١٩٧٦/١٢/٣١ بين أيديكم للدراسة ، وقد أوردت ادارة المحاسبة الأرقام التى توضح نسب الأرباح المطلوب موافقتكم على توزيعها ، وهى بالنسبة للمساهمين تبلغ ١١٪ .

ونترك ــ التعليق على هذه الأرقام ــ التى تعطى الدليل الواضح على تقدم ونجاح البنك للسادة مراقبى الحسابات الذين سيدلون بتقريرهم على مسامعكم .

أكرر شكرى لكم على حضوركم وعلى مساهمتكم الفعالة فى دعم هذه المؤسسة الاسلامية التى ستعلو بكم ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقرير مراقب الحسابات

السادة مساهمى بنك دبى الاسلامى :
شركة مساهمة عامة محدودة :
دبى ــ دولة الامارات العربية المتحدة

لقد فحصنا الميزانية العمومية لبنك دبى الاسلامى ــ شركة مساهمة عامة محدودة كما فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ وبيان الأرباح والتوزيع للفترة من أول أكتوبر ١٩٧٥ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ ،وفقا لقواعد المراقبة المتعارف عليها ، وقد شمل فحصنا اجراءات المراقبة الأخرى التى وجدناها مناسبة وقد حصلنا على المعلومات التى رأيناها ضرورية لأداء مهمتنا على وجه مرضى فيما عدا أننا لم نطلع على تقرير مجلس الادارة للتحقق فيما اذا كانت البيانات الواردة به متفقة مع ما هو وارد فى دفاتر البنك .

وبرأينا : ان البيانات المالية المذكورة أعلاه تعبر ــ بأمانة ووضوح ــ عن المركز المالى الحقيقى للبنك بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ ونتيجة أعماله للفترة المنتهية بذلك التاريخ وفقا للنظام الأساسى وللسياسات المحاسبية المذكورة فى الايضاح رقم (١) ، وان البنك يمسك حسابات منتظمة ، وان الجرد أجرى وفقا للأصول المرعية ، وانه فى حدود المعلومات التى توافرت لدينا لم تقع خلال الفترة مخالفات لأحكام نظام البنك أو لأحكام القانون على وجه يؤثر ماديا فى نشاط البنك أو فى مركزه المالى .

دبى فى ٥ مارس ١٩٧٧ .

بدر البزيع وشركاه

بنك دبى الاسلامى

شركة مساهمة عامة محدودة

الميزانية العمومية كما فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٦

درهم	الموجودات
٢٠ر٨٤٥ر٢٢٠	النقد والحسابات الجارية لدى البنوك ومجلس النقد
١٤ر٦٢٥ر٣٠٦	تمويل صفقات تجارية واعتمادات مستندية
٤ر٩٤٤ر٤٤٣	تسليفات وقروض الى العملاء وحسابات أخرى
٥٣ر٦٧١ر٢٧٨	استثمارات فى عمليات مشاركة واسهم ومشاريع تحت الانشاء (ايضاح ٢)
٥ر٢٣٤ر٣٥١	مبانى وسيارات وأثاثات ومعدات بعد خصم الاستهلاك .
١ر٠٠٦ر٥٨٥	مبنى البنك الرئيسى تحت الانشاء (ايضاح ٣)
٩٩ر٩٦٧ر١٨٣	
٥٧ر٧٧٢ر٨٩١	التزامات العملاء لقاء اعتمادات مستندية ، كفالات وشيكات ، لها مقابل
١٥٧ر٧٤٠ر٠٧٤	

درهم	رأس المال والمطلوبات
٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠	راس المال المصرح به ١٠٠ر٠٠٠ سهم بسعر ٥٠٠ درهم للسهم الواحد
٢٢ر٨٣٨ر٠٠٠	اقساط تحت الطلب من المساهمين
٢٧ر١٦٢ر٠٠٠	
٦٦٥ر٨٤٣	احتياطى عام
١ر٢٩٢ر٨٢٠	أرباح مدورة للسنة القادمة
٢٩ر١٢٠ر٦٦٣	
٣١ر٧٠٥ر٢٤٣	ودائع من مشاركين وصناديق التوفير
٣٦ر٥٤٣ر٩٠٥	حسابات جارية وأمانات وحسابات أخرى بما فى ذلك المخصصات (ايضاح ٢)
٢ر٥٩٧ر٣٧٢	مقسوم الأرباح المقترح (ايضاح ٤)
٩٩ر٩٦٧ر١٨٣	
٥٧ر٧٧٢ر٨٩١	التزامات طارئة لقاء اعتمادات مستندية ، كفالات وشيكات لها مقابل
١٥٧ر٧٤٠ر٠٧٤	

سعيد احمد لوتاه
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب

ناصر راشد لوتاه
نائب رئيس مجلس الادارة

(انظر الايضاحات المرفقة)

بنك دبي الاسلامي – دبي
شركة مساهمة محدودة
بيان الأرباح والتوزيع للفترة
من
١ اكتوبر ١٩٧٥ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦

البيان	درهم	درهم
عوائد وايرادات من الأعمال المصرفية	٨٤٥ر٨٦٦	
عوائد وايرادات من الاستثمارات	٧ر٩٥٠ر٠٧٠	
مجموع العوائد والايرادات		٨ر٧٩٥ر٩٣٦
رواتب ومكافآت ومخصصات الموظفين	١ر٢٥٤ر١٥٩	
ايجار ومصاريف مكاتب البنك	٢٢٤ر٩٨٦	
مصاريف ادارية وعمومية اخرى	٢٩٧ر٨٣٥	
مجموع المصاريف الادارية والعمومية		١ر٧٧٦ر٩٨٠
الأرباح قبل خصم الزكاة والتوزيع المقرر على المشاركين .		٧ر٠١٨ر٩٥٦
الزكـــاة	٣٦٠ر٥٢٧	
التوزيع المقرر على المشاركين :		
عوائد لأصحاب أقساط مساكن (مدينة بدر) بنسبة ٦٪ .	١٦٢ر٥٥١	
عوائد لأصحاب دفاتر التوفير بنسبة ٦٪ .	٣٩ر٨٥٢	
عوائد لأصحاب ودائع الاستثمار لمدة ٦ شهور بنسبة ٥ر٧٪ .	١٣٩ر١٣٣	
عوائد لأصحاب ودائع الاستثمار لمدة سنة بنسبة ٤ر١٠٪ .	١ر٤٦١ر٢٢٨	٢ر١٦٣ر٢٩١
صافي الأرباح		٤ر٨٥٥ر٦٦٥
التوزيع المقترح		
احتياطي عام	٦٦٥ر٨٤٣	
مكافآة أعضاء مجلس الادارة	٢٩٩ر٦٣٠	
المساهمين (ايضاح ٤)	٢ر٥٩٧ر٣٧٢	
		٣ر٥٦٢ر٨٤٥
صافي الأرباح المدورة للسنة القادمة		١ر٢٩٢ر٨٢٠

(انظر الايضاحات المرفقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بنك دبى الاسلامى

دبى

شركة مساهمة عامة محدودة

ايضاحات حول البيانات المالية

٣١ ديسمبر ١٩٧٦ م

١ ـ السياسات المحاسبية :

ان السياسات المحاسبية المتبعة من قبل البنك فى تحضير البيانات المالية تتضمن ما يلى

(أ) قاعدة تحديد الايرادات :

بيع المرابحة :

يتم قيد الايرادات الحاصلة عن بيع المرابحة بالتساوى لحساب الأرباح والخسائر فى تاريخ التسديد الفعلى للأقساط .

تمويل صفقات تجارية :

ان العائد الخاص بتمويل صفقات تجارية مبنى على اتفاق مبدئى مع العميل الى أن تظهر النتيجة النهائية للصفقة التجارية والتى عندها تظهر نصيب البنك من الربح الفعلى للصفقة . أما العائد المبنى على أساس الاتفاق المبدئى فيتم قيده لحساب الايرادات على أساس مبدأ الاستحقاق .

ايرادات المقاولات :

ان الادارة الهندسية والانشاءات تتبع طريقة المقاولات المنتهية لتحديد الايرادات نظرا لعدم وجود مقاولات طويلة الأجل .

ايرادات أخرى :

ان البنك يتبع مبدأ الاستحقاق فى تحديد الايرادات الأخرى .

(ب) تقييم الاستثمارات فى عمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت التنفيذ :

أن الاستثمارات فى عمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت التنفيذ اظهرت بالتكلفة ، وفى حالة وجود هبوط دائم فى قيم هذه الموجودات فيؤخذ سعر السوق .

(جـ) تقييم أرصدة مدينة :

ان أرصدة تمويل صفقات تجارية وتسليفات وقروض وحسابات

اخرى اظهرت بالمبالغ المستحقة على هذه البنود ناقصا اية مخصصات لهبوط قيم هذه الموجودات « ان وجدت » ان التسهيلات الممنوحة بشكل حسابات جارية مدينة وقروض لم تنتج للبنك ايرادات بصورة مباشرة غير ان منح مثل هذه التسهيلات قد ساعدت على تنشيط اعمال البنك .

(د) الموجودات الثابتة :

اظهرت الموجودات الثابتة بالتكلفة ناقصا الاستهلاك المتراكم . ثم استهلاك الموجودات الثابتة وفقا لقاعدة القسط الثابت سنويا وعلى اساس العمر الانتاجي المقدر لهذه الموجودات ، وقد تم احتساب الاستهلاك وفقا للمعدلات السنوية الآتية :

السيارات ٣٠٪
المكائن والأجهزة ٢٠٪
الأثاث ١٥٪
بالنسبة للمباني لم يجر عليها اية استهلاكات .

(هـ) النقد والأرصدة بالعملات الأجنبية :

تم تقييم النقد والأرصدة بالعملات الأجنبية الى درهم دولة الامارات العربية المتحدة بسعر الشراء السائد بتاريخ الميزانية .

(و) تأجيل مصاريف قسم الدراسات الصناعية :

ان المصاريف الخاصة بقسم الدراسات الصناعية مؤجل لحين القيام بالمشاريع الخاصة بها ثم ترسل هذه المصاريف على حسابات هذه المشاريع . اما في حالة عدم القيام في مشاريع معينة فيتم تحميل المصاريف الخاصة بها على حساب الأرباح والخسائر .

٢ ـ استثمارات في عمليات مشاركة واسهم ومشاريع تحت التنفيذ :

إن المبلغ الظاهر في الميزانية العمومية والبالغ ٢٧٨ر٦٧١ر٥٣ درهم يمثل مبالغ مدفوعة لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ م على البنود التالية :

درهم	
٢٣ر٤٣٥ر٦٩٩	اراضى مشتراه لغرض البيع .
٧ر٧٩٣ر٤٧٠	عمليات مشاركة فى الأراضى .
١ر٣٦٧ر٢٥٤	عمليات مشاركة فى المبانى .
٤ر١٩٩ر٧٠٨	(مدينة بدر) .
٤ر٦٩٤ر١١٧	ادارة الهندسة والانشاءات .
٧ر٢٦٩ر٠٩٦	عمليات بيع المرابحة .
١ر٥٠٠ر٠٠٠	مصنع الألمونيوم (حصة البنك ٧٥٪) .
١ر٧٥٨ر٧٥٠	شركة الجبس (حصة البنك ٣٣ر٥٪) .
١ر٤٣٠ر٣٢٤	مصايد الأسماك .
١٣ر٧٧٦	معمل الطابوق .
٦٠ر٧٥٦	أسهم .
١٤٨ر٣٢٨	مصاريف قسم الدراسات الصناعية .
٥٣ر٦٧١ر٢٧٨	

من ضمن المبالغ الظاهرة تحت بند الاستثمارات وعمليات مشاركة وأسهم ومشاريع تحت الانشاء مبلغ ٤ر١٩٩ر٧٠٨ درهم يمثل المبلغ المدفوع على حساب انشاء (مدينة بدر) ولكنه لا يمثل التكلفة للجزء المنفذ فعلا لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ . وتتولى تنفيذه شركة سعيد وسلطان لوتاه.

أما التكلفة الكلية للمشروع فلا يمكن تحديدها فى الوقت الحاضر . وان المشروع مقام على أرض ممنوحة من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم .

لقد بلغت مجموع المبالغ المقبوضة على حساب تمليك مساكن (مدينة بدر) ٤ر٣٣٤ر١٨١ درهم لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ وان ادارة البنك قررت احتساب عائد بنسبة ٦٪ لأصحاب هذه المبالغ على أساس مبدأ العدالة .

٣ ـ مبنى البنك الرئيسى ـ تحت الانشاء :

يمثل المبلغ الظاهر بالميزانية العمومية اجمالى المبالغ المدفوعة على

حساب البناء ولكنه لا يمثل التكلفة الكلية للجزء المنفذ فعلا لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٧٦ .

ان ادارة الهندسة والانشاءات تتولى انجاز هذا المبنى وان التكلفة النهائية للمشروع لا يمكن تحديدها بالوقت الحاضر . هذا وان البناء مقام على ارض منحت للبنك من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم .

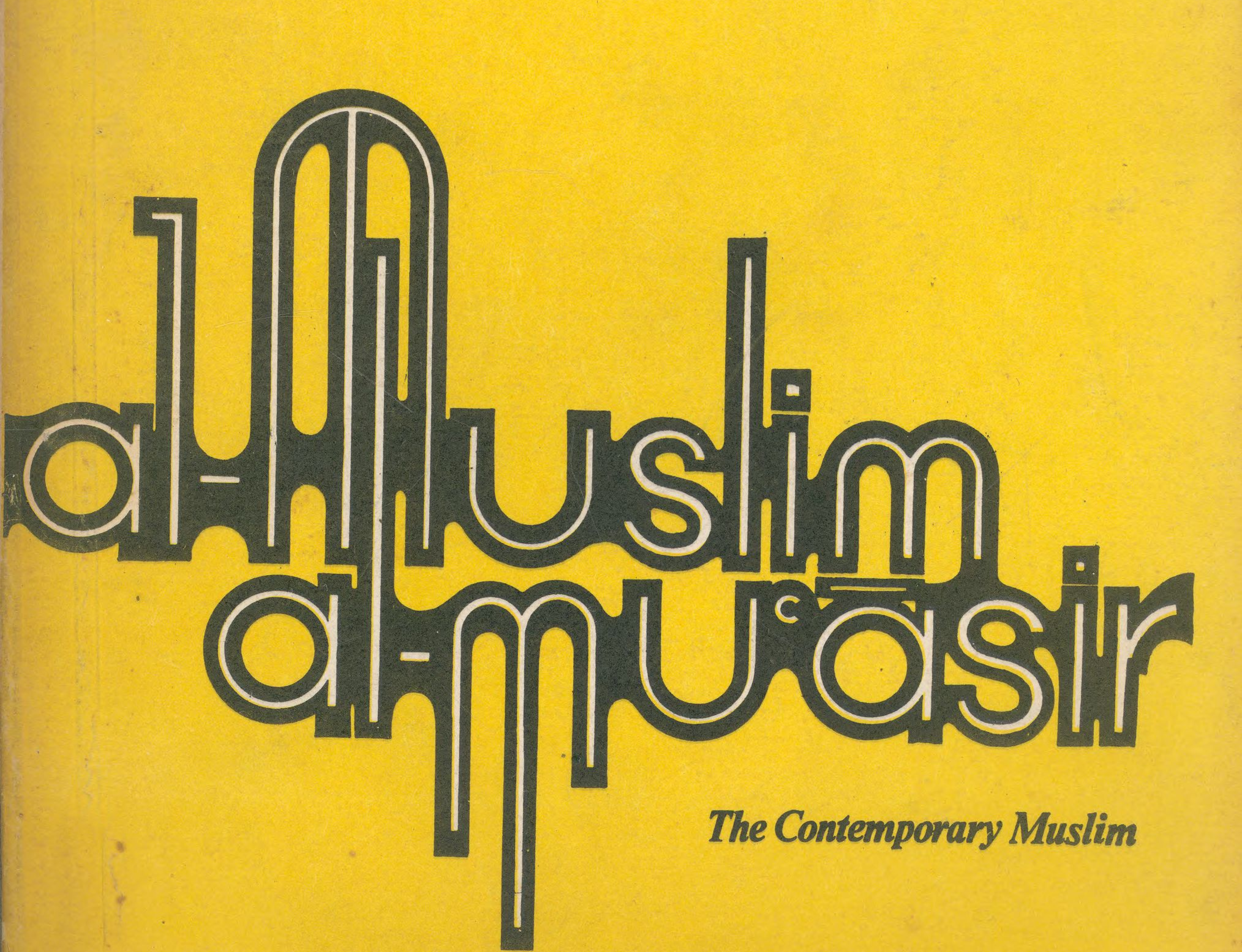
٤ ـ مقسوم الارباح المقترح :

توخيا للعدالة بين المساهمين فقد اقترح مجلس الادارة توزيع مقسوم أرباح بمعدل ١١٪ على المساهمين المسجلين بتاريخ الميزانية محتسبة على أساس التفاوت الزمني للفترات المستلم بها الأقساط المستحقة للأسهم .

رقم الايداع ٧٧/٢٥٧٩
الشركة المصرية للطباعة والنشر

Vol. 3, No. 10 RABI THANI - JAMADA ULA - JAMADA THANIA 1397

APRIL, MAY, JUNE 1977



The Contemporary Muslim